

كل أمد

بأمثلة وأقوال



الدكتور / عبد الرحمن عبد الله العوضي

١٩٩٤

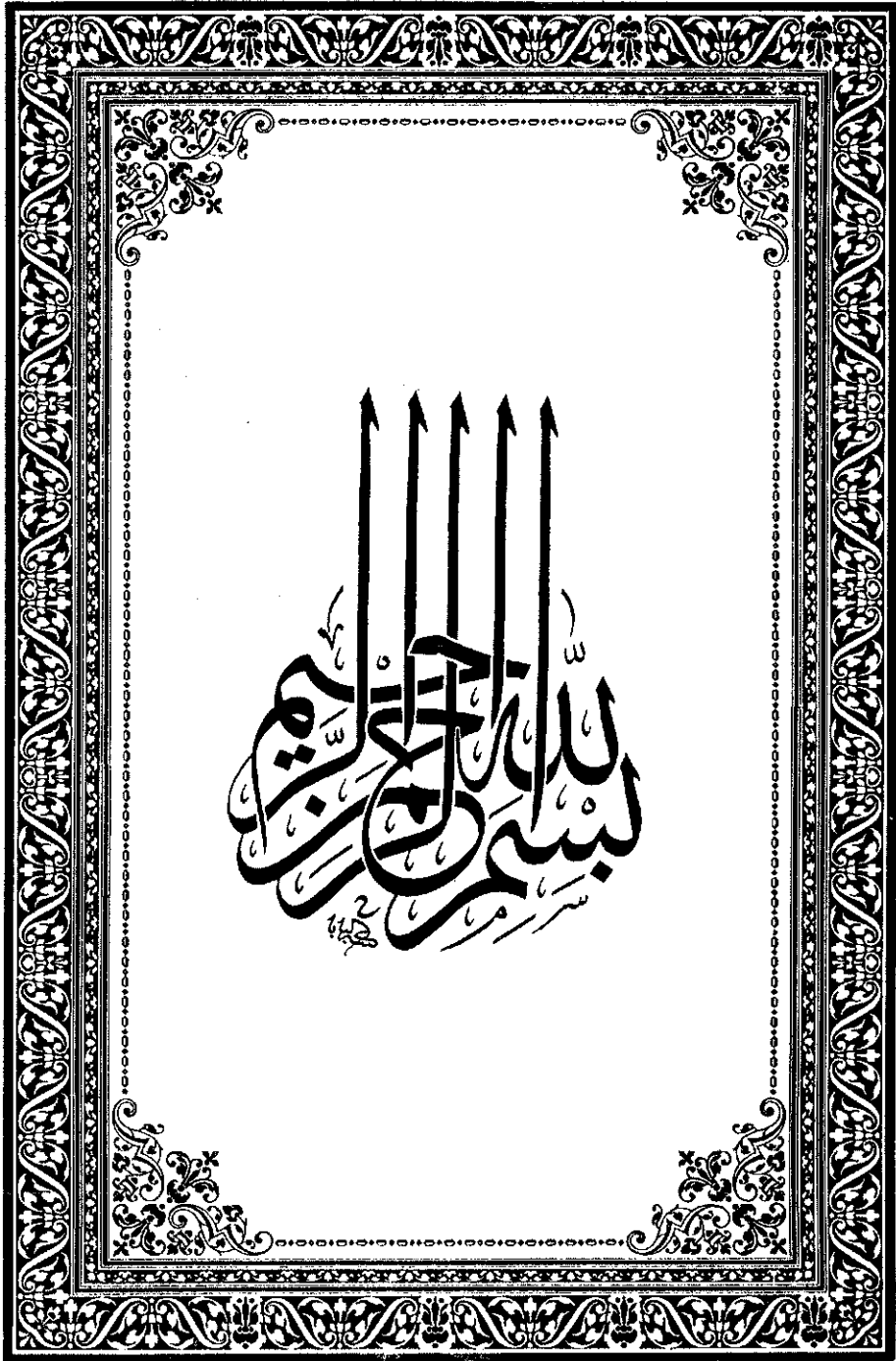
كل أحد

تأملات وأفكار



الدكتور/عبدالرحمن عبدالله العوضي

١٩٩٤



محتويات الكتاب

مقدمة ٩

الجزء الأول

في الهموم الكويتية

- ١ - الانتصار والهزيمة للجميع ١٩
- ٢ - الوطن للجميع وفوق الجميع ٢٤
- ٣ - الجسم الوظيفي المتداعي ٢٨
- ٤ - لو قررنا إصلاح الجهاز الوظيفي ٣٣
- ٥ - الزلزال ٣٨
- ٦ - «أكيد فينا غلط» فلنبحث عنه ونصلحه ٤٦
- ٧ - العمالة بين الترابط القومي والتضخم الوظيفي ٥٠
- ٨ - آخر الدواء الكي ٥٧
- ٩ - ما بين خيانة الأمانة وانهيار الأمن شعرة ٦٤
- ١٠ - هل نحن واثقون من أنفسنا؟ ٧٢
- ١١ - الوساطة أسلوب حياة ٧٨
- ١٢ - نحن والمثقفون ٨٣

- ١٣ - المؤتمرات بين الترف الفكري والضرورة الوطنية ٨٨
- ١٤ - الكويت ومسيرة الحضارة العالمية ٤٩
- ١٥ - حصاد رمضان ١٠٠
- ١٦ - الجراد .. ٢٠ دينار للكيلو ١٠٥
- ١٧ - البدون نتيجة حتمية للتخبط في التجنيس (امن ٢) ١١٠
- ١٨ - البدون نتيجة حتمية للتخبط في التجنيس (٢ من ٢) ١١٥
- ١٩ - الوزير والخفير وخطاياهما ١٢١
- ٢٠ - وكاد العقد الكويتي أن ينفطر ١٢٧
- ٢١ - الرسوم بين ترشيد الإنفاق وحرمان المحتاج ١٣٥
- ٢٢ - التعاون بين السلطتين هو طوق النجاة ١٤٠
- ٢٣ - حرام عليكم هذا التجني ١٤٦
- ٢٤ - الشقاق يزعزع الوحدة الوطنية ١٥٢
- ٢٥ - الفصل بين السلطات ... إلى أين؟ ١٥٧
- ٢٦ - الأسيرة وسورة الإسراء ١٦١
- ٢٧ - كادر الأطباء .. بين المستفيدين والخاسرين ١٦٨
- ٢٨ - محاكمة الوزراء .. بين الحق والباطل ١٧٦

الجزء الثاني

الخليج ومنعطف الطريق

- ١ - في الهموم الكويتية الخليجية العربية (١ من ٣) ١٨٧
- ٢ - في الهموم الكويتية الخليجية العربية (٢ من ٣) ١٩٦
- ٣ - في الهموم الكويتية الخليجية العربية (٣ من ٣) ٢٠٤
- ٤ - عواصف التغير تهب على الخليج ٢١٢
- ٥ - الفراغ الأمني الخليجي ٢١٨

الجزء الثالث

قضايا الوطن العربي

- ١ - التعليم في مصر والأمن القومي العربي ٢٢٩
- ٢ - لكي تبقى مصر فوق الرعب رغم العنف ٢٣٦
- ٣ - الأزهر والمرجعية الاسلامية (امن ٢) ٢٤١
- ٤ - الأزهر والمرجعية الاسلامية (٢ من ٢) ٢٤٨
- ٥ - جنوب لبنان وهروب أمة ٢٥٤
- ٦ - اختطاف أمتنا . . . إلى أين؟ ٢٥٩
- ٧ - الدول العربية وأولوياتها ٢٦٥
- ٨ - من هو العدو القادم ؟ ٢٧١

الجزء الرابع

العالم الإسلامي في بحر لجي

- ٢٨١ ١ - المسلمون والغرب (١ من ٢)
- ٢٨٦ ٢ - المسلمون والغرب (٢ من ٢)
- ٢٩٣ ٣ - التطرف والإرهاب .. إلى أين ؟
- ٣٠١ ٤ - ماذا عن ديار الإسلام
- ٣٠٧ ٥ - المخدرات والمسكرات المواجهة والتحدي (١ من ٣)
- ٣١٥ ٦ - المخدرات والمسكرات المواجهة والتحدي (٢ من ٣)
- ٣٢١ ٧ - المخدرات والمسكرات المواجهة والتحدي (٣ من ٣)
- ٢٢٩ ٨ - حتى نوقف العد التنازلي للمسلمين
- ٣٣٥ ٩ - خطيئة القرن العشرين
- ٣٤٤ ١٠ - أوين وبلفور وجهان لكارثة واحدة
- ٣٤٩ ١١ - الأيدز قادم لا محالة
- ٣٥٥ ١٢ - الأيدز وماذا بعد؟
- ٣٦٣ ١٣ - حقوق الإنسان بين الاعلامين الإسلامي والعالمي
- ٣٧٢ ١٤ - حقوق الإنسان بين العالم المتقدم والنامي
- ٣٧٧ ١٥ - هل نتغير مع الزمن

المقدمة

لقد ترددت كثيراً قبل أن أجمع المقالات الأسبوعية التي كتبتها في هذا الكتاب... ولكن إزاء إلحاح الكثير من الإخوان بأن أجمع ما ورد من أفكار وآراء واقتراحات، جعلني ألبى الرغبة وأحاول إصدار كتاب سنوي يجمع المقالات الأسبوعية التي كتبتها لعل هذا الأمر يسهل على من يزيد الاحتفاظ بما أكتب...

وحيث إن هذا هو أول كتاب من هذه السلسلة، لا بد أن أشرك القارئ معي اللحظات التي جعلتني أعود للكتابة رغم أنني هجرت الكتابة الصحفية طوال عشرين سنة، شغلت فيها مسؤوليات حكومية حرمتني من الاختلاء مع القلم الذي به نعبر عن ما يخالج صدورنا من هواجس وخواطر وآراء ترفض أن تحبس داخل النفس الإنسانية وتجبره التعبير عنها... وهي لحظات سعيدة على الكاتب فيها لذة لا يعرفها إلا من عبر طريق القلم للتعبير عن مشاعره لغيره...

ورغم أن الكتابة في الأمور العامة والسياسية بصورة خاصة ليست جديدة علي ولست بجديد عليها... حيث إنني مارستها في «مجلة الهدف» وبعدها في مجلة حياتنا لسنوات عشر كرئيس للتحريير... إلا أن الحياة العامة وتحمل مسؤولياتها حالت بيني وبين الإنسان بصورة كبيرة ويصبح الابتعاد عنها نوعاً من الكبت تؤثر فيه بصورة كبيرة..

وكان اختيار الشعب لي كنائب عنه ودخول مجلس الأمة ومن ثم المشاركة في الحكومة لمدة ثمانية عشر عاماً أبعثتني بصورة كبيرة وأليمة.. حيث إن الجمع بين الكتابة والعمل الرسمي لا ينسجمان، لأن المسؤولية مهما صغرت أو كبرت تجعلك تخضع لتوجهات معينة أثناءها وتحرمك من الحرية التي من دونها لا يمكن للقلم التعبير عن النفس بكل صدق وأمانة عن ما يعتلج في صدر الكاتب.

هكذا ابتعدت عن الكتابة... وبعد تركي للوظيفة الحكومية حاولت الابتعاد لأن في النفس الكثير والتعبير عنها صعب جداً وما يطلع عليه الإنسان من أسرار الحكومة وقضايا الأمة وأبعادها وطموحها أثناء توليه الوظيفة الحكومية تجعله حذراً جداً في الكتابة خشية أن تشطح به الأفكار ويفلت منه ما لا يجب أن يذكره... بل تبقى معه حبيسة حتى يلاقى ربه فيها...

واستطعت أن أسيطر على الرغبة الجياشة في صدري وأن أكبت جموح القلم لفترة طويلة بعد تركي العمل بالحكومة... وكنت متردداً لفترة... ولكنني كنت على موعد مع القدر الذي سيفك هذا القيد ويجبرني على اللجوء إلى القلم لأشارك الناس بما شعرت به، لأن مشاركة الناس في مثل هذه الخواطر يصبح واجباً على الكاتب، عسى أن يكون قد استطاع التعبير عن مشاعرهم في نفس المجال.

كان المكان هو مجلس الأمة... في أول يوم من عودة الحياة النيابية... في يوم كانت الكويت على موعد مع الغد الجديد... في فجر التحرير واكتمال جميع أركان الحكم في الكويت بعد دحر العدوان وطرده المحتل الظالم لوطننا الحبيب، وكان توجيه صاحب السمو بإعلان العودة إلى الحياة البرلمانية في خطاب الافتتاح وكلماته التي ألزمت الجميع بمسؤولية

جديدة هي مسؤولية المحافظة على الكويت ومكاسب التحرير والخروج
بالكويت المحررة الجديدة إلى عالم جديد تحقق فيه لأول مرة تطبيق كامل
لميثاق الأمم المتحدة.

هذه الدعوة المخلصة من راعي هذا الوطن.. قفزت بي إلى مستوى
من العواطف الجياشة جعلتني أنسى نفسي... وأجدني انطلقاً من
مسئوليتي.. قد أمسكت بالقلم لأشارك بما لدي من فكر وعطاء ورأي لعلني
أساعد في بناء الكويت من جديد وأطرح الآراء التي قد تكون مما اكتسبت
من خبرة طويلة في مجال صناعة القرار... مساعدة لاتخاذ القرار المناسب
للمحافظة على المكسب العظيم بعودة الوطن وعودتنا إليه...

هذه اللحظات جعلتني أنسى كل القيود بل كل العهود التي أخذتها
على نفسي بعدم العودة للكتابة... ووجدت القلم ينطلق من يدي ويخط
الأحاسيس رغم كل محاولات حبسها... من هنا انطلقت من جديد للكتابة
لعلني أكون بذلك قد أسهمت بعض الشيء في سداد ما علينا من دين كبير
تجاه هذا الوطن يحتم علينا الواجب الوفاء به...

ثم كانت دعوة الكثير من الإخوة بالاستمرارية قد أعطتني دفعة قوية
للاتزام بالكتابة الأسبوعية كل أحد بجريدة الوطن في الكويت... وجريدة
الخليج في الإمارات العربية المتحدة... وهذا الإلزام يفرض عليّ نوعاً من
القيد لكنه قيد يحقق في نفس الوقت متعة التعبير عن ما يخالج الصدر من
هموم وشجون...

وقررت أن أختار لسلسلة مقالاتي كل أحد عنواناً... لأنه في هذا
اليوم من كل أسبوع يتقرر مصير أمور كبيرة للوطن... في هذا اليوم تجتمع
الحكومة وتتخذ القرارات التي نجد أغلبها تستهدف شؤون الوطن...
ونحاول إيجاد الحلول لها... مع أن بعض هذه القرارات لا تحقق الأهداف

التي اتخذت من أجلها... ولكن يجب أن أؤكد في هذا المجال بأن جميع القرارات التي شاركت في اتخاذها كانت تستهدف مصلحة هذا الوطن... وإن لم نوفق في اختيار بعض الأهداف فهذا هو شأن الحياة إذ لا يمكن أن يصيب الإنسان أهدافه كلها وإن حقق نسبة كبيرة من النجاح فهذا هو المطلوب منه وعليه دائما أن يسعى وعلى الله التوفيق...

ومن هذا المنطلق اخترت عنواناً لعله يكون الرأي الصائب في إحدى قضايا وطننا الصغير والكبير... ولذلك لم تستهدف مقالاتي فقط شئون الوطن الصغير... حيث إنني تطرقت إلى شئون وشجون كثيرة... وانطلقت إلى الوطن العربي بقضاياها أطرحها لألقاء بعض الأضواء عليها وخرجت للأمة الإسلامية لأشارك شعوبها... ولنعيش مع المآسي والمصائب التي أدت إلى هدم الكثير من أركان الأمة الإسلامية وأخذت القوى العالمية تتكالب علينا وتعتبر الإسلام مع الأسف الشديد هو التحدي القادم لحضارة الغرب... حاولت أن أبين أبعاد مثل هذه الهوم والشجون للأمة الإسلامية لعل وعسى أن تعرف المخاطر المحيطة بها... خاصة وأنا قدنا أصبحنا ضحية للمؤامرة الصهيونية المتمثلة بدولة إسرائيل وعملائها وأذئابها وقد تمكنوا من تحطيم آمال الأمة العربية والإسلامية... وجعلونا نقبل بالفتات والحلول التسوية ونلهث خلف الوعود الكاذبة التي تضعها إسرائيل وتطبخها في مطبخ صناعة السياسة الأمريكية، القوة الفريدة في عالمنا الحالي وأصبحنا ضحايا لأكبر مؤامرة استهدفت أمتنا العربية...

ومن هذا كله كان هدفي هو أن أشجع الإخوة الوزراء والمسؤولين السابقين في الحكومة بأن يساهموا في الكتابة وإلقاء الأضواء على قضايانا حيث إننا في هذه الأيام الحاسمة من تاريخ وطننا وأمتنا الإسلامية في أشد الحاجة إلى وجهات النظر التي قد تساعد في إيجاد رؤية جديدة لقضايانا.

فكل قيود لها أبعاد مكانية وزمنية تتغير مع المكان والزمان... وكل رأي جديد هادف في قضية من قضايانا يكون أكبر عون لنا جميعاً للتغلب على ما يجابه أمتنا من مصاعب...

إنها دعوة لكل مخلص للأمة بأن لا يحرم هذا الوطن بما لديه من فكر وعطاء... فيجب أن نعيش دائماً لبناء هذه الأمة والمساهمة في تحمل حلول قضاياها... إنها مسئولية لا يمكن أن يتخلى أي شخص عنها ما دام يؤمن بديننا الحنيف الذي يحث الإنسان على العطاء والعمل النافع انطلاقاً من مسؤوليته أمام هذه الأمة واعترافاً بجميلها الذي يطوق أعناقنا ويلازمنا أيام عمرنا كلها.

أجل إنها دعوة صادقة للجميع للمشاركة والمساهمة، وما محاولتي لجمع المقالات وإصدارها سنوياً على شكل كتاب إلا تأكيد على رغبتني أن تبقى هذه الآراء وهذه المقالات والخواطر تحت يد كل إنسان قد يحتاج إلى الرجوع إلى الرأي الآخر لعله يساعده في الاستمرار في حمل المسؤولية.

هذا كان الهدف من هذه المقالات... وهذا هو الأمل من جمع هذه المقالات ولعلها تكون مشاركة صادقة مع ما يطرقه الإخوان من آراء وأفكار... ومهما بلغت أفكار الإنسان تظل مجرد أفكار نأمل أن ترى النور إلى التنفيذ وأن تحقق الآمال وتصبح واقعاً يستفيد منه البشر.

استهدفت من الكتابة وطرح الآراء والانطباعات والتأملات المساهمة في طرح شئون وشجون الوطن والأمة... وأشكر الله سبحانه وتعالى إذا كنت قد وفقت لذلك... وأطلب منه المغفرة إن كنت قد جانبت الصواب... وعسى أن نبقي جميعاً على العهد مع الوطن والتفاني في خدمته...

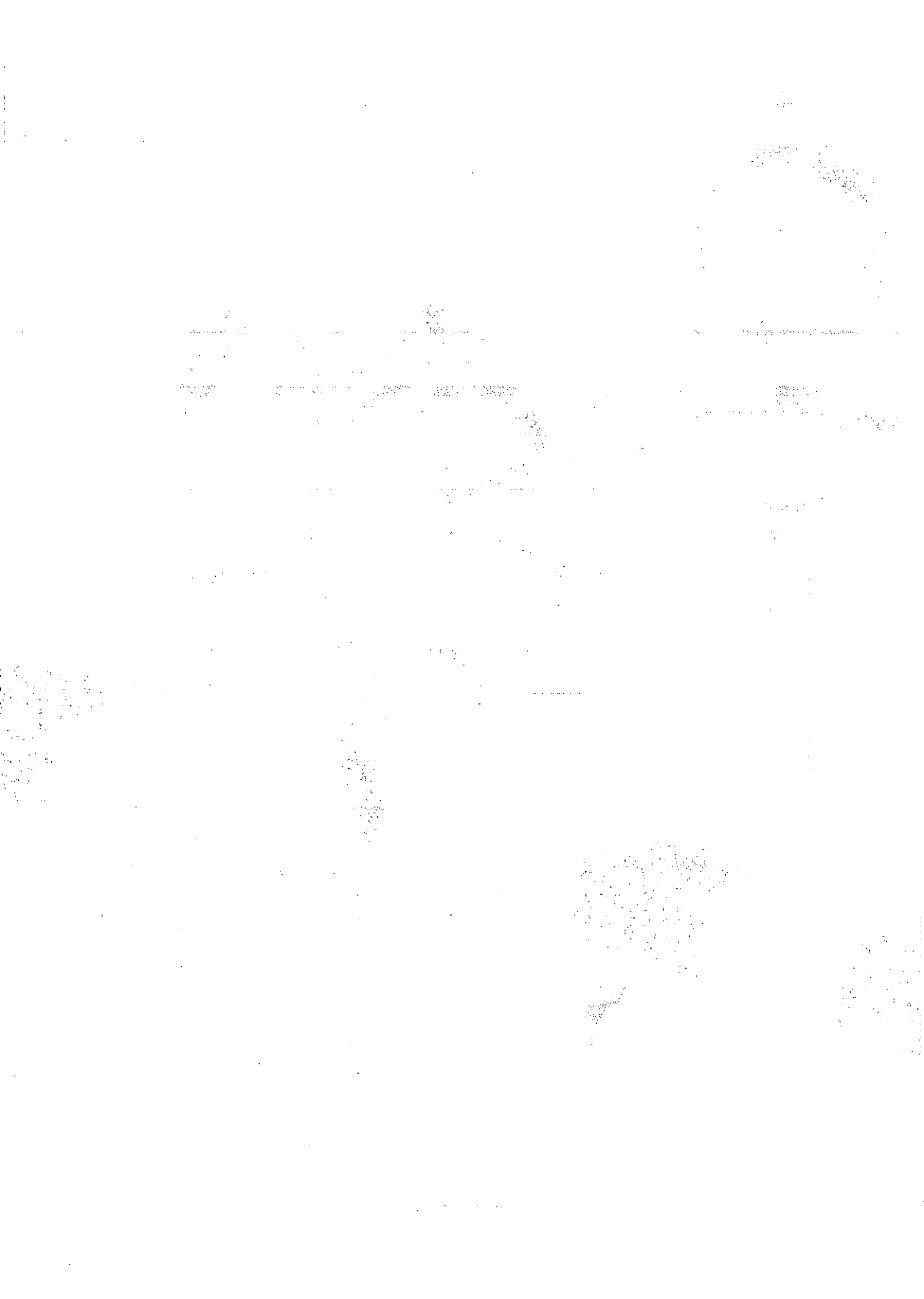
دكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي

الجزء الأول

في الهموم الكويتية



عبد الوهاب العونج





الانتصار والهزيمة للجميع*

في لحظة تاريخية قل أن يعيشها الإنسان اغرورقت عيناى بدموع الفرح وامتلأ قلبي بسعادة غامرة لحظة دخولي مبنى مجلس الأمة استعداداً للاحتفال.. ها نحن قد عدنا ياكويت بفضل من الله العظيم وتوفيقه وتأييده وحكمة من القيادة وتلاحم من الشعب، وتحولت أرضك إلى مقبرة للغزاة والطغاة. هنا في هذا المكان يصلون أبناؤك يختلفون ويتفقون، الكل في خدمتك. ويوم حاول الغادر طعنك قدم الجميع صدره وقاية وحماية وفداء من غدره.. ها هو قائد المسيرة صاحب السمو أمير البلاد يدعو الجميع إلى أن تكون الكويت فوق الجميع، ويعاهد الله على أن يكون هو حكماً عدلاً بيننا في أبوة وحنان، ها هو يعلو المنصة يقول في كلمات مضيئة قوية حاسمة يرسلها قوية للأصدقاء لتثلج الصدور، وللأعداء لتصيبهم في مقتل.. ثم لا ننسى صورته يوم أن وقف يعتلى منصة الأمم المتحدة يستنجد بالشرفاء والدموع تملأ مقلتيه، كسير خاطر حزين البال، هموم شعبه جبال تنوء بحاملها، وساعة أعلن أن شعبه بين مشرد بلا مأوى وهائم على وجهه، وكان ذلك الصوت يتهدج وهو الذي طالما سمعناه يصلو ويجول بكلمات الحق، وها هو بحمد من الله وفضله يعود مرة أخرى.

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٩٢

وها هو الأخ الأكبر رئيس المجلس أكبر الأعضاء سنأ بكلماته الطيبة، يقف ليعلن في كلمات عزيزة وغالية أننا جميعاً فداء للكويت: الكبير قبل الصغير. كلمات صادقة حرة أبية من الشعب وإلى الشعب..

وها هو سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء كما عودنا دائماً، يقف ليقدم ما أنجزته الحكومة في تلك الفترة الحرجة التي كان الجميع يتسابق مع الزمن لتعود الحياة إلى الكويت في أبهى صورها، ويرسم لنا خطاً المستقبل الباهر في كلمات دقيقة وحاسمة، شاكرأ لأنعم الله على التحرير والنماء والعطاء، مذكراً لنا أن ساحة العمل مفتوحة للجميع، وعلينا أن ننكر ذاتنا وأن نتفانى في خدمة الكويت دون انتظار لعطائها؛ فهي على مدى السنين كانت ومازالت معطاءة سخية.

وتذكرت قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾.

ها نحن اليوم نعيش أفراح انتصاراتنا وقد عادت الكويت كما كانت سبأقة إلى الخير داعية إليه، مساندة للحق في كل مكان؛ ليكون ذلك رصيدينا عند رب العالمين الذي سخر لنا العالم أجمع ليقف وقفه لم يشهدها التاريخ ليحرر أرضنا ونرويهها بدماء شهدائنا الذين صمدوا أمام عدو أعماه الحقد وملاً قلبه الحسد، وعز عليه أن يرى بلدة صغيرة آمن أهلها فآتاها الله رزقها رغداً، فأراد أن يحطمها ويستولي عليها ظناً منه أنها لقمة سائغة، فوجدها مرة المذاق وأصابته بغصة قاتلة في حلقة ونفسه وأهله، فكاد أن يهلك وندعو الله ذلك.

ونحن اليوم نلتقي لقاء خير وصحبة ونعيش انتصاراتنا الداخلية بعودة الحياة الديمقراطية، لنشارك جميعاً يداً واحدة في إدارة شئون ديرتنا الحبيبة لا فرق بين حاكم ومحكوم، فالكل في سفينة واحدة لو خرقتها من في أسفلها غرق

وغرقت معه السفينة بمن فيها، لا فرق بين من في القاع أو من فوق الصاري، ولو أخذوا على يديه نجت ونجوا جميعاً. لقد كان سلاحنا الوحيد بعد مناصرة رب العزة لنا هو تكاتفنا جميعاً العدو قبل الصديق، بل إنه هو الذي أذهل العالم ودفع الشرفاء والأصدقاء إلى المساندة والمناصرة، فجن جنون العدو وفقد وعيه واتزان، وتخطب في قراراته، وأعمته المشيئة عن القرار الصحيح، فصار يبطش بإخوة صمدوا وضربوا أروع الأمثلة في التضحية والفداء.

واليوم أتذكر وأذكر معي الإخوة جميعاً قول الرسول الكريم لأصحابه حين رجع من إحدى الغزوات: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا وما الجهاد الأكبر يارسول الله؟ قال جهاد النفس» وعلينا جميعاً أن ننسى أنفسنا فالموج حولنا متلاطم، والكل متربص بنا يريد أن ينفذ إلى صفوفنا ليث الفرقة بيننا ليشتتنا ويعشش بيننا تحت دعاوى مختلفة، بعضها فتوية، والأخرى طائفية، والثالثة سياسية. وغير ذلك من دعاوى ما أنزل الله بها من سلطان.

إن الاختلاف في الرأي بين البشر صفة إنسانية على ألا يفسد للود قضية، وهو أي الاختلاف مطلوب لصالح الوطن، «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة». ولكن الخلاف صفة شيطانية؛ فالشيطان يزين لهم سوء عملهم ويغويهم عن الصراط المستقيم ويوقع بينهم العداوة والبغضاء.

إن الاستجابة للمطلب الشعبي وتطبيق روح الدستور بدخول ستة أعضاء من النواب في مجلس الوزراء وقفة تاريخية تدل دلالة صادقة على حسن النوايا وصدق الطوايا، وتدعو الجميع إلى التكتاف والتآلف، وهذه ليست دعوة إلى التغاضي عن النقاش أو المحاسبة أو المعاقبة بل العكس تماماً: هي دعوة إلى البحث والتنقيب عن سبب الأخطاء لدراستها والعمل على تفاديها، ودراسة الإيجابيات والعمل على تنميتها، لأننا إن تصيدنا

الأخطاء فقط دون أن يكون هدفنا إصلاحها سيصاب الجهاز التنفيذي بالشلل وعدم القدرة على الحركة خوفاً من الوقوع في الخطأ، ولكن الخطأ صفة بشرية، فالرسول ﷺ يقول: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون». علينا أن نعمل في جو من الحب والتألف والتآزر، هدفنا الوحيد الكويت، وعلينا أن نوجه ونصحح المسار، وأن نستن السنن الحسنة لتكون رصيذاً وعوداً لنا عند رب العالمين، فالرسول يقول «من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سنَّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» علينا أن نعمل وهدفنا الصالح العام دون خوف من الخطأ، وعلينا أن نجتهد فإن أصبنا فلنا أجران وإن أخطأنا فلنا أجر على اجتهدانا.

إن الماضي لنا فيه عبرة ودروس يجب أن نتذكرها جميعاً، ولكن يجب ألا تكون مصدراً لأحزاننا وسبباً لفرقتنا، ولا مجالاً لتصفية حسابات بيننا، ولكن عظة لنا ولأجيال قادمة، وشمعة تضيء طريق المستقبل ولتعريف الأجيال عما حدث ولماذا حدث؟ وكيف حدث؟ ومن المسئول عما حدث؟.

تلك خاطرة حلق بها وجداني فانساب بها قلبي - ولو أنني تركت القلم منذ زمن بعيد - ونحن نحتفل بعودة الديمقراطية بعد توقفها وبعد صدمة خطيرة هزت وجداننا من الأعماق ستظل آثارها باقية لأجيال طويلة، وعلامة بارزة في حياتنا سيؤرخ بها في تاريخ الكويت والخليج العربي بل والأمة العربية والإسلامية جمعاء.

إننا أمام معركة كبرى للتحدي إن لم نكبح جماح أنفسنا ونضع أيدينا بعضنا في أيدي البعض قوية متأزرة، فسوف تتوه سفينة الكويت بين الصخور، وتمخر عباب بحر لحي يطويه ظلمات بعضها فوق بعض.

إننا اليوم لن نصل إلى بر الأمان إلا بقيادة حكيمة جناحها السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية؛ فهما وجهان لعملة واحدة هي الديمقراطية؛ لتبقى الكويت مرفوعة الهامة شامخة صامدة، فلن يكون هناك منتصر ولا مهزوم، فالانتصار للجميع أو الهزيمة للجميع. إننا أمام معركة التحدي الحقيقي لتثبت للعالم أن الديمقراطية ليست دعوى للفوضى وعدم الالتزام، بل هي كلمة الحق كما قالها عمر بن الخطاب «لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها».

رحم الله شهداءنا وتغمدهم بواسع رحمته، وألهم ذويهم الصبر والسلوان.. اللهم فك قيد أسرانا وفرج عنهم كربهم، وكن لهم ولا تكن عليهم يا الله يا كريم إنك نعم المولى ونعم النصير.

هذه خاطرة أردت أن أعبر بها عما يجيش في صدري للكويت وأهلها وإنني على ثقة كبيرة من أنها تعبر تعبيراً صادقاً بما يخالج وجدان كل إنسان كويتي يتمنى لكويتنا الحبيبة الاستقرار والبقاء، ولتستمر الكويت واحة أمن وأمان.

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾.



الوطن للجميع وفوق الجميع

«رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي»
ظهرت مقالتي الأولى وكنت قد اخترت لها عنواناً تحت كلمة «خاطرة»
إلا أن الإخوان في الوطن نشرها تحت عنوان «الانتصار أو الهزيمة للجميع»
وسبب اختياري للعنوان أنها كانت لحظة فرحة عشتها وعاشتها معي الكويت
بأبنائها المخلصين والشرفاء في كل أنحاء العالم، فجاءت عفوية حارة اللقاء
من القلب إلى القلب، ولم تكن في نيتي الكتابة بعد ذلك، ولذلك جاءت
خالية من المقدمات أو العبارات المنمقة.. ولكن بعد نشرها جاءني العديد
من الاتصالات الهاتفية من إخوة أعتز بهم وبآرائهم، فلقد لاقى قبولاً حسناً
وطلبوا مني الاستمرار في الكتابة.. وكانت لحظة تأمل وتفكير خاصة بأن
الجلوس إلى القلم ليناسب بأفكار منظمة هي عملية شاقة إذا أردنا الكتابة
بطريقة علمية وليست الكتابة لمجرد الكتابة فقط.

وقررت أن أشق عباب الموج وأعود لما كنت أعشقه لأسباب كثيرة
منها أن هذا الوطن له دين كبير في أعناقنا جميعاً، وعلى كل منا في أي
موقع كان أن يقدم له أقصى ما يمكن. فخدمة الوطن ليست قاصرة على فرد
بعينه ولا وظيفة بذاتها، فالعمل الجاد المخلص وليد فكر ناضج، ولا يأتي
ذلك إلا بعد إعمال العقل وإمعان الفكر الذي ينبغي أن نشارك فيه جميعاً

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١١/١/١٩٩٢

بالقول الطيب، ونجتهد فيما نعرضه لا نبتغي في ذلك غير وجه الله وصالح هذا الوطن والمواطن؛ فالكلمة أمانة.

أن الإسلام فرض على المسلمين التفكير والتفكير، وأمرهم بالشورى لأنه دين ودولة، ومن ثم فقد رفض الرهبانية التي ابتدعتها المسيحية، والمادية التي صنعتها اليهودية فجاء ديننا وسطاً قيماً.

ثالث هذه الأسباب: أن الوليد الجديد وهو الكويت بعد التحرير تحتاج منا جميعاً إلى رعاية وحضانة، وهي الآن تستعيد مؤسساتها، فعلياً أن نقدم لها الرأي والرأي الآخر.

رابع هذه الأسباب: أن الساحة الآن تغص بالكثير من الآراء ذات الاتجاهات المختلفة والمشارب العديدة، فوجدت أن أطرح فكري غير متم لا لشرق ولا لغرب بل لإسلامي وعروبي ووطني. إلا أن المحاولة كانت أشبه بالسير على الأشواك، فكيف أخرج من عباءة السلطة التنفيذية إلى الحياة العامة؟! خاصة وأني سوف أطرح أفكاراً كموطن كويتي لمشكلات جادة تهم الجميع، ويتحدث فيها العامة والخاصة، ومن هنا فسيطرح هذا السؤال: وأين كانت هذه الأفكار يوم أن كنت في قمة الهرم السياسي؟! وأقول لهم إن ذلك في ذمة التاريخ وما قلته أو ما قمت به من واجب إما أنه قد بان للناس أو سيظهره التاريخ والزمن فقط. وإن العمل في المؤسسة السياسية هو حصيلة لمختلف الآراء تضامناً وتكاتفاً من الجميع. واليوم والكويت تعيد بناء نفسها وذاتها وأبنائها فالجميع مدعوون لرسم حُطَا الحاضر على أسس علمية من النقاش الجاد المخلص ليأتي المستقبل إلينا مشرقاً مزدهراً.

وأفكاري هنا التي سأناقشها بكل الصراحة والوضوح، قد تمس جهة ما، وأنا لا أعني هجوماً عليها أو تقليلاً لقدر مسؤوليتها، فليست بيني وبين أحد (والحمدلله) خصومة، ولكنها كلمة مخلص لوجه الله.

وسيكون الطرح على مرحلتين: الأولى: بها مقالات مطولة عامة لتسليط الضوء على بعض المشكلات الجادة، وقد تحتوي المقالة على أكثر من موضوع ولكن ستأتي المعالجة بسيطة وعامة، المرحلة الثانية: وهي التصدي لبعض القضايا الوطنية بصورة مفصلة.

وإنني أدعو الجميع كتابا وباحثين وقراء أن يكون هدفنا «الوطن للجميع وفوق الجميع» علينا أن نتلمس خطانا بحذر شديد، وأن نتقصى الحقيقة وأن نبحث عنها، وأن نساندها ونثبت بها ونقدمها للمسؤولين خالصة لوجه الله والوطن، وأن ننتقد ما نشاء بعيداً عن التشهير والتجريح، وألا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله. وألا يكون ذلك بصورة عتريّة، فالنقد سهل ولكن التنفيذ يحفه الكثير من المشكلات وعلينا أن نقدر ذلك تماماً.

وأقول لإخواني في السلطة التنفيذية أنتم تعملون جادين مشكورين مأجورين بإذن الله، وظالما هناك عمل فلا بد وأن يكون هناك خطأ، فليس مبرراً من الخطأ. فالخطأ صفة بشرية، وخير الخطائين التوابون كما أرشدنا رسول الله الحكيم، إذا كان الأمر كذلك فعليك يا أخي أن تقبل النقد بصدر رحب ولا تضق بكلمة هنا أو عبارة هناك، فالهدف هو تصحيح المسار وليس تصعيد الأخطاء، فالبقاء للأصلح دائماً.

وإلى إخواني في السلطة التشريعية، أقول: إنكم مع بداية تجربة ديموقراطية جديدة سيعترضها الكثير من العقبات، وسيشدكم ما وعدتم به الناس أثناء حملاتكم الانتخابية إلى اتخاذ بعض المواقف التي ستكون ذات حق لنا جميعاً. لذا أذكر نفسي وأذركم بأن المغالاة في الطرح ستؤدي إلى الانحراف، وقد يتسلل في صفوفنا غربان الانتهازية بهدف البعد بالمسيرة الديمقراطية عن طريقها الصحيح، فلا خوف من قول الحق والوقوف معه، ولا تأخذكم في الحق لومة لائم، بشرط أن نكون منصفين للجميع دون

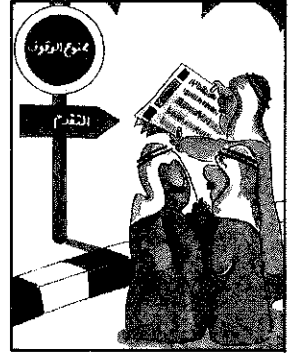
تحيز أو تجن. ما دام هدفنا البناء وليس الهدم، والعطاء وليس الأخذ، والتضحية والإيثار وليس الأنانية، ولنتذكر دائماً أن الشعب بل العالم كله ينظر إلينا بترقب وآمال كبيرة؛ لنعيش بسلام وطمأنينة في ظل دستورنا وبطريقتنا الكويتية المتميزة.

هذه المقدمة وجدت أنها ضرورية لتتعرف على بعضنا البعض، وألا نسيء إلى أنفسنا، ومن هذا المنطلق سأكتب اجتهاداتي داعياً المولى جلت قدرته أن يوفقني إلى ما يحبه ويرضاه، وأن نضع الآية الكريمة التالية نصب أعيننا ﴿يأيتها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾.

ولنتذكر دائماً قوله تعالى:

﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعفُ عنا وافرغ لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

والله الموفق



الجسم الوظيفي المتداعي (*)

حتى نصلح الجهاز الوظيفي لابد من عقود سنوية للكويتيين ضجة كبيرة في كل الصحف.. والخبراء في الإدارة وتطوير الأداء الصحيح (على ظهر من يشيل!!) الاتهامات للقيادات الإدارية العليا ظهرت من اليمين والشمال.. والوزراء مطالبون بتغيير القيادات.. الوزراء مطالبون بعمل ثورة إدارية في وزاراتهم.. والوزارات يحكمها حرامية وفسادون.. الجهاز الوظيفي فاسد، والكل يصب جام غضبه على هذا الجسم الوظيفي المسكين.

وكلاء قدموا استقالاتهم أمام الوزير.. وكلاء لم يقدموا استقالاتهم أمام الوزراء.. كل هذا الشد والأخذ والتذمر والاتهام يقصد به الجسم الوظيفي.. أو الخدمة المدنية التي تعتبر العمل المدني الموازي للخدمة غير المدنية كالعسكرية.

هذا يردده الناس في جلساتهم ومداوماتهم اليومية، ولكن ما هي الحقيقية ياترى وراء كل هذه الضجة الكبيرة؟ لماذا نستسهل الهجوم على الجسم الوظيفي؟ لماذا «صاير طوفة هيطة؟» ولماذا أصيب هذا الجهاز بالشلل في الأداء وعدم وجود الكفاءة المطلوبة فيه، وخاصة إنه جهاز يكلف

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١١/٨/١٩٩٢.

الدولة أكبر قسط من ميزانيتها؟ هل السبب هم الوكلاء والقياديون؟ هل السبب هم الوزراء؟ هل السبب هو نوعية شاغلي هذا الجهاز الكبير المكلف جداً على الدولة؟!

من تجربتي الطويلة مع الجهاز الوظيفي وأدائه أجزم بأن الخلل الرئيسي ليس بالقياديين فيه، لأنهم لا يشكلون أكثر من خمسة في الألف من قوة الجهاز، وأغلبهم أصبحوا الآن ممن نسميهم بالقيادات الشابة من الخريجين، وهي قيادات شابة حقاً وقليلة الخبرة، ومع الأسف الشديد مطالبون بعمل المعجزات، وأعتقد أن أكثر فئة مظلومة في هذا الجهاز هم القياديون.. فهم الوحيدون الذين يشغلون وظائف مؤقتة، أي في عقود تتجدد كل أربع سنوات، أو حتى في بعض الأوقات أقل من ذلك. وهذا الوضع يجعلهم أقل أداء وعطاء، حيث إن توقيت قمة الهرم الوظيفي، وتسبب باقي الهرم الوظيفي هو قمة الفوضى وعدم المسؤولية. فهذا القيادي المسكين ضائع بين إرضاء سيده ألا وهو الوزير، ومصارعة الجهاز الذي يترأسه، حيث إنه لا أمر له عليهم، لأن أفراد الجهاز الوظيفي يدخلون فيه دون أي تنظيم أو اختبار أو إبداء الرأي من قبل القيادي في الوزارة، فنجد أعداداً كبيرة تحولت إلى جهازه من ديوان الموظفين وعليه أن يلبي الأمر دون أي تعليق.. وإذا ما طالب أو تردد فإن علاقته مع الجهاز المركزي للتوظيف سوف تشوبها المشكلات والتعطيل. خاصة إذا كان يقود جهازاً لا أمر له عليه ولا سلطة، لأنه لا يستطيع حتى إنهاء خدمات أصغر (فراش)؛ لأن (الجرجرة) التي يتعرض لها من جانب، والمحكمة الإدارية وسيف السلطة عليه من جانب آخر. وقبل أن يتمكن من أن يفصل أي موظف عليه أن يحصل على تقرير (ضعيف) من رئيسه المباشر، وأغلب الرؤساء متورطون مع من يعملون تحت إمرتهم أسوة بالقياديين، ويخافون أن يعطيهم تقريراً ضعيفاً، وتكون الملامة من قبل هذا الموظف مهما كان صغيراً.

فلذلك أصبح من الأسهل أن يقبل القيادي الأمر الواقع دون أن يدخل في متاهات قد يضيع فيها.

وهكذا فإنه يجد نفسه أمام جهاز بيروقراطي محكم الجوانب، ومصالح العاملين فيه تفوق أي قوة مهما عظمت.. لأن من خطط للجهاز الوظيفي استهدف التوظيف كعمل اجتماعي وليس كعمل تنفيذي، وأصبح «التعليق» يحل محل التكليف، والروتين بدل الإنجاز الفوري. وقد يكون هذا الكلام فيه بعض القسوة، ولكن هذا نتاج تجربة أكثر من ثلاثين سنة مع الجهاز الوظيفي الحكومي، وقد عشت عدة محاولات حتى من قبل أن يأمر صاحب السمو الأمير باستدعاء خبراء وذلك قبل عشر سنوات، لإصلاح هذا الجهاز، ولكن كل المحاولات فشلت لأن هناك قراراً أساسياً لم نجروء على إصداره حتى الآن. وهو أمر بسيط نجده في أغلب المؤسسات الحكومية المستقلة، حيث إن النظام الوظيفي فيها مبني على التعاقد المباشر مع كل موظف كويتي أو غير كويتي، والجميع يخضعون للقيادات، والقيادي يخضع لمجالس إدارات هذه المؤسسات. والأمثلة كثيرة: (مؤسسة الموانئ، التأمينات الاجتماعية، المعلومات المدنية، وغيرها، وكذلك الشركات الحكومية المختلفة). وهذا أكبر دليل على أن العيب ليس في الموظف القيادي في الجهاز الحكومي، ولكن العيب في النظام الوظيفي للجهاز الوظيفي الحكومي.

فالمسألة بسيطة ولا يوجد طريق آخر غير اتخاذ هذا القرار السياسي الهام ومجابهة الموظف الكويتي، إن العمل في الجهاز الحكومي يجب أن يكون يعقود تتجدد كل سنة. فمن أنجز عمله وأداه بأمانة وإخلاص كوفىء وجدد عقده.. ومن لم ينجز العمل وتكاسل وتقاوس فعقده لا يجدد.

قد يقول البعض بأن هذا ظلم للموظف الكويتي وحرمانه من حقه الدستوري (الذي نفهمه مع الأسف الشديد بصورة خاطئة)، وكأن الحكومة

مسؤولة عن إيجاد وظيفة لكل كويتي. ومن يقرأ المادة «٤١» من الدستور يجد أنه ليس من واجب الدولة توظيف كل فرد كويتي بل تساعده على حرية الاختيار وتوفير سبل تحقيق ذلك. لذا فمن واجب الحكومة بل على مجلس الأمة التعاون معها لاتخاذ القرار الصعب؛ لتغيير هذا المفهوم لدى الناس. فالحكومة لاتريد أن تسبب لنفسها أي إحراج، وكذلك عضو مجلس الأمة لا يستطيع أن يأخذ مثل هذا القرار لأنه قد يغضب أغلب ناخبيه، خاصة إذا كانت نسبة الموظفين الحكوميين بين الناخبين أكثر من ٩٠٪. وبالتالي لايجوز أن نطلب من جهاز ليس ضمن أسلوبه العقاب والثواب بأن ينجز ويؤدي عمله؛ لأن هذا ينطبق على الأنظمة المركزية.. والاشتراكية فقط.. وحتى هذه الأنظمة انهارت وتدمرت. أما الأنظمة الحية فهي التي تطلب كل إنسان بالعطاء، والأجر دائماً على قدر العطاء، وهذا هو أسلوب الإسلام الذي يحاسب الإنسان يوم الحساب على مقدار ما قدم وأعطى وأنجز من أعمال يكلف بها في هذه الدنيا.

والله يقول:

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ التوبة ويقول:
﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ (المطففين).

العملية إذن بسيطة من حيث الشكل، ولكن من يجرؤ (على أن يعلق الجرس!!) وإبلاغ الموظفين في الجهاز الحكومي بأن أيام التسيب والعلاوات والترقيات الدورية قد انتهت، وسيحل محلها الثواب لكل من ينجز، والعقاب لكل من يتهاون ولا ينجز.. وببساطة تحقيق مبدأ (العقد شريعة المتعاقدين).

ودون هذه الخطوة الجريئة لاتسألوا عن الأداء الوظيفي، ولاتضيعوا وقتكم في دورات وهمية وشكلية، ولا تطالبوا القياديين بالعطاء والإنجاز، ولا من الوزراء القيام بثورة إدارية.. لأن أساس هذا الجسم وكل لبنة في بنيانه

ليس مبنياً على أسس سليمة، فالكل متعود على المطالبة بحقوقه، وليس على استعداد لمعرفة واجباته، وليس على مبدأ تكافؤ الفرص، والشخص المناسب في المكان المناسب.. والثواب والعقاب.. بل مبني على أمور كثيرة معروفة لدينا جميعاً!!! ليس من بينها الكفاءة والقدرة على العطاء.

وبطبيعة الحال كل هذه الأمور لن تتحقق ما دمنا لا نعمل جدياً إلى تحويل الأنشطة الحكومية إلى مؤسسات مكتملة الأركان، تستطيع تحمل المسؤولية بصورة كاملة مهما كانت القيادات التي تديرها، ولا تتأثر بها إلا بمقدار ما لديها من إمكانية دفع العمل في هذه المؤسسة إلى تحقيق أهدافها. فلنعمل على استكمال دولة المؤسسات بدلا من الأسلوب الحالي الذي تسيير عليه أمورنا في الكويت.

ولتكن النفحة الجديدة في المجتمع، وعودتنا إلى وطننا واكتمال أركان السلطات في الوطن.. منطلقاً إلى آفاق جديدة من العطاء والإنجاز والبناء.. وأساس هذا البناء هو إصلاح الجسم الوظيفي.. ويجب أن نتخذ القرار الحاسم لمعالجته دون خوف أو وجل..

وسوف أتعرض لأسلوب الإصلاح إذا عقدنا العزم على تطوير وتحديث الجسم الوظيفي وتوفير سبل الشفاء له.

ولنتذكر قوله الله تعالى: ﴿وقل اعلموا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾. (التوبة) / ١٠٥ .



لو قررنا إصلاح الجهاز الوظيفي*

هل هناك حلول؟

في الأسبوع الماضي تطرقت إلى الظلم الواقع على القياديين المسؤولين عن الجهاز الوظيفي الحكومي واتصل بي البعض يقول: «لماذا هذا الهجوم القوي على الجهاز الوظيفي؟ أين كنت عندما كنت مسؤولاً في الحكومة. وقد كنت أحد أعضاء مجلس الخدمة المدنية؟»، واعتبرني البعض متحيزاً للقياديين وظلمت باقي الموظفين.

لا أود الرد على كل هذه المطالبات، حيث إنني ذكرت في مقدمة مقالاتي هذه، دعونا من البكاء واستذكار الماضي، وعلينا بالحاضر نعيشه، والمستقبل نعد له وطننا العزيز بجمع مقومات الحياة؛ لأنني قد وعدت القراء بأنني سأقدم باقتراحات لإصلاح الجهاز الوظيفي.

وأنا إذ أتقدم بهذه الاقتراحات أتمنى أن الأخ وزير العدل والشؤون الإدارية سيأخذ بعين الاعتبار بعض هذه الاقتراحات إذا كان يريد حقيقة إصلاح هذا الجهاز.. وأذكره عندما كان مسؤولاً مع الأخ حمد الجوعان وبعد ذلك مع الأخ ضاري العثمان عندما كنت أتصارع معهم مطالباً بحقوق الفنيين والأطباء وجهاز الخدمات الطبية في وزارة الصحة. وكنت أشعر بأنهم

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٥/١١/١٩٩٢م.

موافقون معي، ولكن القوانين والظروف التي يعيشون فيها جعلتهم يرددون دائماً: إذا أصلحنا فقط الجهاز الفني بوزارة الصحة فما هو العمل بالنسبة لباقي الوظائف في الجهاز الحكومي، والمساواة بينها؟ ومبدأ المساواة والحصول على المكاسب والحقوق، ومبدأ المساواة في العطاء وتأدية الواجب؟ هذا المبدأ المعرقل الكثير من خطوات التطوير وتحسين الأداء في الجهاز الوظيفي الحكومي، لذلك كان مبدئي أن الأساس في العمل أن تكون المساواة بين الحقوق والواجبات. فليس من المعقول أن تكون رواتب الأطباء هي نفس رواتب الموظفين الإداريين، رغم عظم المسؤوليات والواجبات التي يتحملها الطبيب والفني. . وحتى لو تساوت الساعات في العمل. . فتحمل مسؤولية مريض لمدة ساعة سواء أكان في العلاج أو العمليات تساوي أضعاف ساعة الإداري الذي همّه أن يجتهد في أساليب الراحة، وعدّ الساعات لقبض الراتب والضيافة، واستعمال أغلب ساعات عمله لأمر قد لا تكون من صميم عمله، لأن عمله أصلاً لم يقنن، ولا يوجد وصف وظيفي محدد له، وإن لم تغلب عليه المصالح الخاصة. . ومع ذلك فمعدل عمل الطبيب لا يقل عن ٦٠ ساعة في الأسبوع مقابل ٣٤-٣٦ ساعة من عمل الإداري. وبجانب ذلك مسؤوليات الخفارة والالتزام بمتابعة حالة المرضى دون الالتزام بالدوام الرسمي.

على كل حال لا أريد أن أطيل، ولكن فقط أردت أن أبين أن الواجبات والحقوق مختلفة بين العاملين في الجهاز الوظيفي، فلذلك كان الإنصاف أن تختلف أيضاً الرواتب والامتيازات بحسب حجم المسؤولية ومستواها وأهميتها. وهذا هو البند الأساسي (في رأيي) لإصلاح الجهاز الوظيفي.

أما المبادئ الأخرى فهي:

(١) مبدأ الكفاءة لدى الموظف؛ فليس كل موظف في الوظيفة الواحدة

متساوياً مع زميله، فهناك فرق في مستوى التعليم. فمن تخرج بتقدير جيد جداً لا يستوي مع من أخذ الشهادة بتقدير مقبول، وهذا إذا كان من نفس الجامعة ونفس التخصص، وهذا الأمر يجعل من الأهمية بمكان أن نضع قواعد للاختيار، وخاصة بالنسبة للخريجين، يشتمل على اختبار مكتوب ومقابلات شخصية؛ للتعرف على النواحي الشخصية وكفاءته في تحويل ما تعلمه نظرياً إلى واقع العمل.

٢ - بعد الاختيار يجب أن نضع دورة توجيهية وتدريبية مكثفة نعرف المتقدم للعمل على تفاصيل العمل الذي سيقوم به، وأن تكون من قواعد هذه الدورة مشاركة العاملين القدامى في الوزارات المعنية وأصحاب الخبرة.

٣ - الوصف الوظيفي ومطابقة هذا الوصف الوظيفي مع خبرات وشهادات المتقدم للعمل. ولا زلنا مع الأسف الشديد لم نحدد حتى الآن وصفاً وظيفياً دقيقاً للوظائف العامة: (كالسكرتير - وأمين الصندوق - وأمين المخازن ورؤساء الأقسام والمدراء وغيرهم..). ناهيك عن الوظائف الفنية والمهنية. فبدون هذا الوصف الوظيفي لا تستطيع الجامعات والمعاهد إعداد الكوادر اللازمة للجهاز الوظيفي.

٤ - التدريب المستمر، فلا يجوز أن يبقى أي فرد في وظيفة ويطرق فيها على السلم الوظيفي دون أن يكون هناك اختبار كتابي وشفهي وإثبات الكفاءة واللياقة قبل أن يترقى موظف من مستوى وظيفي إلى مستوى آخر.

٥ - بعد أن نكون قد استكملنا هذه المراحل والتوظيف نبحث عن المكافآت الممتازة والدرجات التقديرية، فالمكافآت المعمول بها حالياً لا تتعدى كونها مكافآت عشوائية حاولت شخصياً عندما كنت وزيراً أن أضع لها قواعد ثابتة كماً ونوعاً، فمثلاً الساعات التي يتواجد فيها الشخص إضافة

إلى دوامه الرسمي، الانضباط في العمل والدوام، الإجازات الطبية، المشاركة في الأعمال مع الإدارات المختلفة في الوزارة وذلك بجانب التقييم الكيفي وهو نوعية الأداء ومستواه واهتمامه في تطوير العمل كالأبحاث والدراسات، والمساهمات النوعية في تحسين أداء العمل، ومع ذلك حاولت المستحيل أن أطبق هذا التقييم لاختيار الممتازين حتى نبرزهم أمام العاملين في الجهاز الوظيفي، ولكن لم أستطع؛ لأن أي مقياس للتقييم إن لم يكن عاماً ومحايداً وغير منحاز يصبح أمر من الصعب تطبيقه. . . فلذلك كان وضع هذه المقاييس لاختيار الفئات المبدعة والتميزة في الجهاز الوظيفي أمراً هاماً جداً.

وهناك أيضاً التقدير المعنوي للعاملين في أي جهاز. . . وخلق روح المنافسة بين العاملين؛ كاختيار موظف السنة أو مهندس الشهر، أو مدير السنة، أو مسؤول البدالة المتميز، وغير ذلك من العوامل التي تساعد الإنسان وتجعل المنافسة بين العاملين أمراً حيوياً، وذا مردود جيد حتى على الجسم الوظيفي.

وكثير من الدول أخذت بهذا القرار، فنجد أن هناك معاهد خاصة للتطوير الإداري، تعمل على تدريب مستمر للعاملين في الجهاز الحكومي، وهذه المعاهد عادة تقوم بعمل هام ليس في تطوير الجهاز الإداري وتقييمه، ولكن في القيام بدور التفتيش والمحاسبة بصورة دائمة. ثم. . . نحن في حاجة إلى مثل هذا المعهد الذي يتولى مثل هذه المسؤولية الكبيرة، ولنا في الشقيقة المملكة العربية السعودية مثل لكيفية القيام بالتطوير والتقنين والاعتماد على الكفاءات السعودية في الجهاز الوظيفي بشكل يدعو للفخر والاعتزاز، وعسى أن نتعلم من جارتنا العزيزة هذا العمل الوطني الكبير.

وفوق هذا كله، يجب أن يكون هناك أسلوب لتقدير المبدعين على

مستوى الدولة، يكرمهم صاحب السمو الأمير بإعطائهم الأنواط كالعسكري، والمكافآت المادية، ويكون لهم امتيازات معينة حتى يصبح العمل والخدمة المدنية شرفاً، والإبداع فيه عملاً وطنياً يكافأ عليه الفرد كما يكافأ العسكري المبدع بصورة مستمرة.

هذه بعض الاقتراحات التي أقدمها عليها تساعد الأخ وزير العدل والشؤون الإدارية في بث روح جديدة في الجسم الوظيفي الذي من دون تغييره وتحديد الأمراض التي يعاني منها لن يكون للكويت قائمة.

إن هذا الجسم هو المركز الأساسي الذي من خلاله يمكننا بناء الكويت ورفع رايته أو يتسبب في تأخر الكويت وتبديد ثرواتها.

هذه الحقيقة هي أكبر تحد للحوكمة والمجلس التشريعي، ولعل الوقت مناسب جداً بأن نبدأ بداية صحيحة ونقول لكل عامل مبدع (بارك الله فيك) ونجزل له العطاء. وكل عامل متخاذل نقول له مع (ألف سلامة) ونزيله كعقبة أمام التقدم والازدهار للكويت العزيزة.. والله يكون في عون (الأخ العزيز مشاري العنجري) الموظف الخبير بشؤون الموظفين وممثل الشعب المحافظ على حقوقه وأمواله، والوزير المسؤول عن أهم جهاز تقع عليه مسؤولية البناء أو الفناء، داعياً له من الله ومن كل قلبي التوفيق والسداد.

ولنتذكر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ صدق الله العظيم.



الزلزال (*)

إن زلزال الثاني من أغسطس ١٩٩٠ يجب أن نندارسه جميعا ولا يغيب عن بالنا، لقد ترك جرحا غائرا في النفوس والعقول والقلوب، وكانت له آثار مختلفة في كل نواحي الحياة اختلفت من فرد لآخر وانعكست على الجميع وستبقى زمنا طويلا.. ورغم أن بعضا من الزملاء قد تعرض بالحديث عنها إلا أنها من وجهة نظري تحتاج إلى المزيد من الدراسات الجادة التي تستحقها، وسأفرد لها مقالا أو مقالات أدلي فيها بدلوي. ورغم سلبات الأزمة، إلا أن لها جانبا آخر فيه بعض الإيجابيات، فرب ضارة نافعة.

جزى الله الشدائد كل خير عرفت بها عدوي من صديقي
صديقي من يقاسمني همومي ويرمي بالعداوة من رمانسي

إحدى هذه الإيجابيات أننا استطعنا أن نتبين الصديق من العدو، فانكشفت وجوه قبيحة طالما تزينت واختفت تحت قناعات مزيفة خدعنا عنها طويلاً، فمددنا أيدينا إليهم وأسكناهم ديارنا وأجزلنا لهم العطاء وقت الشدة والرخاء، وما لبث أن وقع زلزال الغزو حتى ظهرت على حقيقتها هذه النفوس الضعيفة الرخيصة كأفعى متسللة من جحرها تنفت سمها في

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١١/٢٢/١٩٩٢.

وجوهنا، وتحاول قتلنا ونحن بين حائر ومكذب.. إلا أن بعضاً من شعوب هذه الدول ما لبثت أن تبينت الحقيقة فعادوا إلى رشدهم وإلى الحق يساندونه ويدافعون عنه، وهذه قضية هامة يجب أن تكون تحت أنظارنا إعلامياً وسياسياً. فحتى هذه الشعوب التي خدعتها حكوماتها يجب علينا ألا نتركها لتقع فريسة للأعداء، بل إن الحق الكويتي يجب أن يشرح لهذه الشعوب لتعرف الحقيقة ولتنضم إلى مسيرة الحق والعدل.

أما عن الشعوب والحكومات الصديقة فكانت وقفها وفتة ربانية، فقد اندفعت تلك الشعوب بتلقائية وعفوية عجيبة لم ينظمها حزب ولا حكومة ولكن دفعا للظلم عن المظلومين ودفاعاً عن الحق.. ولم يكن ذلك قاصراً على فئة دون أخرى. فذاك سائق التاكسي الذي يرفض تحصيل أجرته من أولئك المطرودين والمطاردين من وطنهم بعدما يتبين له أنهم قادمون من الكويت، وهذا رجل فقير يقدم ما لديه ويمد يد العون لإخوانه الكويتيين، وهذه نقابات الأطباء والصيادلة والمعلمين وغيرهم، والجامعات والمدارس تفتح ذراعيها لأبنائنا لتحتضنهم وتضمدهم جراحهم.. لقد رأيت وسمعت قصصاً كثيرة تدل على المروءة والشهامة لهؤلاء جميعاً.. حدث هذا في (مصر وسوريا والهند وباكستان والسنغال وغيرها من دول العالم) ولم يكن قد لاح بالأفق بوادر عمل جماعي لتحرير الكويت، وصدرت عن هؤلاء البسطاء من القوم نابعة من القلب فطرية الهدف، وهو الوقوف مع الحق أينما كان. ودارت الأيام وستُرب العزة من يقف معنا مع الحق والعدل والخير والسلام، فكانت وقفة رجل واحد. وكان نصر الله والفتح.

كنت أتأمل ساجداً لربي شاكراً لأنعمه، وأتساءل: هل البترول هو السبب في هذه الوقفة؟ هل المال هو السبب؟ هل تكاتف أهل الكويت وتأزرهم هو السبب؟ قد تكون هذه الأسباب جميعاً وراء هذه الوقفة وقد

تتوفر هذه العناصر ولكن لا يحدث ما حدث. وتأملت وتأملوا معي قول الحق ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ وقوله سبحانه: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾. ولكن ما السر وراء هذه الهداية الربانية؟! في نظري، إن أعمال الخير التي صدرت من الكويت سواء الحكومية أو الشعبية الكثيرة في كل أنحاء الدنيا ودعاء الصالحين من أبناء هذا البلد الطيب وجميع المظلومين الذين كانوا على أرض هذا الوطن، والذين قاسوا منه أثناء الغزو الغاشم، (فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب). كل هذا مع ما سبق كان الرصيد الحقيقي عند رب العباد ليسخر لنا الجميع مسلمين وغير مسلمين وتدور المقادير لتتحرر الكويت (فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم) الحجرات.

دعاوى ظالمة

هذه الخاطرة ألحت عليّ وأنا أطلع بعض الدعاوى التي تظهر بين الحين والآخر بالانكفاء على الذات، أو تقليل مساعداتنا الخارجية أو عدم إعطاء أهمية للإخوة الوافدين، أو الدعوة لوقف أعمال الخير خارج الكويت.

ورغم قلة عدد هذه الدعاوى، ورغم تصدي البعض لها، ورغم تقديري للظروف النفسية للإخوة أصحاب هذه الدعاوى والتي صدرت عنهم وهم في حالة غضب شديد وتنكر للقيم.. إلا أنني أنبه هنا بأنها دعاوى ظالمة، وأقول إذا كان هناك المسيء فهناك المحسن، وإذا كان هناك الجبان فهناك الشريف والنبيل.

الوافدون جزء لا يتجزأ من العمل . . فلنحسن إكرامهم

فالوافدون في أي موقع يعملون فيه يقدمون خدماتهم الجليلة في مجالات النقص الكبير الذي نعاني منه، وليست قاصرة على فئة دون أخرى وابتداء من الخادم والخدمة في البيت (ونحن نذكر جميعاً الضجة الكبرى التي حدثت في بداية أيام التحرير بسبب نقص هذه العمالة) وعمال النظافة، والطبايع والحرفيين والمهنيين من أطباء وصيادلة ومدرسين وأساتذة جامعة وغيرهم، وغيرهم كثيرين. والسؤال: هل نحن في غنى عنهم؟ أظن أننا جميعاً متفقون بأنهم يمثلون جزءاً لا يتجزأ من العمل داخل الوطن . . إضافة إلى ذلك فهم قوة اقتصادية كبيرة داخل الكويت لتحرك العجلة الاقتصادية، فهذا العدد الكبير من المساكن الخالية والمحال التجارية المغلقة بل وحتى المفتوحة تعاني من ركود اقتصادي خطير، وطالمانحن لم نشعر هؤلاء بالأمن والأمان، فلن يقدموا على البيع والشراء، فالكل اليوم يعيش بصورة تكاد تكون مؤقتة، من أكبر درجة علمية إلى أصغر شخص، ونحن السبب في ذلك لعدم إشاعة الأمان لهم بأنهم مستقرون في أعمالهم إلى حين. أيضاً كان هؤلاء جميعاً خير سفراء لنا في نجوعهم وقراهم ويذكرون الكويت بالخير والثناء، فهم يعولون أسرهم في أقاصي بلادهم وكانوا دعاة لنا دون أن نطلب إليهم، وهذه نتيجة الخير الذي قدمناه فجازانا رب العالمين خير الجزاء.

وما دام الأمر كذلك فهم ضيوفنا وواجب المضيف نحو ضيفه إكرام وفادته وإجزال العطاء له، والتخفيف من معاناتهم في معاملاتهم اليومية في المصالح الحكومية، وتسهيل مهمتهم وإشعارهم بالأمن داخل وطننا . . ليبارك لنا رب العزة فيما رزقنا، فلهم ما لنا وعليهم ما علينا وديننا الإسلامي الحنيف يأمرنا بذلك، فالرسول ﷺ يقول «من كان يؤمن بالله ورسوله

واليوم الآخر فليكرم ضيفه.. ومن الناحية الإنسانية والعالمية، فدعوة الاستعلاء عليهم مرفوضة، وعلينا أن نعطي كل ذي حق حقه.

وأضيف أكثر من ذلك؛ فإن زلزال الثاني من أغسطس أثبت لنا بما لا يدع مجالاً للشك، بأن العالم أجمع هو عمقنا الاستراتيجي وهو رصيدنا الحقيقي ويجب علينا أن نستثمره وننميه.

وأنتهز هذه الفرصة لأطلب من الإخوة والأخوات الكويتيين والكويتيات أن نعي درس الغزو فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح أذكرهم بأننا جميعاً رعاة وكل منا مسؤول عن رعيته.. إننا أثناء الغزو استطعنا أن نحقق لأنفسنا أسباب البقاء والعيش فكان هناك (الزبال والخباز والمغسل والمكفن والبائع والبشرجي) ولم يستنكف أحد عملاً بعينه بل كان التكاتف والتكافل والتكامل هي الصفات الرئيسية لتلك المرحلة.. ولكن بعد التحرير وللأسف بدأت الحياة تعود مرة أخرى كما كانت قبل الغزو.. المكاتب الحكومية تمتلئ بالوظائف الكتابية، بل بدأت تظهر مشكلة البطالة بين الخريجين والخريجات.. والسؤال الذي يطرح نفسه علينا اليوم: هل نحن جادون في أخذ زمام المبادرة لإدارة شؤون بلدنا بأنفسنا؟

إذا كان الأمر كذلك؛ فإن ذلك يحتاج إلى دراسة المشكلة تخطيطاً وتعليماً وتأهيلاً ولنا فيها عودة (إن شاء الله).

تلك خاطرة أردت أن أنبه إليها قبل أن تتحول إلى ظاهرة اجتماعية تسري بيننا دون أن ندري، وقد تجد في النفوس الجريحة مكانة، وقد يستغلها البعض لتوسيع الهوة بيننا وبين أشقائنا للوقعة والخديعة. وتدبروا معي قول الحق تبارك وتعالى ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

ولنتذكر قوله تعالى: ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

العمالة الوافدة

هناك أيضاً قضية خطيرة لا تقل عن السابقة وهي العمالة الوافدة.. فنحن لم نستقدمهم إلا لأننا في حاجة ماسة إليهم خاصة بعد التحرير. إن الكويت بوضعها المتميز وصغر مساحتها وقلة سكانها ووفرة ما أفاء الله عليها، بما نحن مستخلفون فيه كل هذا يفرض عليها ضرورة إيجاد علاقات متميزة مع العالم أجمع شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً..

يفرض علينا أن نسعى إلى الخير لنقيمه لمن يستحقه على أرضه، ويجب أن يكون هذا أسلوباً في حياتنا وهدفاً رئيسياً لنا؛ فهي الصالحات الباقيات، والرصيد الذي لا ينضب أبداً، وإذا كانت هناك مواقف جاحدة من البعض، فعلياً أن نتدارسها للتعرف على الأسباب التي أدت إلى ذلك، وكيفية التغلب عليها وكيف نحولها لصالح قضيتنا. فالكويت لا تتحمل زيادة عدد الأعداء بل مزيداً من الأصدقاء. إضافة إلى ذلك وبرغم أن الكويت قبل الغزو كانت سباقة إلى الخير داعمة له بشهادة الجميع، ومن الإحصائيات التي نشرت أثناء الغزو؛ حيث تبين أن الكويت في مصاف الدول بل أعلاها في تقديم المعونات إلى الجميع، تقدمه طواعية منها ولم يكن لديها من قضايا تشكو منها أو مطامع تهدف إليها، بل شعور منها بأن تشارك العالم أفراحه وأتراحه، إلا أن الوضع بعد الغزو أصبح أكثر إلزاماً لنا، فالعالم اليوم يشعر ومعه كل الحق بأنه ساهم مساهمة فعالة في استرجاع حقنا ووطننا.. ولذلك فإنه يرقبنا بعين ناقدة ويتوقع منا الخير الكثير، وهناك من يحاول أن ينفث

بيننا آراء خاطئة ودعاوى (بالانكفاء على الذات) وهي دعوى قاصرة، فالدول الكبرى التي لديها من القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية مثل الولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا واليابان وألمانيا والاتحاد السوفياتي سابقا والمملكة العربية السعودية لم تفكر أي منها لحظة واحدة في (الانكفاء الذاتي) رغم عدم حاجتها إلى كثير من الدول الصغيرة الفقيرة التي تقدم لها العون، وزلزال الاحتلال يثبت خطأ هذه المقولة، ولعل الكثيرين لا يعلمون كم من الجهود المضنية الدبلوماسية وغير الدبلوماسية بذلت لدى بعض الدول التي وقعت فريسة لدبلوماسية غدار العراق وإعلامه لإقناعهم بالحق الكويتي وزيف ادعاءات العدو.

فحاجتنا اليوم إلى مساندة العالم أجمع هي أكثر بكثير عن ذي قبل، ولهؤلاء جميعا دين في أعناقنا يجب علينا أن نوفيه، ولنا في قائد مسيرتنا قدوة حسنة، فقد آلى سمو أمير البلاد على نفسه في وقت كنا جميعا نحاول أن نكفكف جراحنا بعد التحرير، أقول آلى على نفسه قبل أن يستريح ويلتقط الأنفاس من عناء شهور مرت علينا جميعا كدهر طويل وليل حالك الظلام إلا أن يذهب سموه بنفسه ليقطع آلاف الأميال متحملاً كل هذه المشاق؛ ليقدم للشرفاء من أبناء هذا العالم الشكر والثناء، وأنا على العهد باقون وللجميل حافظون، وعن الحق مدافعون لا فرق بين دولة غنية وأخرى فقيرة. هذا الوفاء من قائد المسيرة يوجب علينا نحن أبناء الديرة أن نترجمه إلى أعمال الخير والبر ومساندة الحق والوقوف معه والتصدي للظلم أينما كان وحيثما وقع. . . ولقد سمعنا جميعا ما أذاعته بعض الإذاعات ونشرته بعض الصحف من تهويل لبعض التجاوزات الفردية لأحداث حدثت مباشرة بعد التحرير كادت أن تلتصق بالشعب الكويتي بما ليس فيه، وبدأت جمعيات حقوق الإنسان تثير كثيراً من هذه الأمور في المحافل الدولية. . . ورغم أن هذه التجاوزات تحدث في كل بلدان العالم، علاوة على أنها فردية وليست

بالصورة المنظمة، لكنها كانت كبيرة أمام العالم يريدون أن يقولوا لنا: لقد ناصرناكم على الظلم حتى تحررتم، فالأولى بكم أن تنشروا العدل بين الجميع. . فما بالكم اليوم تتكرون لما تناديتم به بالأمس؟! لذلك يجب علينا والعدسات المكبرة مسلطة على الكويت أن نثبت لهم أننا شعب خير طيب يسعى للخير ويساهم فيه، ونستحق الدعم المادي والمعنوي الذي قدم لنا أثناء تحرير بلدنا. وإذا كانت هناك قلوب جاحدة ونفوس ضعيفة فعلينا أن نقومها وأن نبحث عن الأسباب وراء ذلك حتى نعالجها.



«أكيد فينا غلط» فلنبحث عنه ولنصلحه (*)

في زيارتي الأخيرة (لأبوظبي) لحضور مؤتمر جمعيات الهلال الأحمر العربية، وما أن خرجت من قاعة المطار متجهاً نحو الفندق، حتى كنا نسير وسط حديقة غناء فيها من جميع الأشجار والشجيرات والورود بشتى ألوانها الزاهية، والسائر في الطريق لا يرى إلا الخضرة.. والخضرة.. والخضرة.. نخيل.. لوز.. سدر.. جوز الهند.. الخ. وكانت فعلاً مفاجأة؛ حيث إن النازل بالطائرة لا يلاحظ من الجو هذه الحديقة الجميلة التي اقتطعت من قلب الصحراء، وعادت بي الذاكرة إلى أول زيارة لأبوظبي، عندما ذهبت لمقابلة المرحوم الشيخ شخبوط سنة ١٩٦٦ في دكان بسيط قرب البحر وما يحيط به عبارة عن مبان بسيطة أقرب ما تشبه شواطئ «الدمنة» السالمية حالياً، وبيوتها البسيطة على ساحل البحر.

وكلمة مستحيل هي التي كانت تبرز وأنا سارح الخيال في هذه الذكريات البعيدة فلم أستطع أن أقنع عقلي بأنني كنت في نفس المكان.. أرددها (غير معقول.. ما يصير: إشلون.. كل هذا صار..). وما أن أبدت إعجابي بهذه المناظر الجميلة لسائق السيارة حتى قال: «يا عمي هذا

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ٢٩/١١/١٩٩٢

شيء بسيط . تعال شوف مدينة العين .!! هذا كله من خير سمو (الشيخ زايد) فهو مهتم جدا بالزراعة وتجميل المناطق» ولقد رأيت ذلك بالفعل عندما اقتربنا من فندقنا، مروراً بوسط المدينة . رأيت مدينة دون مبالغة أجمل كثيراً مما نسميها بكبريات المدن، هذه المدن التي كانت جميلة في السابق ويضرب بها المثل، ولكن تلويث السيارات والصناعات قد حولت كثيراً من هذه المدن الكبيرة إلى مدن رمادية اللون وخائفة . . وأغلب أنهارها ميتة وأشجارها شاحبة .

أما مدينة (أبو ظبي) فهي فعلاً رمز جميل للتحدي . . لعمل المستحيل . وهذا الانتقال من الصحراء القاحلة إلى حدائق غناء ومباني حديثة وساحات ومنتزهات جميلة بين هذه المباني يتناسق جميل يدل على شيء واحد: أن وراءها إرادة وأشخاصاً محبين للجمال والبيئة والبذل من أجل الجمال . . ولكن الجمال وحده ليس هو الهدف بل الانتقال من المرحلة الجمالية إلى مرحلة الاستفادة، هو الشيء الذي تحقق أيضاً في (أبو ظبي)، وأصبحت بفضل ذلك أن يكون لديها (اكتفاء ذاتي) من الخضار وغير ذلك من المنتجات الزراعية، وهذه بداية الطريق بالنسبة للاستراتيجية الغذائية .

ومن (أبو ظبي) إلى (العين) مسافة ١٧٠ كليومتراً تقريباً تتكرر فيها نفس المناظر - (والعين) فعلا هي عين المدن الحديثة، وهي عبارة عن حديقة جميلة تقف شامخة بين الجبال القاحلة التي تحيط بها، والنواحي الجمالية أيضاً تنطبق على السواحل والشواطئ، فالبحيرة الصناعية المفصولة عن البحر مقابل (كورنيش أبو ظبي) لهي دليل آخر لتحويل النواحي الجمالية إلى النواحي العملية، فلقد أصبحت الآن بحيرة لسباق السفن الشراعية والزوارق السريعة يشارك الناس فيها من جميع أنحاء العالم، والجزيرة الصناعية ستصبح مركزاً سياحياً جمالياً آخر تعود بالفائدة أيضاً على أهل (أبو ظبي) فهنيئاً لهم .

عضواً إذا أخذتكم بجولة سريعة لبعض الشيء، هذه المدينة وهذا البلد الجميل المضياف.. كيف نفسر هذا؟ ولماذا سبقونا في هذا المضممار؟ ونحن الذين كنا... وكنا..!! أين نحن الآن..؟ ولا يوجد حتى منطقة واحدة جميلة نتباهى بها، ولا شارع يتميز بالجمال والتنسيق، ولا مبنى واحد على المستوى الذي رأيته في (أبوظبي)، ما هو السبب يا ترى؟ هل السبب هو القرار واتخاذة - أم السبب هو الدعم المستمر من الحكومة؟ أم يا ترى أهل (أبوظبي) أحسن منا..!؟

كل هذا ممكن ولكن الأمر يحتاج إلى وقفة محاسبة مع النفس، ندعي بأننا قد بدأنا بالتخطيط الهيكلي منذ ٤٠ سنة، وهناك مخططات هيكلية صرفنا عليها الملايين، وهناك تصورات على الورق لتجميل المدينة على الأقل، أليست هي العاصمة؟. ماذا نرى.. خرائب وساحات رملية وحفريات وطرقاً مقفلة واتجاهات جبرية.. لِمَ كل هذا.. وإلى أين نحن سائرون.. ألم نتعلم حتى الآن الدروس؟ وأصبح من الواجب علينا أن نقف لفترة ونخفف اللهاث وكأن واحداً «يلاحقنا»؟ ودائماً «مسرعون» والمسرع يتعثر كثيراً وكبواته كبيرة، وحياته في خطر، ومع ذلك هذا هو الطابع المميز فينا «مسرعون» ولكن لم نصل إلى الهدف حتى الآن.. حتى الطرق السريعة أصبحت سريعة جداً.. لماذا؟ لا أعرف. وحتى تخطيط الشوارع داخل المدينة ستكون سريعة.. لماذا؟ لا أعرف. وهذه الجسور التي تبنى حول المدينة لكي تدور بسرعة حولها مع أن مساحتها لا تتجاوز عشرين كيلومتراً.. فليَمَ كل هذه السرعة؟ هل نحن هاربون من واقعنا الأليم...؟ أو هل نحن مستعجلون لكسب الوقت..؟ نكسب ممن؟! الكل قد فاتنا. والأمر يحتاج إلى وقفة ترو وتأمل.. تأمل في الذات والمصير بسؤال.. «احنا وين رايعين..؟» سؤال يجب أن نجيب عليه قبل عمل أي شيء.. وقفة تعاون بين السلطات وليس التنافس، وقفة ثقة ببعضنا البعض بدلاً من

الشك والريبة.. وقفة محب لبناء هذا الوطن وليس لنهب الفرص وهدم الأساس، وقفة عمل مع بعضنا البعض بدلاً من لوم بعضنا البعض.. وكل من يتخاذل يلقي اللوم والتقصير على الجهة الأخرى، متناسين أن الكويت هي الخاسرة ودائماً بسبب هذه التناقضات.

لا يا إخوان، الكويت أقولها مرة ثانية، أصبحت لا تتحمل، كل شيء عندنا أصبح في الرمق الأخير، ونحن بحاجة إلى أن نعيش الحياة، نبثها في (عروقنا الناشفة والمستنزفة) والتي تعبت من الغزو الخارجي ومن الشكوك والظن الداخلي.

نحن أولاد ديرة واحدة ممن هم في الداخل وفي الخارج، نحن بحاجة إلى سور الأمان النفسي والسمو عن المهارات والمداحرات.. ولنتفرغ إلى البناء والتعمير بدلاً من الهدم والتدمير والتأخير.

دعونا نستعن بإخواننا في الخليج وتتعلم منهم، وهذا ليس عيباً، استعانوا بنا عندما احتاجوا لنا (والشيخ زايد) قد تبرع بأن يهدي الشعب الكويتي حديقة خصصت لها الأرض وبدأت فيها الزراعة.. ووقفت كما وقف كل شيء بسبب العدوان. فلنطلب منهم أن يستعملوا أساليبهم المجدية لإنجاز هذه الحديقة، ونرى كيف نجحوا لتحقيق المعجزة الخضراء.. وعسى أن نعود إلى الله ونعرف أن الدنيا.. لا زالت بخير، ولنتذكر قول الله سبحانه وتعالى:

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾.



العمالة بين الترابط القومي والتضخم الوظيفي (*)

منذ فترة طويلة أي قبل الغزو وبعد التحرير تلح على الكويت مشكلة العمالة، وأقصد بالعمالة هنا العمالة الكويتية والعمالة الوافدة.

والمشكلة تنحصر في أن العمالة الوافدة كانت قد تضخمت بصورة كبيرة، وكانت تمثل سياسة كويتية قومية تجاه أشقائها وأصدقائها، واعتبرت في ذلك الوقت نوعاً من الترابط القومي، وكنا نجد صعوبات بالغة في مجرد إنهاء خدمة وافد. ولعلي أذكر كلمة حضرة صاحب السمو أمير البلاد وكان في إحدى زيارته، وجاءت تصريحاته لرؤساء تحرير الصحف المحلية أن قطع الأرزاق أصعب من قطع الرقاب، لكنها أي العمالة تضخمت وتشعبت وتحولت إلى مشكلة داخل البلد كان نتاجها الآتي:

١ - تضخم الجهاز الوظيفي بصورة كبيرة لا يتناسب وحجم الأعمال التي يؤديها.

٢ - الزيادة الرهيبة في ميزانية وزارات الخدمات والصحة والترية وغيرها بصورة كبيرة؛ حتى أصبحت تمثل عبئاً على الميزانية العامة لتوفير

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٢/١٢/٦

الرعاية الصحية والتعليمية لجميع المقيمين في الدولة .

٣ - إن نسبة العمالة الهامشية من الخدم والمربيات زادت زيادة كبيرة وهذا أثر أيضا على ميزانية الخدمات .

٤ - إن نسبة الكويتيين عموماً بالدولة كانت أقل من ٣٠٪ من مجموع المقيمين وفي هذا مخاطر كثيرة .

٥ - إن نسبة العمالة الكويتية كانت قليلة مقارنة بالعمالة الوافدة ، ونتج عن هذا أن تراخى الكويتي في عمله ووجد من يقوم مقامه في هذا العمل طواعية، بل بكل تشجيع من الطرفين اتقاء مشكلاته، فهبطت إنتاجية الفرد الكويتي إلى أدنى صورة ممكنة .

٦ - ظهور جرائم أمنية غريبة على المجتمع الكويتي، وانتشار بعض الموبقات التي يعافها الإسلام .

٧ - ظهور تقاليد وعادات للمجتمعات الوافدة بدأت تؤثر على عاداتنا وتقاليدنا، لدرجة أن الهوية الكويتية بدأت تتأثر بذلك لوجود الخدم بالبيوت من جنسيات مختلفة .

٨ - ظهور البطالة في الآونة الأخيرة بين أبنائنا الخريجين لعدم وجود وظائف شاغرة وسوف نتحدث عن هذا الجانب لاحقا .
وذلك أحد وجهي عملة التضخم الوظيفي .

أما الوجه الآخر فقد نما الاقتصاد وازدهرت حركة البيع والشراء وارتفع مستوى الأداء بالمؤسسات المختلفة، إذ استطاعت الكويت استقطاب العديد من الخبرات العالمية في المجالات المختلفة مما انعكس هذا على المستوى العلمي في المحافل الدولية، وكانت الكويت تكاد تكون الدولة العربية، بل لعلها الإسلامية الوحيدة التي كانت لها مشاركات ووجود فعلي في كثير من

المؤتمرات وليس بالحضور فقط ولكن بالأبحاث الجادة التي أكسبتها سمعة عالمية محترمة في معظم الهيئات العالمية العلمية. وهذا إنجاز كبير جدا في حد ذاته، وبمعنى آخر كان هناك استثمار جيد للمال في هذا الاتجاه مما انعكس ذلك على المواقف الطيبة والمساندة لنا عند وقوع الغزو العراقي على بلدنا والحمد لله.

أيضا كان وجود العمالة الوافدة له فائدة في التفاعل مع المجتمع خاصة في المجالات العلمية؛ فظهرت مؤسسات علمية كثيرة استطاعت في وقت قصير أن تثبت وجودها بين مثيلاتها على المستويات العالمية.

تلك هي قضية العمالة بالكويت بما لها وما عليها.

ولكن ما هي الأسباب التي أدت إلى هذا التضخم الوظيفي؟

هناك أسباب سياسية كما ذكرت في المقدمة، وأيضا غياب القرار السياسي الذي يلزم الجميع بالخطط التي أعدت لهذا الغرض، فرغم أن أجهزة الدولة قامت بوضع خطط كثيرة لشكل الدولة بعد خمسين عاما من الناحية التعليمية والصحية والمهنية وغير ذلك في كل مناحي الحياة إلا أنها لم تخرج إلى حيز الوجود، ولذلك فعلى سبيل المثال؛ فإن الخطة التعليمية التي تسير عليها الدولة لم تكن بالوضوح الكافي من ناحية الأهداف. فلو ظهرت هذه الخطة إلى حيز الوجود لاستطعنا في جميع مرافق الدولة أن نتعرف على المدة الزمنية اللازمة لعملية الإحلال أو التكويت، بمعنى آخر، يمكن لكل وافد أن يتعرف على مدة بقاءه في الكويت، وفي هذه الحالة سوف يرتب نفسه اقتصاديا وذهنيا وتعليميا واجتماعيا، ونحن نهيء أنفسنا بالكوادر الكويتية المؤهلة دون غضب أو شعور بعدم الاستقرار من الإخوة الوافدين.

أين التكويت؟

إضافة إلى ذلك إن خطة التكويت في المجالات المختلفة لم تظهر بصورة واضحة حتى الآن، فمثلاً كلية العلوم الآن تخرج الكثير من خريجيها في تخصصات تشبع السوق المحلية بها وهي ما تزال مستمرة حتى الآن، ثم نفاجأ بخريجي هذه التخصصات يندبون حظهم لعدم وجود أماكن شاغرة لهم في كثير من وزارات الدولة، وعندما تواجه الخريج لماذا ذهبت إلى هذه الشعبة؟ يأتي الجواب، ولماذا لا أذهب إليها ولم يرشدني أحد أو ينصحني بأن خريجي هذه التخصصات غير مطلوبين بالسوق المحلية..؟! ولكنها تأتي تحت حرية الاختيار، حتى أولوية التكويت لم تظهر إلى حيز الوجود.

فمثلاً ضرورة إعطاء الأولوية للجيش والشرطة والتدريس وسائقي الحافلات العامة وغير ذلك من الأعمال التي لها خطورة قومية وتتصل بحياة الفرد والمجتمع، فالجيش والشرطة أمرهما مفهوم، ولكن التدريس من وجهة نظري يمثل خطورة كبيرة، فالعملية التعليمية عناصرها كثيرة من أهمها المعلم فهو الذي يغرس البذور ويرعاها وينميها حتى تنمو وترعرع، فإذا لم يكن الزارع ماهراً ومهتماً بغرسته فلن تؤتي ثمارها.

ولقد رأيت بعض خريجي كلية التربية وهي الكلية التي تؤهل خريجيها للتدريس وجدتهم يبحثون عن وظائف بعيدا عن التدريس، واستوضحت السبب منهم فإذا بهم يذكرون مشقة التدريس وعدم وجود حوافز مادية ومعنوية وتدني السلم الوظيفي.. والسؤال المطروح.

ألم يكونوا على علم بطبيعة عملهم قبل دخولهم في هذه الكليات؟ والإجابة يمكن أن تكون بنعم، لم يكونوا على علم بتفاصيل وطبيعة وظائفهم المستقبلية، أو كانوا على علم بكل هذه التفاصيل.. وفي كلتا الإجابتين تظهر أهمية وجود دليل علمي يوزع على الطالب قبل الالتحاق

يوضح له مستقبله ودوره القادم في المجتمع، ويزوده ببعض المعلومات عن طبيعة وظيفته واحتياجاتها الشخصية من مؤهلات يجب توافرها فيمن يرشح لهذه الوظيفة. . ولكن يبدو أن هناك سبباً آخر هو التدليل الذي فاق الحدود المطلوبة على حساب المصلحة الوطنية. .

مثال آخر نشهده منذ فترة، وهو الإقبال الكبير (والكبير جداً) على دراسات الحاسب الآلي محلياً وخارجياً، كما ذكر (الأخ سعود ناصر الصباح) في لقائه التلفزيوني بعد أيام قليلة من التحرير، من أن عدد المبعوثين في الولايات المتحدة يفوق الآلاف لمثل هذه الدراسات، والتساؤل الملح أين سيعمل هؤلاء؟ ما هو عدد هذه الجهات وما هي طاقتها الاستيعابية؟ النتيجة بطلاة مقنعة بينهم جميعاً، والخاسر في جميع الأحوال هو الدولة مالياً ووظيفياً. ولنتصور هذا المواطن وهو يعمل في مجال غير مجاله وشعوره بالإحباط لعدم تقدير الدولة له. أيضاً من بين أسباب البطالة المقنعة الإقبال الكبير لشبابنا على الدراسات النظرية، وعدم تشجيع الدولة للشباب الكويتي للانخراط في الأعمال الفنية والمهنية والحرفية نظراً لأن زميله في الإدارة يعتلي السلم الإداري أسرع منه ويتمتع بوجاهة اجتماعية، وهذه الأخيرة لها دور كبير في مجتمعنا.

وقد يقول قائل: نحن دولة خليجية أفاء الله عليها، فلماذا ننخرط في مثل هذه الوظائف وهناك من يقومون بها عوضاً عنا؟ وهنا يظهر خطأ التفكير وعدم استيعاب دروس الغزو، لن يبنى الكويت إلا الكويتي الجاد المخلص المتعلم والمؤمن بربه إيماناً قوياً يجعله يعمل أي عمل شريف بلا خجل ولا وجل، «فإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده».

أيضاً فإن دولاً خليجية مجاورة وشقيقة استطاعت أن تقنع أبناءها بالانخراط في هذا السلك الهام وهي السعودية والبحرين. وهذا هو القرار السياسي الحكيم وضرورة اتخاذه والعمل على تنفيذه وإلزام الجميع به.

الثواب والعقاب

أيضاً نظام التوظيف المعمول به حالياً: الجميع على درجات، والجميع يترقون من درجة إلى أخرى، وغاب بصورة واضحة ودقيقة (الثواب والعقاب). ولو أننا غيرنا هذه الصورة وتحول الجميع إلى عقود تظهر فيها الحقوق والواجبات، لكان ذلك خطوة على طريق الإصلاح، ومثلنا في ذلك القطاع الخاص، وهو يحتاج إلى العديد من الكويتيين العاملين ولكن معظمهم يحجم عن الانخراط فيه رغم المغريات المادية التي يعرضها هذا القطاع، ولكن الثواب والعقاب يطبقان تماماً وفي الحال، وأي تسبب فيه الخسارة الكبيرة؛ ولذلك نجد أن العاملين في القطاع الخاص من الكويتيين رغم قلتهم إلا أنهم يمثلون وجه الشباب الكويتي المشرق الذكي الملتزم الجاد.

ولقد كانت محنة الغزو فرصة طيبة لنا لكي نبدأ بعد التحرير لنقيم الأوضاع ونضع أسس اختيار العمالة الوافدة، إلا أن هاجس الأمن لعب دوراً هاماً على طرف، والضغط الاقتصادي يحاول أن يضغط على الطرف الآخر. ولم نستفد من فترة الغزو بتشجيع الفئة التي ظهرت في الأعمال المهنية بإعطائها القروض الميسرة اللازمة، وإنشاء الورش واستيراد ما يلزمهم من أدوات تهيئة لعمل نواة من الحرفيين الكويتيين، وضاعت الفرصة الذهبية من أيدينا بل ساهمنا جميعاً في تدليل الفرد الكويتي بوعي أو بدون وعي مما انعكس على سلوكياته وإنتاجيته التي ازدادت تدهوراً، ولكن قبل أن يفوت الأوان ونعوض على الأنامل ولن تغفر لنا الأجيال القادمة هذا التسبب عندما تفتيق وقد ضاع أملها ولم تكن هي السبب، بل نحن الذين تسببنا لها في ذلك.

ومن هنا يظهر أن دعوة التكويت يجب أن تكون قراراً سياسياً على مدى فترة زمنية محددة، ولا يخفى تغيير منصب وافد بآخر كويتي لمجرد

إرضاء رغبة أو أخرى، بل يجب وضع برنامج ومواصفات لمثل هذه الوظائف؛ بحيث يبقى مستوى الإنتاج على ما هو عليه، وتبقى بعض الوظائف الهامة العلمية التي لا يجوز الإسراع في تكويتها، خاصة تلك المتعلقة بأرواح الآخرين إلا بعد أن يصل الشاب الكويتي إلى نفس الدرجة العلمية والخبرة الفنية لشاغل هذه الوظائف، وبهذا سوف ندفع أبناءنا إلى الجهد والاجتهاد، ولن تكون الترقية لمجرد أنه كويتي الجنسية، وبهذا نستطيع أن نظمّن إلى أن القرار إذا اتخذ فأساسه علمي متين وحكيم.

هذه هي بعض النقاط التي أراها هامة بالنسبة للعمالة سواء الوافدة أو الكويتية، ويجب ألا تغيب عن بال السلطتين التشريعية والتنفيذية بمناقشات صريحة وواضحة لا يتغلب الجانب العاطفي فيها على الجانب العقلي، ولا الضغط الشعبي على القرار السياسي، وعلينا جميعاً أن نقف بحزم وقوة ضد المتاجرين بالشعارات وبقاء لوطنتنا وأجيالنا، ونسلم الأمانة والراية عالية خفاقة لأجيال قادرة قادمة، فقد يكون القرار ضد رغبة البعض ولكنه في صالح المستقبل، وإنقاذاً للوطن من التردّي، والمهم الإخلاص في الدراسة واتخاذ القرار.

ولنتذكر قوله تعالى: ﴿... ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

والله الموفق لما يحبه ويرضاه.



آخر الدواء الكي*

في مقالة سابقة تحدثت عن العمالة بصورة عامة الوافدة والكويتية وتعرضت لبعض أسباب التضخم ونتائجه السلبية والإيجابية ثم اقترحت بعض النقاط لأخذها بعين الاعتبار.

واليوم سأحدث بصورة أكثر تركيزاً عن العمالة الكويتية، والتي تعتبر هما كويتيياً يجب إعطاؤه الكثير من الاهتمام والدراسة. وإذا أردنا الحديث عن العمالة الكويتية فلا بد من فتح «دوسيه» التكويت والذي أصبح الحديث اليومي في صحفنا ومجلاتنا، وسيطلب ذلك أيضاً الحديث عن دور التعليم في إثراء المسيرة الحضارية الكويتية.

فالتكويت هدف نسعى إليه جميعاً لدى جميع مرافق الدولة من أصغر وظيفة إلى أكبرها، تدار عن طريق أبناء البلد، فلن تبنى الكويت إلا بسواعد وعقول أبنائها، والعالم من حولنا أمم أجهزته لصالح أبنائه؛ لأن أهل كل بلد أدري بشعابها. ولكن أيضاً هذه الدول أخذت بأسباب العلم عندما تصدت لهذا الموضوع، بينما نجد أن كثيراً من الدعاوى في صحفنا تطالب بالسرعة وفق مبررات كثيرة، وأنا أقول: إن لكل مشكلة حلا إذا سارت في الطريق الصحيح، ولا بد وأن يأخذ وقته لينضج، فإنبات البذور وإثمارها

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٣/١٢/١٩٩٢.

وإنضاجها لا يتم إلا بعد وقت معين، فإذا زرعت في غير وقتها أو جمعت في غير وقتها لن تؤتي ثمارها الطيبة .

ومشكلة التكويت هي نفس الشيء التي يجب التصدي لها، بعيدة عن استغلال الشعور الوطني ودغدغة عواطف المواطنين، فإن مساوئها ستكون أكثر من حسناتها، وسوف يدفع الوطن والمواطنون الثمن غالياً في الحاضر والمستقبل .

فعلى سبيل المثال، أثناء تواجدي في وزارة الصحة العامة وضعنا أسساً دقيقة للترقي للوظائف العلمية، وأدعو الله أن يكون الإخوة القائمون الآن على شؤون الوزارة يتبعون نفس الأسس، إن لم تكن أكثر صرامة، حتى نضمن عدم هبوط كفاءة العمل . ولذلك ظلت أجهزة الوزارة تعمل بكفاءة ونشاط . والمفروض أن يكون الكويتي المرشح لأي وظيفة إما في نفس مستوى الشخص الآخر أو أعلى منه في الكفاءة الشخصية والعلمية . وإذا كنا اليوم نوجه اللوم لتولي بعض أبنائنا الكويتيين لمناصب غير مؤهلين لها مما تسبب في كثير من التردّي، لذلك يجب أن نكيل بنفس المكيال، ويمكن التصور لمدى ما يمكن أن ينتج عن تولي من هو أقل كفاءة لموقع إنتاج: فمن سيدفع الثمن؟ نحن جميعاً سندفع الثمن. قد تكون أرواحنا أو أرواح من نعتز بهم، فمثلاً: هل منا من يوافق أن يركب طائرة قائدها لم يستوف شروط القيادة التي حددتها منظمة الطيران العالمية؟ من منا يوافق أن يسلم نفسه أو ابنه أو زوجته أو عزيزاً عليه لطبيب لم يستوف الشروط المطلوبة والخبرة اللازمة لعمله؟ من منا يوافق ويظن أن يتقاضى أمام قاض كلماته يجب أن توزن بالذهب ليفرق بين الحق والباطل ويمكن أن يحكم أحكاماً باطلة لأنه لم يمر بالمراحل المختلفة بسلم القضاء؟ من منا يوافق أن يتولى أحد المهندسين إدارة شؤون محطة كهرباء ضخمة مثل (محطة الزور) وليست

لديه خبرة؟ من منا يوافق أن يتولى أحد المهندسين وضع تصاميم أو الإشراف على بناء ضخم مثل المجمعات السكنية أو المدارس أو الجامعات دون أن تكون له الخبرة الكافية في هذا المجال؟ ومن منا يوافق أن يقرأ قارئاً للقرآن الكريم أو يتلوه على من لم يحفظه أو يجوده على الأسس الصحيحة؟ وغير ذلك من مناحي الحياة؟! أنا على يقين كامل بأننا جميعاً سنرفض هذه الدعوى إذا علمنا أن لها علاقة بأرواحنا جميعاً، وفي الوقت نفسه يجب أن نساند من استوفى الشروط لتولي المنصب ونشد من أزره ونسهل له عمله حتى ينجح في (مسيرة) حياته.

والإسلام قد وضع قاعدة ذهبية للاستعانة حتى بغير المسلمين، فعند زيارة الرسول لسعد بن أبي وقاص، عندما كان مريضاً قال لأصحابه «استدعوا له الحارث بن كلدة، فإنه رجل يتطبب» أي خبير بالطب ولم يكن بعد قد أسلم، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فجعل من يقدم على عمل فيه مسؤولية يجب أن يكون خبيراً وضامناً لعمله، فقال ﷺ «من تطبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن».

سلبيات التكويت

إذن فعملية التكويت يجب أن تأخذ طريقها الصحيح وتعالج بأسلوب علمي بعيد عن العواطف، فليس حراماً أن نستعين بغير المسلمين، وليس عيباً أن يأخذ التكويت وقته الكافي، فهذا خير من أن تأتي الثمار غير ناضجة، فلن تلبث أن تفسد، وعلينا أن نعي أن البلد بلدنا والشباب شبابنا ونحن أحرص من غيرنا على بلدنا لرفعة هذا الوطن ليس فقط في الوقت الحاضر بل للأجيال القادمة، وحريصون أن يتولى أبناؤنا كل مرافق الوطن العزيز وبكفاءة ومقدرة، وفي كفاية طيبة..

وفي السنوات الماضية كانت لنا تجربة ناجحة للتكويث في كثير من المواقع التي اتخذت العلم سبيلاً والمعايير وسيلة للتقييم فجاءت النتائج ممتازة مبشرة بالخير.

وفي مواقع أخرى وهي ليست بالقليلة تولى بعض الكويتيين ممن ليسوا مؤهلين لحمل المسؤوليات في هذه المواقع وأفرزت الآتي:

١ - بعض هؤلاء الرؤساء نظراً لعدم خبرتهم أنهموا خدمات العديد من ذوي الكفاءات الكويتية الشابة، وغير الكويتية، وتدني مستوى الإنتاج في هذه المواقع ودفعتنا نحن الثمن.

٢ - البعض استسلم لمرؤوسيه وأصبح مجرد واجهة موجودة لا حول لها ولا قوة، والأعمال داخل هذه الإدارات أو الأقسام تدار باسمه سواء كانت صحيحة أو خاطئة، وكم من الإساءات تمت باسمه، فضربت الفوضى أطنابها في مثل هذه الإدارات والأقسام.

٣ - البعض أراد أن يثبت وجوده بطريقة البطش بمرؤوسيه والعناد أمام اتخاذ القرار الصحيح لإثبات وجوده فووقت هذه المواقع في الحيرة والتردي.

٤ - بعض الرؤساء أمثال الوكلاء والوكلاء المساعدين عند شعورهم بضعف مستوى الإنتاج نتيجة التكويث في بعض الأقسام تخطوا هؤلاء الرؤساء إلى مرؤوسيههم ونتج عن ذلك التعادي وعدم التعاون مع بعضهم البعض.

هذه هي بعض سلبيات التكويث والتي ظهرت مع الممارسة العملية في السنوات الأخيرة الماضية، لذلك فإنني أقترح الآتي:

١ - صدور قرار سياسي ملزم للجميع بتنفيذه خلال فترة زمنية تتم فيه عملية التكويث ولتكن عشر سنوات.

٢ - وبناء على هذا القرار يتم تزويد وزارة التخطيط من جميع الجهات الحكومية وغير الحكومية بما هو متوفر حالياً من أبناء الكويت في هذه المواقع، وما هو غير متوفر، والاحتياجات المستقبلية من كل تخصص على حدة.

٣ - وبناء على هذه المعلومات يتم تزويد وزارة التربية والتعليم العالي بمؤسساتها المختلفة للتحويل إلى خطة عمل للقبول في المعاهد والجامعات، وتحديد التخصصات التي تعاني منها وتوجيه الشباب إليها، ودراسة حاجة البلاد من بعض التخصصات في الجامعة الآن ومدى الحاجة إليها؛ لأن بلدنا صغير بتعداده ومؤسساته ومصانعه ومزارعه، وطاقته الاستيعابية محدودة.

٤ - بالنسبة للإخوة الكويتيين المتواجدين حالياً في الأعمال، يجب أن يكون هناك نظام يوقف الترقيات، أو تغيير المسمى الوظيفي إلى مسمى أعلى إلا بعد حضوره عدداً معيناً من الدورات التدريبية الإلزامية، ويعقد فيها امتحان للتعرف على مستوى الأفراد المرشحين للوظائف المنوطة بهم، وبمناسبة الحديث عن الدورات التدريبية يجب وضع نظام يضمن الجدية من ناحية استيعاب المشاركين للمواد، ولاداعي أن ننشر تقارير حيث إن بعضها يحتاج إلى وقفة، هذه التقارير تذكر بأن كل شيء على خير مايرام، والجميع ممتازون، فليس عيباً أن يدخل الدورة مجموعة ويتبين أن الصالح منهم للاستمرار في القيادة عدد قليل، فمن غير المعقول أن نكون جميعاً مدراء ورؤساء.

٥ - لا بد من وضع أولويات التكويت بحسب الأهمية الاستراتيجية، بمعنى أن نعطي لهذه الوظائف أولوية في التدريب والتعيين والتأهيل والتأكد من الوصول إلى المستوى المطلوب.

٦ - الوظائف الحيوية والتي لها صلة مباشرة بحياة الإنسان يجب وضع مقاييس دقيقة ومعايير واضحة للتأكد من صلاحية المرشح لها والالتزام بها وعدم التهاون في أي شرط منها تحت أي ظرف من الظروف، لأن هذا الشخص سيكون في وقت ما رأيه حاسماً فاصلاً عندما تختلف الآراء أي سيكون المرجع في هذا المجال.

٧ - خطة البعثات يجب أن تكون في المجالات التي تحتاجها البلد، فهناك ظاهرة خطيرة الآن وهي أن بعضاً من أبنائنا يذهبون للحصول على شهادات عليا في أي مجال، قد لا يوجد نظيره هنا أو هناك ولكنه تشبّع به، وبمجرد عودته يبحث فوراً عن الكرسي والمكتب الأنيق والسكرتيرة، وقد يصدم ولا يجد حتى مكاناً يقبله، فيقيم الدنيا ولا يقعدھا من شكاوى وإحساس بالظلم والاضطهاد، وفي النهاية لن يكون مثل هذا الشخص منتجاً لأنه يبحث عن المظهر لا الجوهر.

وأخيراً كلمة أقولها لأبنائي وإخواني الكويتيين: لن تبنى الكويت إلا بالإيمان القوي والعلم النافع، والعلم لا يشتري بالمال بل يسعى إليه، وتشد الرحال له، ويذل في سبيله الغالي والرخيص، ورغم مشقته إلا أنه أقصر الطرق وأضمنها لتنمية بلدنا والنهوض بها.

أيضاً أنتم ورثة هذا البلد وحماته، فعلى كل منكم في موقعه أن يلم بكل صغيرة وكبيرة في حلم ورفق؛ حتى يكتسب الخبرة اللازمة والتي تؤهله لهذا العمل دون استعجال؛ لتأتي النتائج كما نريدها لبلدنا، فنحمل المسؤولية أمانة في أعناقنا، والحق تعالى يقول «إن خير من استأجرت القوي الأمين».

قد يتصور البعض أنني تطرفت بعض الشيء، ولكني كما وعدتكم أن أقول الحقيقة مخلصاً، ولا أبتغي غير وجه الله، وغالباً تكون الحقيقة مؤلمة

ولكنها تبقى الحقيقة «فالحق أحق أن يتبع» ولقد عودتني مهنة الطب أن نبتز
عضواً في سبيل إنقاذ حياة مريض أو تعريضه لدواء شديد المفعول دفعاً
لمرض خطير. وكما قال الرسول ﷺ «آخر الدواء الكي».

كان من الممكن أن أركب الموجة وأكسب مكسباً شعبياً رخيصاً،
ولكنني عاهدت نفسي ألا أكون كذلك، فكلمة الحق سأنطق بها والله
المستعان والموفق لما يحبه ويرضاه، إنه سميع مجيب.

ولنستذكر قوله تعالى: ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على
الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا
أنت مولانا فانصرنا على الكافرين﴾.



ما بين خيانة الأمانة وانهيار الأمن شعرة(*)

في الآونة الأخيرة تسارعت الأحداث بصورة كبيرة سواء على المستوى العالمي أو الوطن العربي، أو الأحداث المحلية؛ لدرجة أرهقت المراقب لها وأصبحت تغري بالكتابة في جميعها دفعة واحدة إلا أنها مهمة صعبة.

والأحداث المحلية خاصة المتعلقة بالمال العام طغت على الساحة المحلية، وأصبحت الشغل الشاغل على جميع المستويات الحكومية والشعبية؛ لذلك رأيت أن أقطع استرسال سلسلة مقالاتي عن الهموم الكويتية - الخليجية العربية وأطوف في أمانة المال العام لألتقي معك عزيزي القارئ في الأسابيع المقبلة فيما بدأناه سوياً.

ماذا يحدث هذه الأيام؟! اتهامات من كل صوب.. الفضائح تملأ الصحف.. ولغو في الدواوين.. والمجاهرة باتهام شخصيات صغيرة وكبيرة.. حل محل الهمس واللمز. حتى جهاز التلفزيون ومن يشاهد المقابلات على الهواء مباشرة أو المسجلة كلها تصرخ وتؤكد أن هناك شيئاً ما. مجلس الأمة شغله الشاغل المال العام.. وطلاب المال العام!! وقوانين تسن ومناقشات خاصة تدور في لجان المجلس.. وتصريحات نارية تصدر عن رئيس اللجنة المالية، وعن بعض الوزراء تكاد توحى بأننا نسير إلى

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٠/١/١٩٩٤.

الهاوية.. والناس في ضياع حتى الصغار بدءوا يسألون أسئلة دقيقة عن حقيقة الأمر.. وعن حقيقة جدوى ما تعلموه من القيم: الأمانة.. الصدق.. والوفاء..

كل هذا على صوب، ولكن ما سمعته في مجلس الأمة يوم الثلاثاء ٩٣/١/٥ كان أغرب، وخاصة ما نقله أحد الإخوة النواب على لسان النائب العام، بأنه «لا يملك القوانين التي تمكنه من اتخاذ الإجراءات ضد مستغلي المال العام». عجيب..!! كل هذه السنين والآن نكتشف بعدم وجود قوانين لمعاقبة سوء التصرف في المال العام، برغم ما لدينا من قوانين تعاقب حتى من يسرق كسرة خبز لسد جوعه؟! والله غريب.. وهذه مصيبة ويعني هذا وجود خطأ ما..!! وإذا كان هذا الأمر صحيحا فهنا الطامة الكبرى.. أين كانت السلطة القضائية؟ ولماذا لم تطالب بهذه القوانين؟! أين كانت الحكومات السابقة وأنا واحد من أعضاء بعض تلك الحكومات..؟ أين مجالس الأمة السابقة وهناك الكثيرون من الأعضاء عاصروا هذه المجالس من المجلس التأسيسي حتى الآن؟ أين ديوان المحاسبة؟ وأين دوره في اكتشاف هذه المخالفات؟ وإبلاغ السلطات المختلفة لاتخاذ الإجراءات المناسبة؟! الحقيقة إذا كان هذا الأمر صحيحا، فالمكتوب علينا الدمار والخراب.. وأرجو ألا يكون الأمر بهذه الصورة، وكل ما في الأمر هو كالعادة.. اتبعنا أسلوب «الهنون أبرك ما يكون» حتى صرنا نعيش في عالم الشك والظنون.. والكل أصبح متهما، وإذا كانت هذه نفوسنا فإن قوانين جديدة لن تفيد في حل المأساة التي نعيشها وستنال هذه القوانين نفس المصير في التطبيق. وبعدها تذهب الفورة الحالية سنصل (لكبش فداء وستعود حليلة إلى عادتها القديمة).. الحقيقة هي أن هناك خللا في النفوس. وهذا هو الذي يجب إصلاحه قبل إصدار أية قوانين.. ويجب أن نغير ما بأنفسنا قبل أن نطلب من الله أن يغير الأمور.. ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.

الأمر يحتاج إلى وقفة تأمل وتمحيص حتى لا نصل إلى مرحلة اللاعودة وضياع الأمن، وخاصة الأمن الداخلي الذي يربط أهل الكويت بطريقة خاصة مع بعضهم البعض. ناهيك عن تهديدات الأمن الخارجي الذي أصبح يظهر بأشكال عديدة ومباشرة من طائرات تخترق المناطق المحرمة تجاه الكويت.. وما نسمعه من ترسانات الصواريخ التي تظهر يوماً بعد يوم، وعن مراوغة طاغية العراق عن عدم الالتزام بأية موثيق.. وهذا ليس بغريب، فالمجرم والحرامي والأفاق لا يعرفون الموثيق، ويعيشون كل يوم بل كل لحظة بموثيق وهمية من صنعهم إضافة إلى زيادة التوتر في منطقتنا، وبحار الدماء التي يجب أن نسبح فيها. هذا كله سيؤدي بالتالي إلى عدم استقرار نفسي للإنسان الكويتي الذي يا «دوبه» يحاول إيجاد طريق نحو بصيص الأمل من انفراج الكابوس الذي عاشه.

إن عدم شرح القضية للرأي العام، والوصول إلى الناس بالحقائق، وترك المجال لأصحاب الأقلام المسمومة والنفوس الحاقدة لكي تظهرنا بهذه الصورة السيئة أمام العالم، أدت إلى حالة البلبلة والذعر النفسي بين المواطنين، وأيضاً كثرة الشك وعدم إظهار الحقائق للناس أدى إلى كل هذه المبالغات التي نراها.

أين عقوبة المختلس؟

كما أن استسهال ارتكاب المخالفات وخيانة الأمانة وسوء التصرف بالمال العام، والطريقة الكويتية في حلها جعلت لدى الناس شعوراً بأن السبىء والمستغل للمنصب حاله حال الشريف الأمين. ولم يجدوا حتى الآن عقوبات حقيقية لأشخاص اتهموا بسوء التصرف بالمال العام، بدءاً بالاختلاسات الكثيرة التي حدثت في الجمعيات التعاونية، وآخرها قضية

الاتحاد العام، بالإضافة إلى استغلال النفوذ من قبل المسؤولين عن هذه الجمعيات، إما عن طريق التعامل مع شركائهم أو إعطاء الأفضلية لأقاربهم، أو الحصول على الرشاوى من قبل الشركات المزودة للجمعيات. وكم من مجلس إدارة حل، وتولت وزارة الشؤون الوصول إلى مجلس إدارة الجمعيات التعاونية هدفاً للمنفعة بدلاً من الخدمة، وتتحول مع الزمن إلى عملية وراثية ما دامت أدوات الوصول إليها أصبحت عن طريقة القبيلة أو الطائفة أو المذهب أو (الشللية!!) فهذا الأسلوب وإن كان يسمى ديموقراطية إلا أن الثابت أنها دكتاتورية الأغلبية وهي مجال للتلاعب.

وقد يستغرب البعض لماذا التركيز على مخالفات الجمعيات التعاونية رغم بساطتها وأنا أقول بأن النار من مستنصر الشر. هذه الجمعيات تمس الحياة اليومية لكل مواطن بالكويت فماذا فعلنا أمام ما يحدث..؟ نحن جميعاً نتفرج حتى أصبحت هذه التجاوزات جزءاً من حياتنا اليومية. وقد صارت مثلاً لجميع المعاملات التجارية التي أصبح استغلال النفوذ فيها أمراً متبعاً في جميع الحالات، حتى كارثة (المناخ) وأسلوب الريح السهل الذي كان أشبه بالقمار، وما تلتها من القوانين التي وضعت لحلها جعلت من الذين تقيدوا بالقوانين والتزموا بقواعد وأصول المعاملات التجارية الضحية، حين دفعوا ديونهم بالكامل حسب القانون الأول. وقبضوا بالناقص حسب القانون الثاني وأصبحوا مدينين بدلاً من أن يكونوا دائنين، واستمر الأمر وانهار الوضع وأدخلوا في المديونيات الصعبة، وتعقدت الأمور وجاء الاحتلال ونهبت الأموال، وحتى التجار الشرفاء البسطاء الذين لم يكونوا طرفاً في (المناخ) أصبحوا في قائمة المدينين. والقضية أنه رغم صدور القانون لم نتوصل إلى حل نهائي حتى الآن، وأصبحت الأمور المالية والمصرفية والتجارية بنوع من الشلل، ثم طرحت اللجنة القانونية في مجلس الأمة رأياً جديداً وسيتعقد الأمر أكثر.

وتفاديا لحدوث انهيارات أكثر يجب اتخاذ قرار حاسم، سواء أكان بمطالبة كل مدين أن يسدد ما عليه، أو إيداع أكثر من عشرة آلاف شخص في السجون، أو عن طريق الحل الفوري، ومثل هذا القرار ضروري حتى تطوى هذه الصفحة الاقتصادية السوداء من صفحات تاريخ الكويت حتى يبدأ الناس من جديد لتحريك عملية الاقتصاد الكويتي.

لكن التردد والمجاملة والتسويف سيقربنا أكثر وأكثر من هاوية الانهيار الاقتصادي.. واتخاذ هذه القرارات ليس بالأمر الصعب.. حتى الاحتياطي الذي كان السند والدرع الواقى لنا عند احتلال بلدنا ورغم ما تحمله من مصاريف الإعاشة للكويتيين في الخارج والداخل ومصاريف التحرير وما ندفعه من مصاريف الإعمار، ورغم هذا فقد أصابه شرخ بدأ باتهامات وهمسات وصراعات داخل هيئة الاستثمار ومكتب لندن إبان فترة احتلال الكويت حتى فوجئنا بالكارثة الحقيقية وهي انهيار استثماراتنا في إسبانيا، وأصبحنا «علكة» في فم الصحف الأجنبية واهترت صورتنا أمام العالم.

وحتى المنحة الأميرية التي أعطيت للمصامدين أخذها البعض زورا وبهتانا، وسمعت عن استرجاع بعضها ولكن لم نسمع عما تم بالنسبة لملاحقة ومتابعة هؤلاء من ضعاف النفوس.. أكيد سامحناهم كالعادة.. وحتى قضية الأسرى استغلها البعض حتى يحصل على مزايا.. ماذا عملنا لهم..؟ أكيد سامحناهم..!!

أرجو المعذرة في الإطالة ولكن كان من الواجب أن أبدأ بشيء من التفصيل المختصر جدا حتى أصل إلى موضوع المال.. لماذا نحن في هذا الحال.. وكيف الخلاص؟

نكسة أخلاقية

وأعتقد بأن الأزمة بدأت منذ قديم، منذ ظهرت بوادرها على المستوى الفردي وعالجنها ساعتها على الطريقة الكويتية طريقة الأسرة الواحدة، وغرضنا الطرف عنها وغيبنا القانون، وظن البعض أنها ضعف بشري ونزوة عابرة. استغلوا ذلك أسوأ استغلال فانتهكوا حرمت المال العام، وتجاوزوا الانتهاك، فنهشوا من الغنيمة قدر ما استطاعوا وسولت لهم سوء أنفسهم أنه حق مستباح، فلو طبق القانون وأخذ مجراه من أول وهلة ما جرؤ أي إنسان كان على ما أقدم عليه، وأنا أعتقد بأن هذه نكسة أخلاقية خطيرة تهدد المجتمعات بالفناء، لأن سلطان المال إذا استشرى في قوم فإنه سيدمرهم وسيحكم على هذا المجتمع بالفناء إن عاجلاً أو آجلاً. . هذه النكسة بعواقبها أشد وطأة علينا من الاحتلال نفسه، فالاحتلال يمكن مقاومته بالسلاح والرجال والعزيمة، ولكن الأزمة الأخلاقية التي نعيشها لا يمكن إصلاحها إلا بإصلاح النفوس وتربيتها. .

الأمر الثاني، هو أننا نتشدد بالقيم والمثل وما كان عليه الأجداد والآباء ولكن نسينا أننا أصبحنا غير ذلك، أصبحنا بعيدين عن هذه القيم التي كانوا متمسكين بها لأنهم كانوا قريبين لله. . «كانوا أهل الله». وكانت القيم الإسلامية هي قيمهم، كانت الأمانة طبيعة حياتهم، كان الصدق طريق تعاملهم اليومي، وليست صفة يسمعون عنها أو يدرسونها في الكتب والقصائد الشعرية. . ثم الآن بيتنا وأساليب تعليمنا في المدارس ومن يدرسون، وما نراه في وسائل الإعلام من أفلام وجرائم وقيم دخيلة زعزعت تلك القيم الأصيلة. ومن دون العودة إليها لا تتوقعوا الخلاص. . علينا المحاولة وعلينا الالتزام وعلينا بتقنين هذه القيم والعادات حتى يمكن الحكم على مخالفيها. . فالرقابة الذاتية، قيمة دينية وطريقة حياة، والقوانين الوضعية مهما أحكمنا أركانها إلا أن التبرئة والخلاص من عقوبتها أصبحت الآن مجال رزق للبعض. . !!

المجال الآخر، هو تشديد الرقابة العامة لأنها ضمير الأمة والحزم مع التأكيد على الرقابة الذاتية والمثل يقول «المال السائب يعلم السرقة» فليكن اختيارنا للقياديين في المؤسسات الحكومية ممن لديهم الخبرة والقدرة والصدق والأمانة والكفاءة، والتغيرات الأخيرة في القيادات تحت اسم إحلال القيادة الشابة بدلا من الموجودة أنت بكثير ممن هم قليلو الخبرة، وحتى يتعلموا أسلوب التعامل مع أصحاب النفوذ والمتلاعبين والمستغلين في مؤسساتهم ووزاراتهم سيأخذون الوقت الكثير ويضيع كثير من الأموال؛ فالخبرة لها قيمتها ولها فائدها فلا تفرطوا فيها، بالإضافة إلى ذلك يجب دائما أن يكون اختيارنا للصادق الأمين.

ولنذكر دائما بأن الله سبحانه وتعالى خالق هذا الإنسان وهو يعلم بما تخالج به نفسه وما يوسوس له شيطانه، قد وصفه بقوله تعالى: «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» المعنى واضح هنا بأن الإنسان مجبول على الفجور قبل التقوى، والشيطان يوسوس للإنسان ويدفعه إلى الشر دائما، والعلاج الحقيقي هو أن ننزه أنفسنا عن الشهوات وحب المال وجمعه، ونزكها بالقناعة والرضا فالمال مال الله وما نحن إلا أمناء عليه، فالمحافظة عليه أمر رباني، وليس خوفاً من القوانين، ويجب أن يعمل العبد بموجبه لأنه لو أفلت من عقاب الدنيا فعقاب الله لن يفر منه أحد.

ثم إن ما يحدث لاستثماراتنا الداخلية والخارجية يدعونا إلى دراسة الإسراع إلى التخصص، وتقليص دور القطاع العام وتغيير مفاهيم دور الحكومة من دور استثماري إلى دور رقابة لحسن الإدارة والأداء، وقد يكون في ذلك مخرجاً جيداً.

أيضا أدعو الإخوة المثقفين إلى المشاركة في الحضور في انتخابات

أعضاء الجمعيات التعاونية وغير ذلك؛ ليكون لهم دور هام في قيادة المجتمع إلى خير ما نحب وألا نستصغر من أي دور.

هذا الجو السائد.. الكل متردد في اتخاذ القرار وهذا بدوره يؤدي إلى ضعف الإنتاج، وبعد ذلك تفشي البطالة المقنعة ويتربى في النفوس التخاذل والإحباط وهذا الأمر سيؤدي إلى حالة اليأس أو الاختصاص إلى قوم «ماكاري».. فيصبح من السهل أن نقض وأن (نسيس) الأمور وندور في حلقة مفرغة، الكل ينتظر الحل.. والحل بطبيعة الحال هو اتخاذ القرار الحازم.. وتغيير القوانين بما يتناسب وأوضاعنا.. والضرب بكل قوة لكل من تسول له نفسه الوضيعة خيانة الأمانة.. لأن خيانة الأمانة هي الطريق إلى ضياع المسؤولية، فلا دين لمن لا أمانة له، فهل نسمع قريباً عن تغيير النهج الذي نسير فيه؟ وهل نتوقع حلولاً عاجلة.. وتعاوناً حقيقياً جادا بين السلطات بهدف الخروج بالوضع من هذه الظلمة إلى نور الله والإيمان بالمستقبل. إن أماننا تحديات كبيرة، فلنتصد لها ولنعتبر مضيق الشك إلى بحر الأمان والثقة والاطمئنان، اخرجوا إلى الناس من الأقيبة النفسية التي تعيشون فيها واشرحوا ووضحوا للناس فإذا كان هناك سوء إدارة فهذا شاذ وليس قاعدة.. وقبل أن يصبح الشذوذ قاعدة.. الناس لهم حق عليكم بأن يعرفوا الحقيقة بدلاً من معرفة نصف الحقيقة والمبالغة فيها.. لكي تتمكن مرة أخرى من الوقوف شامخين بين دول العالم، ونصرخ بأعلى صوتنا بأن الكويت دائماً كبيرة، تخرج من الأزمة إلى الحلول، وتؤكد للعالم بأننا فعلاً نستحق كل ما قدموه لنا، ويجب أن يكونوا على ثقة من ذلك.

والله الموفق لما يحبه ويرضاه.



هل نحن واثقون من أنفسنا؟*

عندما يضع أي كاتب خطة لأحداث متتالية حول أي موضوع وخاصة إذا كان هذا الموضوع مصيرياً يتغير كل لحظة ويتجدد كل يوم يصعب على هذا الكاتب أن يحصر أفكاره بصورة مستقلة عما يؤثر على الفكر المشغل في مثل هذه القضايا الهامة. فالمقالات الثلاث السابقة كتبت عن هموم الكويت وعلاقته بالتحرك الخليجي والعربي وعلاقتنا مع الغرب، وفي كل صورة من هذه الأبعاد الإستراتيجية كنت أهدف إلى الوصول إلى أوضاعنا الداخلية التي هي في النهاية المطالبة باتخاذ القرار المناسب للتحرك في أي اتجاه نسير بمركب هذا الوطن.

ورغم وجود الكثير من الثوابت في تحركنا الذاتي، إلا أن التغيرات والمؤثرات التي تغير من اتجاه سفينة الوطن نحو شاطئ الأمن والطمأنينة؛ لنعبر بحور التقلبات والصدمات التي تعترضنا، والتي زادت شدة وخطورة في السنوات الثلاث الأخيرة. كل هذا يجعل الكثير من هذه الثوابت وعلامات السير في سفينة الوطن والخروج من المحنة التي نعيشها يعكرها الكثير من غبار المعارك المصطنعة في الداخل، ومن الدخان الكثيف الذي يكتنف منطقتنا بسبب نيران الخلافات المحتمدة حول مصير ومستقبل هذه المنطقة.

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٣/١/٣١ .

ومن تناقضات الزمن أن الثروة الطبيعية التي حبانا الله بها، أصبحت بدلا من النعمة نوعاً من النعمة، ومصدراً أساسياً للاضطرابات والأطماع الخارجية فينا، ولا عجب في ذلك فنحن نعيش فوق أرض فيها مصدر الطاقة ومفتاح المستقبل للعالم المتقدم، والمسيطر على مصائر شعوب العالم، وهذا مع الأسف الشديد هو قدرنا، ويتوجب علينا التحرك بصورة هادئة وهادفة، وخاصة بالنسبة لنا في الكويت حيث أصبحنا أكثر الناس في العالم محطاً للأنظار ومجالاً للنقد والحسد.

هذه العوامل تحتم علينا مضطرين أن نتفاهم ولا نختلف، نجتمع ولا نتفرق، نتحد ولا نشردم، ولكي نحقق ذلك يجب علينا أولاً وقبل كل شيء أن نعي درس المحنة وعياً كاملاً، وأن نترفع عن الخلافات، ولو كانت في بعض الأحيان ضرورية، وأن نضع لأنفسنا الأولويات حتى على ما نختلف عليه، هذا الأمر مع الأسف الشديد غائب عن أجوائنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية. والخوف من كثرة التشكيك في بعضنا البعض أن نصل إلى مرحلة فقدان الثقة بالنفس، وأن نرسم صورة قاتمة لمستقبلنا وكأننا وصلنا إلى نهاية الطريق وأصبحنا أمام المصير المحتوم، واستحالة العيش مع بعضنا البعض في ظل التفاهم والعمل المخلص لبناء هذا الوطن.

والدلائل واضحة وقد برزت على السطح في مناقشاتنا وحوارنا سواء أكانت في وسائل الإعلام أم في صحافتنا أم في مجلس أمتنا. فمن المناقشات التي دارت على سبيل المثال في برنامج قضايا وردود رأينا الخلط بين التنظير المتشائم، والنقد غير الهادف، والتخوف المبالغ فيه من العراق حتى إن قيمتنا أصبحت في نظر البعض لاتزيد عن قيمة (برميل النفط) واعتبرنا مع الأسف الشديد أن مصيرنا المحتوم قريب، وأنه لا مفر من التسليم به... وغاب عن النقاش الدور الحيوي الإيجابي والتحريك القوي

الذي يجب أن تتحرك الكويت فيه إذا أردنا البقاء... وليس من الإنصاف أبداً أن نعرض وجهات النظر المتشائمة، وعدم إبراز وجهات النظر البديلة الإيجابية التي مكنت الكويت من أن تعيش طوال هذه القرون، وأن تتمكن من جمع العالم أثناء محنتها لنصرتها. ويجب أن نتذكر أنها ليست المرة الأولى التي تكون الكويت فيها عرضة للتهديد وغائبة عن الخريطة الجغرافية، وتاريخها حافل بكثير من المغامرات التي فشلت في الهيمنة عليها، والله كان في عونها دائماً. هذه الخصوصية في الكويت والكويتيين يجب أن تدرس وتبرز وتقوى وأن نرسم الطريق الذي يوصلنا إلى حماية الكويت.

ملحمة إنسانية كبيرة

لايجوز أبداً أن نشكك في قدراتنا، ولا يجوز أن نكون انهزاميين متفوقين داخل أسوارنا الفعلية والنفسية، حيث إن تاريخنا حافل بالإنجازات وهو عبارة عن ملحمة إنسانية كبيرة يلعب فيها الإنسان الكويتي الدور البارز بأسلوبه البسيط والسهل عليه، ولكنه صعب على غيره، فلندرس هذه القوة وأن نعزز أركانها ونقوي خطوات سيرنا ونوثقها في كل طرح نظرته، ولنثبت العزم والثقة في النفوس بدل الزعزعة والانتهازية. لذلك يجب أن نحرص دائماً على طرح جميع الآراء التي تعودنا عليها في الكويت، وأن نضع أمام المواطن الحلول التي نتوقعها من المسؤولين لمشاكله، ولانريد أن نستمتع لآراء منجرة لجانب آخر، وفي جميع الأحوال يجب أن نستمتع لوجهة نظر السلطة التنفيذية، لأنها المناطة بالتنفيذ، وحوارنا معها سيفيد في تحقيق أعمالنا، فهي بالنهاية السلطة المسؤولة عن التنفيذ، وأما نحن الباقين فإما ناقدون أو متفرجون في أحسن الأحوال. ومع الأسف الشديد لا نجد مثل هذا الأسلوب في أطروحاتنا وخاصة في وسائل الإعلام؛ لأنها تدخل كل بيت وتصل إلى كل فرد المحب والكاره. الناصح والحاقد، لذلك يجب أن

تسعى أجهزة الإعلام إلى إبراز جميع وجهات النظر، والإشارة إلى الإيجابيات بعد أن نيين السلبيات، ولا ننتهي من نقاش أية قضية وكأننا في طريق مسدود وأنا أمام مصير محتوم لا مفر منه.

أما صحافتنا فعليها مسؤولية أكبر، وهي واجهتنا الخارجية ومنها يتعرف العالم على الكويت. وما أجده مع الأسف الشديد أن النهج الذي نسير فيه قلماً تغير عما كنا نطرحه من أطروحات قبل الكارثة، وإن تغير في بعض الكتابات لكنه لم يتغير في طرح الأمور الجوهرية التي تؤثر على مصير الكويت، فكثير من الإخوة العرب في المهجر ينظرون إلينا وكأن الكويت على فوهة بركان، مستغربين أن المأساة التي مرت علينا لم تعلمنا الدرس، وعندما نوضح لهم الغلطات التي توصلوا لها من جراء هذه الأطروحات المتحمسة في كثير من الأوقات، والمسمومة مع الأسف الشديد في بعض الأوقات. قلماً يقتفون فالحذر مطلوب وعلينا أن نبرز المشكلات ولكن يجب ألا نتجاوز حدودها المعقولة، ولا نقصد فقط الإثارة الصحفية ولا زيادة بيع أعداد جريدتنا، ويجب علينا ألا يكون الهدف من إبراز أية مشكلة هو تعكير صفاء الماء والاصطياد فيه، ولا يجوز أن تكون مناقشاتنا بهدف الشففي من بعضنا البعض حتى وإن كان ذلك جائزاً، فيجب أن نحرمه أخلاقياً، إن العدو الذي فشل في النيل منا لم يفقد الأمل، وإن جراح هزيمته واندحاره تكبر كل يوم، فهو يتصيد كل هفوة صغيرة ويفسر كل كلمة لصالحه، وهو أقدر الناس على قلب الحقائق، بل أصبحت هذه العملية صنعته التي تخصص فيها وهو قادر أن يصل إلى مآربه. وقد لاحظنا كيف كان منتشرراً في كل مكان عندما كنا نحاول إقناع الناس بحقوقنا أثناء الاحتلال الغاشم، فلم يترك أي لباس إلا لبسه، وكنا نجده بين (الليبراليين) بصورة متحررة، وبين (المتدينين) بصورة منقذ الأمة الإسلامية وأمير المؤمنين. هذا كله يتطلب منا أن نكون حذرين في كل كلمة نكتبها لأنها مرصودة تستعمل

ضدنا كلما استطاع العدو ذلك. فلتكن خلافاتنا في إطار البيت الكويتي وبالأسلوب الكويتي المعهود الذي لا يقبل الظلم والتعدي على الحرمات (والحش... والدس...) ولله الحمد.. فكل شيء مطروح على «سطحه» في دواويننا ومنتدياتنا وهي الوسيلة الحقيقية التي تكشف لنا الحقائق وتفضح مآرب الحاقدين والمتآمرين ضد الكويت.

أما مجلس أمتنا فهو مع الأسف الشديد لا يزال يعيش أجواء الانتخابات ولم يتجاوزها، ونسى أنه الآن شريك مسؤول في صنع القرارات والمساهمة في البناء، إذا أجاد (اللعبة البرلمانية) ودوره التشريعي والرقابي بدلا من انجرافه في حل المشكلات اليومية والكثيرة جداً مما سيجعله يأخذ دور السلطات كلها. إن فصل السلطات وتحديدها لم يأت اعتباراً، وإنما هو نظام حكم حدد الأركان، ينهار إذا اعتدى ركن على ركن آخر، وكل ما أخشاه من متابعة المناقشة أن يقع في (المطب) وأن تختلط عليه الأدوار ويغريه التسلط ويضيع منه الدور التاريخي الذي يجب أن يلعبه ويؤكد للعالم حقيقة الديمقراطية الكويتية، وأنها ليست ترفاً كما يسمونها لأقلية من الرجال الكويتيين، إنما هي حقيقة وواقع متأصل في نفس الإنسان الكويتي يستحق وقوف العالم معه. أقول ذلك بعد أن عشت الثلاثاء الماضي مناقشة برنامج الحكومة، فمن النواب من كان يريد اختصار النقاش وإحالة إلى اللجان، ومنهم من أصر على مناقشة البرنامج ودراسته بصورة تفصيلية قبل أن تتولى لجان المجلس المختلفة مناقشته بصورة نهائية يعتمد كخطة عمل للسلطة التنفيذية تحت رقابة السلطة التشريعية.

فلقد أصاب من أصر على النقاش لأن هذا هو أهم دور للمجلس في السلطة التشريعية، وأهم وسيلة للرقابة على أعمال السلطة التنفيذية، بدراسة الخطط الخمسية وبرامج الحكومة والميزانيات السنوية واعتمادها نكون قد

أحکمنا وسائل التنفيذ والرقابة على الحياة في الكويت، وهذه الأدوات الثلاث هي الطريقة المثلى التي يجب أن يتبعها المجلس للنقاش ومحاسبة السلطة التنفيذية ومتابعة عملها والاتفاق على هذه الأدوات الدستورية نستطيع أن نترجم الرغبات الشعبية إلى برامج مكتوبة تحقق الطموحات، وترسم لنا المسار نحو المستقبل، فيجب أن تكون هذه الأدوات الشغل الشاغل لمجلس الأمة، وأن نيسر له الطريق إذا كانت هناك أية عوائق، ونحكم الرقابة حتى لا يخرج العمل التنفيذي عن المسار المتفق عليه.

وحتى في جميع الأحوال يجب أن نطلب المستطاع وليس المستحيل، وأن نكون واقعيين ولسنا مغالين، فوقت مجلس الأمة ثمين يجب ألا نضيعه في مناقشات جانبية بعيدة عن تحقيق آمالنا وطموحاتنا.

باتباع هذا الأسلوب، أرجو أن تتشابك الأيدي، وتتوحد القلوب وتتراص الصفوف ونسير نحو المستقبل، ونشق الطريق الصعب الذي أصبح يعترضه الكثير من العوائق والمطبات، وبهذه الطريقة فقط نستطيع أن نتخطى هذه الصعاب وأن نحقق آمالنا، فكل تحركاتنا الخليجية والإقليمية والعربية تنطلق من الداخل، ودون ترتيب البيت الكويتي لن نكون محل ثقة في الخارج، ولن نستطيع التأثير والتواجد المستمر والمشاركة الفعلية في القرارات الدولية.

فعسى أن تعود الثقة للنفس، وأن تهدأ وتطمئن، ويكفي هذه النفوس التصدع والزعزعة والتفرق، ولتقر عين الكويت بأسلوب جديد من التفهم من أجل بناء مستقبل الخير والسلام والطمأنينة على أرض الكويت المحررة، وأرجو من الله السداد والتوفيق.



الواسطة أسلوب حياة*

إنها فضيلة لأخذ المظلوم حقه، ورزيلة لأخذ حق الغير

كثر الكلام هذه الأيام عن الواسطة.. فكلما أردنا أن ننتقد أي شيء وخاصة إذا لم تتمكن من الحصول على ما نريد.. نلوم الواسطة.. ونقولها لأننا لم نتمكن من تحقيق مآربنا وإنجاز معاملاتنا بالصورة التي نريدها.. وغيرنا الذي حصل على مطلبه نعتبره محظوظاً لأنه استغل الواسطة كطريقة لذلك.

هذه الكلمة البسيطة أصبحت المشجب الذي نعلق عليه جميع مشاكلنا. فمن ناحية المستفيد من الخدمة يعتبرها الطريق إلى الوصول إلى الخدمة. أما من ناحية مقدم الخدمة يعتبرها معرقلاً لأداء وظيفته بالصورة الطبيعية.. والآن دعونا نطرح السؤال، هل حقيقة هناك واسطة؟ وهل هي سبب مشاكلنا..؟ الجواب نعم ولا.. نعم هناك دائماً واسطة ولكن نوع الواسطة والاستفادة منها تختلف من وضع لآخر، ونحولها دائماً من أسلوب جيد لتسهيل الأمور إلى وسيلة لاستغلال النفوذ.. فالواسطة في العالم موجودة.

وأذكر لكم قصة حدثت لشخص أعرفه حتى نعرف ما هي الواسطة الحقيقية التي يجب أن تبقى. فلقد وصلته قائمة بقيمة (فواتير) هاتف منزله

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٣/٢/٧

في لندن.. وكانت مرتفعة جداً، وعندما ذهب إلى المكتب محاولاً الاستفسار لم يجد سوى الجواب المعهود من جميع دوائر الحكومة أينما كنت: أولاً ادفع ما عليك وبعد ذلك طالب بحقك.. والمطالبة بالحق بطبيعة الحال تحتاج إلى محام، وقد يصل أجر المحامي إلى أكثر من القيمة التي نطالب باسترجاعها.. فصاحبنا رفض دفع الفاتورة وقال اقطعوا التليفون أنا ممتنع عن الدفع.. بطبيعة الحال مثل هذا الامتناع فيه مسؤولية كبيرة، والحكومات مستعدة بأن تدفع ألف جنيه.. حتى تحصل على عشرة جنيهات «مؤخسة من جيبتها شيء كله من جيب دافع الضرائب».. ومع ذلك رفض صاحبنا دفع الفاتورة.. وجمعت الصدفة في بيت جيرانه مع نائب منطقته، ودار الحديث عن موضوعه، فوعده النائب بأن ينظر في أمره وأخذ (الفواتير..). وبعد يومين اتصل مكتب النائب بصاحبنا الكويتي وطلب منه مراجعة مكتبه، فإذا به يفاجأ بأن الفاتورة قد تغيرت وخفضت تقريباً إلى الحد المعقول.. لأنه اكتشف بأن (الكمبيوتر) أخطأ فضرب الرقم بعشرة.. وقام بتسديد المبلغ الجديد.. وهو يقول «يقولون ماكو (واسطة) إلا في الكويت».

هذه قصة حقيقية.. وإذا كانت الوسطة تستهدف التأكد من حصول كل إنسان على حقه وتطبيق القوانين وعدم إلحاق الغبن لأحد.. تكون الوسطة عندها أمراً طبيعياً.. وخصلة محمودة ومطلوبة في المجتمعات، لأنه ليس كل إنسان في استطاعته أن يطالب بحقه بسهولة حتى في أكثر الدول تطبيقاً للقوانين والعدالة والمساواة.. أما عندما تكون الوسطة هي أسلوب حياة تتخطى القوانين والتعدي على حقوق الناس وأخذ ما لا يستحق، فعندها يختلف الأمر تماماً.. وأذكر في حياتي العامة الطويلة الكثير من طلب الوساطات أغلبها لاحق لهم، أما القليل الذين كانوا أصحاب حق حاولنا تحقيق مطالبهم.

فالأمر إذا كيف نفرق بين هذه الأمور؟ خاصة وأنه أصبح الاعتقاد بأن الأصل في التعامل مع الدوائر الحكومية هو اتباع الوساطة . . وحتى إن أغلب الزعامات . . الرئاسات والمراكز الاجتماعية أصبحت تقاس بمقدرة تمكن هذا الزعيم أو الرئيس أو . . أو . . من تخطي الحواجز والأبواب رغم سياسة الباب المفتوح المعلن عنها . . وتمكنه من الحصول على مكاسب لجماعته؟ والغريب أن أغلب الأوقات لو ذهب صاحب الحق لأخذ حقه بنفسه لكان الأمر أسهل وأسرع . . ومع كل محاولتنا في السابق لكسر هذا الاعتقاد الخاطيء إلا أنها كانت، والسبب في ذلك هو أننا علمنا الناس على الكسل والحياة السهلة، ولا نريد أن نزعلهم أو نعييهم. الكل يريد خاطرهم . . وهذا يجعلهم يعتمدون على من سيتوسط لهم والمتوسط يصبح أسيراً لأتباعه . . حتى إننا أصبحنا نصف نواب الشعب بأن هناك نواب خدمات، ونواب باب أول. فنواب الخدمات!! يقومون بأنفسهم بتسيير أمور جماعتهم . . أما نواب الباب الأول فتمشي أمورهم عن طريق أتباعهم وجماعتهم . . أو عن طريق تخويف المسؤول الذي في رغبته لتفادي شره المستطير والحساب العسير في المجلس ويمشي أمره .

جميع الفئات متساوية عندما نتكلم عن الوساطة، وكل من يدعي غير ذلك فقد جانبه الصواب . . مع تأكيدنا بأن هناك فئة قليلة جداً تستحق المساعدة. ولكن المصيبة أن الوساطة أصبحت تعتبر أساساً في معاملاتنا وأصبحت كالأصنام التي كانت تصنع في الجاهلية وتعبد، أصبحت تتحكم في صناعتها (المتوسط والمتوسط له . .) وهذه ظاهرة خطيرة جداً ستؤدي في نظري إلى عرقلة تسيير أمورنا بصورتها الطبيعية .

فالحل في نظري يحتاج إلى قرار صعب: بداية في الحد من استعماله بين أعضاء مجلس الأمة والدوائر الحكومية، وهذا ممكن وسهل لو اتفقنا أن

أي واسطة تعتبر تدخلاً من السلطة التشريعية في أعمال السلطة التنفيذية، وبدلاً من هذا الأمر نوجد مكتباً خاصاً في مجلس الأمة لتخليص معاملات الناس الذين يستحقون فعلاً المساعدة ولديهم الحق الواضح، ولكن بعض العوائق قد عرقلت تحقيقها.. وهذا المكتب ينسق مع مكاتب خدمة المواطنين في الوزارات والمؤسسات العامة ويتابع أعمال هذه الفئة القليلة.. وأعتقد بأنه ستكون هذه الفئة قليلة لأن أغلب الناس عندنا آخذين حقهم وزيادة..

وقد يقول البعض هذا حل خيالي.. ونظري.. وانتقاده صحيح لأن هذه العادة السيئة المتأصلة والتي أصبحت «طفارة» الجهاز التنفيذي والتشريعي من غير المعقول أن نحلها بهذه السهولة.

أقول نعم، هذا التنظيم مرتبط بأمر أكبر وأهم وهو تنظيم الأساليب الإدارية التي سبق وأن كتبت عنها عدة مقالات، واختيار الأشخاص الأكفاء والمؤمنين بحق المواطن، والذي يجب أن يكتب أمام كل واحد منهم بأنه: «خادم الشعب ولم يأت إلى منصبه إلا لكي يخدم الناس»، وهذه العبارة البسيطة تحتاج إلى تغيير كبير في أسلوب التعليم والتدريب وتكوين الإنسان الذي يستحق تشجيعه «الموظف في الخدمة المدنية» ويجب ألا يكون قد وصل بصورة خاصة إلى منصبه عن طريق الوسطة وعدم الكفاءة!!

إذا وجدنا هذا الشخص بهذه النفسية القابلة بأن يكون خادم الشعب وليس سيدهم، نكون قد بدأنا الطريق لاجتذاب كلمة الوسطة من المجتمع. هذه الكلمة التي أصبحت خبيثة بسبب سوء استعمالنا لها.. من دون الاتفاق على هذا الأسلوب لاتظلموا الوزارات والعاملين فيها. فإنهم قد أصبحوا ضحية لأسلوب عمل لم يعدوا له، ولا يعرفون إلا إرضاء السيد وإرضاء صاحب النفوذ، وهذا سيجعلهم متخلفين عن أداء مهمتهم التي من المفروض

أن تكون مهنة فاضلة يعطيهم المجال لخدمة الناس وتلبية حاجتهم، وهذه
نعمة كبيرة حسب قول الإمام علي كرم الله وجهه «من نعم الله عليك حاجة
الناس إليك» فلنقدر هذه النعمة ونعتبرها عبادة يومية نرضي بها ربنا، وأن
العمل فعلاً عبادة وليس كسباً واستفادة..

بهذه الصورة فقط وبتغيير الأنماط الإدارية وتأدية الواجب، ستمكن
من القضاء على هذه الوصمة التي يوصم بها الجهاز الوظيفي الحكومي.
واستسهال الناس استعمال كلمة الوساطة واتهام العاملين باستغلال نفوذهم؛
لأنهم أنفسهم يريدون أخذ حقهم وحق غيرهم.. فالوساطة قضية: إذا
استعملت لأخذ حق مظلوم فضيلة.. ورذيلة إذا استعملناها لأخذ حق
غيرنا، وبين هذه الفضيلة وتلك الرذيلة ضياع القضية.

وتحقيق هذه الفضيلة.. والتطهر من الرذيلة متابعة القضية!!



نحن والمثقفون*

منذ حوالي أسبوعين زرت القاهرة مشاركاً في مؤتمر اتحاد الأطباء العرب بدعوة كريمة من الإخوة هناك، وكانت فرصة ممتازة أن ألتقي بأكبر عدد ممكن من زملاء المهنة، لنتناقش معهم هموم الطب والطبابة على مستوى الوطن العربي، وفي الوقت نفسه نتناقش هموم أمتنا العربية من أقصاها إلى أقصاها. وأثناء المؤتمر عقدت العديد من الندوات العلمية والمهنية، وكملاحظة عابرة كان غياب الكويت والكويتيين ظاهراً للعيان، وأيضاً من منطقة الخليج إلى حد ما، بينما بقية الوفود من دول ليست من الثراء أو وفرة العيش مثل الكويت، شاركت بعدد لا بأس به من الزملاء الذين كان حضورهم مؤثراً في الاجتماعات، وسأعود إلى هذا الموضوع لأناقشه في مقالة أخرى.

هل المشاركة في المؤتمرات ضرورة كويتية أو ترف فكري؟

وعودة إلى المؤتمر والزملاء والنقاش والسجال بين الجميع وقد خرجت بانطباعات ثلاثة:

١ - المجموعة الأولى من الزملاء ومعظمهم من الذين كانوا يعملون هنا بالكويت ورغم حضورهم للمؤتمر وإثرائهم المناقشات كعاملين سابقين

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٣/٢/٢٨ .

في الكويت إلا أن العتاب كان بين الشفاه وفي العيون، أنهم جميعاً يكونون للكويت الخير والحب والوفاء، ولكن طريقة إنهاء خدماتهم، ومعاملتهم لم تكن لائقة خاصة أمام الوعود التي قطعها الجميع على أنفسهم، كان من الممكن أن تقام حفلة تكريم جماعية إما في القاهرة أو في الكويت، لم تكن لتكلفنا شيئاً حتى لو كلفتنا الكثير فعائدها أكثر بكثير من مصاريفها المادية.. من الممكن الاستفادة بهذا الرعيل الموجود بدلاً من ترك المرارة تملأ حلوقهم، وبدلاً من تركهم فريسة لإعلام العراق، ولا أكتف سرّاً إذا قلت بأن بعضاً منهم يشن حملة ضدنا ويذكرون بأنهم أهينوا في ديارنا.. هل من الممكن ألا نخسر أحداً بتقديم كلمات رقيقة نبعتها ونقدمها لهؤلاء.. هذه مجموعة...!

٢ - المجموعة الثانية من دول من نطلق عليهم دول الضد وهؤلاء ينقسمون إلى فريقين:.

أ - فريق كان يعمل هنا ولم يقدم إساءة إلى الكويت وأهلها ولكنهم عوملوا مثل ما عوملت حكومتهم، وهؤلاء أرى أننا يجب أن نحافظ على ودهم وألا نقطع (شعرة معاوية) معهم، ومن الممكن الاستفادة منهم ليكونوا رسالنا في بلادهم يدافعون عن الحق ويساندونه، وأنا لم نظلم أحداً ولكن حكومتهم هي نفسها التي رسخت الظلم دون وجه حق، وأنا نساند الحق وندافع عنه أينما كان وحيثما كان.

ب - الفريق الثاني، وهو خط الرفض والمساند والداعم للغزو العراقي من ناحية المبدأ ولديه الكثير والكثير من ملاحظات على الممارسات الكويتية قبل الغزو، وهذا الفريق كان مؤثراً داخل الكويت والخليج ولم يتصد لهم أي من الوفود المشاركة، وتعاملنا مع هؤلاء سأذكره مع المجموعة الثالثة.

٣ - المجموعة الثالثة: وهي مجموعة ساندت العدو العراقي، وهي ليست قاصرة على دول الضد، ولكنها كانت موجودة أيضاً في دول الأشقاء الذين ساندونا وكان صوتهم عالياً أثناء الغزو، وأذكر أننا عقدنا أكثر من لقاء معهم لنسمع منهم ونحاورهم، بعض هذه الاجتماعات كان منفرداً معي، والآخر شارك فيه السفير الكويتي بالقاهرة، والثالثة بمشاركة بعض الإخوة الكويتيين الذين كانوا بالقاهرة أثناء الغزو وهؤلاء أيضاً يمكن تقسيمهم إلى فريقين:-

فريق كانت لديه صورة مشوهة عن الكويت والخليج نتيجة وقوعه فريسة الإعلام العراقي والدول المساندة له، وبالمناقشة والحوار تبينت لهم الحقيقة وما لبثوا أن عادوا إلى الحق وناصروه.

الفريق الأخطر هو الأخير، وهؤلاء يمثلون مذاهب وعقائد مختلفة وليسوا قاصرين على فئة أو بلد معين منهم الإسلاميون بطوائفهم المختلفة واليساريون وغيرهم، لكن ملاحظاتهم كانت تنصب على كثير من الأمور الحياتية للمقيمين بالكويت وبالخليج، وحقوقهم ومعاملاتهم ومدى مساهمة دول الخليج في رفع المعاناة عن بقية الدول التي تعاني الفقر والحاجة، رغم مساهمة هذه الدول بشكل كبير في رفع المعاناة القومية عن الوطن العربي أجمع، مقارنين ذلك بما يقوم به بعض اللاهين وذوي النفوس الضعيفة من أبناء جلدتنا.

أوراق رابحة للعراق

هذه هي المجموعات التي قابلتها أثناء المؤتمر الأخير لاتحاد الأطباء العرب، والتي وجدت أن أعدادها قد زادت بل هي في زيادة مستمرة وبصورة سريعة نتيجة سوء تصرف من جانبنا بحسن نية أو بسوء نية، بل

أستطيع أن أقول لولا جهود حثيثة بذلت في المؤتمر لصدرت التوصيات لصالح العراق ونحن في طي النسيان.

الإعلام العراقي الآن أدرك أن إدارته السياسية لا تحظى بالقبول فتخطى ذلك باستدراار العطف على العراقيين وعلى الأطفال وعلى حقوق الإنسان، خاصة أن الأخيرة سقطت مصداقيتها في كثير من دول العالم في البوسنة والهرسك، في جنوب لبنان ومرج الزهور وكثير كثير.

وكأن الغرب يثير مشاعر المسلمين ضده في كل هذه المواقع ويعطي للعراق ورقة رابحة يلعب بها الآن، وأيضاً يرسخ ما يقوله المؤيدون للعراق أن الغرب هو الغرب لن يرضى عنا مهما قدمنا له بل هو النزيف القادم لامتنصاص دماء وخيرات وثروات المنطقة.. هذه المقولات لها صدى طيب بين جمهور العامة بل والخاصة أيضاً فأين نحن من هؤلاء..؟

ولذلك فإنني أدعو إلى تكثيف الجهود في نقد ذاتنا والتعرف على تصحيح المسار؟! وأين الخطأ لتصويبه؟! وأدعو إلى إقامة حوار مع هؤلاء المثقفين الذين استطاع الإعلام العراقي أن يسيطر عليهم، ندعوهم إلى الكويت للاطلاع على عدم مصداقية صدام حسين فيما قدمه للعالم أجمع، وزيف الشعارات التي رفعها، وأن الدعوة لم تصادف أهلها، وأن نعد الوثائق لإطلاعهم عليها، إننا إذا خرجنا من كل حوار بإضافة واحد إلى بلدنا فهذا مكسب كبير، فالقليل إلى القليل كثير. أيضاً هؤلاء الذين ساندونا ووقفوا معنا ضاعوا في طي النسيان.

والسلطة التشريعية، بتحركها الواعي الأخير وإقامة حوار مستفيض مع البرلمانات التي زارتها خطوة على الطريق، وكل مواطن كويتي يجب أن يتحول إلى (رسول كريم، وابن بار للكويت) يدافع عنها في أي محفل دولي أو إقليمي، يشرح قضيته العادلة، وأن يكون مثالا مخلصاً لإنسانية الكويت

وحقوقها، ورغم اختلاف التشبيه فإن هناك أسلوباً متبعاً من اليهود لتمكينهم من الانتشار وكسب أصدقاء لهم، بأنه إذا كان بالقرية يهودي واحد يجب أن يكون جمعية صداقة، وإذا كان هناك اثنان كونا جمعيتين، وإذا كان هناك ثلاثة كونوا ثلاث جمعيات هل يمكن أن نتعلم منهم...؟

ولذلك فإن هذا الهدف يجب أن يكون هدفاً استراتيجياً للدولة والتي تبني عليه خططها لدى الوزارات والهيئات والمؤسسات التعليمية والخيرية والصحية والشرعية.

مثال بسيط وزارة الأوقاف مع تقديم الشكر لهم لنشاطاتهم الفكرية في الفترة الأخيرة يمكن أن تكون مساندة للإعلام والخارجية؛ فيجب ألا يقتصر عملها محلياً ولا يقتصر على تقديم الأعمال الخيرية فقط ولكن يجب أن يظل هذا العمل الخيري عنواناً للكويت وداعماً لقضيتها ومدافعاً عن حقها.

وما يقال عن الأوقاف يقال عن الصحة والشؤون الاجتماعية والتعليم وغير ذلك من الأجهزة الشعبية التي لها دور كبير وخطير، وجمعيات النفع العام والهيئات والمؤسسات عليها أن توثق علاقاتها وأن تكسب كل يوم صديقاً وأخاً جديداً.

الصحافة لها دور هام للرد والتفسير والبيان والتبيان في كل مناحي الحياة، أخيراً الإعلام المرئي والمسموع إضافة إلى عمودنا الفقري (السياسة الخارجية).

هذه ملامح أفكار سبق أن تحدثت عن بعضها في مقالات سابقة ولكن ما دفعني إلى التأكيد عليها مرة ثانية ما رأيته وسمعته بنفسني أثناء مؤتمر اتحاد الأطباء العرب.

هذه رسالة أردت أن أبلغها فهل هناك من يقرأ ويقرر؟ أم أنها ستضيع مثل بقية ما ضاع؟!

أدعو الله أن يحفظ الكويت وأهلها من كل مكروه.



المؤتمرات بين الترف الفكري والضرورة الوطنية(*)

كل دولة من دول العالم سواء أكانت صغيرة أم كبيرة تضع لنفسها استراتيجية عامة تحاول من خلالها تأمين مسيرتها عبر السنين والأزمان وتختلف هذه النظرة من دولة لأخرى حسب ما تقتضيه مصلحتها، وانقسم العالم قبل انهيار المعسكر الشرقي والأيدولوجية الشيوعية إلى معسكرين شرقي وغربي. . وتغير الحال من المحال، وأصبحنا أمام عالم جديد يفور ويمور داخل بوتقة تحاول صهره ليخرج لنا وليد جديد لم تشكل ملامحه حتى الآن، باستثناء الصراع الدائر الآن بين الشمال والجنوب وهو ما نسميه بين الفقراء والأغنياء، والذي لم يحسم حتى الآن، وتختلف التوقعات عمن سيحسم المعركة هل الفقراء لصالحهم أم للأغنياء وترفهم؟ الجميع الآن يعيد حساباته خاصة أمام الانهيارات الاقتصادية الكبيرة التي تتعرض لها الدول الغنية، فالاسترليني يهوي والدولار يترنح وصوت الدول الفقيرة ضائع ولم يظهر منه إلا صور الآف الموتى جوعاً أو بسبب النزاعات الفردية. النظام الأميركي القديم يحتسي كأس أكبر قوة في العالم بينما النظام الجديد يوافق على ذلك ولكن عن طريق الاقتصاد القوي.

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٣/٣/٧

وتخفيض الإنفاق العسكري الخارجي الرهيب وها هو قائد القوات الأميركية في مصر يرد على سؤال عن أمن الخليج قائلاً بأن أميركا ملتزمة بأمن الخليج ولكن على دول الخليج أن تضع استراتيجيتها لضمان سلامتها أمام تخفيض الإنفاق العسكري الأخير.. اليابان ترفض طلب الأمين العام للأمم المتحدة لكي تخرج إلى دائرة العسكر في سبيل حصولها على مقعد دائم في مجلس الأمن.. ولماذا تسعى هي للعالم وتورط نفسها.. العالم قادم لها يسعى طالباً القرب والرضا..

السير دوجلاس هيرد في لقائه مع شبكة MBC يرد على مقدمة البرنامج على سؤالها بأن دول التحالف تكيل بمكيالين ليأتي رده بأن لكل حدث حديثاً ولكل موقع مبرراته، وطبعاً الحديث والمبررات ليست خاضعة لنا ولا دخل لنا فيها، هم أصحاب الحل والعقد، وقرأنا رفض الصين توقيع اتفاقية مع الكويت بحجة أن دستورها يمنع ذلك، ومع احترامنا لهذا التفسير لكني أعتقد بأن مصلحتها في عدم التوقيع، فأمامها كنز مفتوح الآن لتفوز به وهو إعمار العراق وتسليحه، إذن أين المصلحة؟. مصلحة جميع الأطراف القوية والضعيفة؟

أين المصلحة؟

إذن السؤال المطروح أين المصلحة؟ وأعني مصلحة الكويت؟؟ مصلحة الكويت هي في إقامة علاقات وطيدة مع جميع دول العالم حتى مع دول الضد ومع المستجندات التي ستحدث في العراق.. قد يثير هذا الكلام حفيظة البعض، ولكن الأحداث تدل على ذلك، ولنقترب أكثر من الواقع، لعلنا قرأنا جميعاً الأخبار التي تقول بأن العراق يوسط دولة قطر لدى الدول الغربية.. لرفع الحصار عنها وإقامة علاقات وطيدة..

الدول الغربية والشرقية تعيد حساباتها الآن مع النظام العراقي والمشكلة

هي في التزام العراق بتنفيذ مقررات الأمم المتحدة، وقد نجح العراق في أن يكون هذا المطلب هو المطلب الوحيد من دول العالم لإعادة العلاقات ورفع الحصار الاقتصادي . . وأستطيع أن أقول إن العراق على وشك الاستجابة الفورية لهذا المطلب . وبعد ذلك (ستعود ريمة لعادتها القديمة) ويبقى النظام الحالي كما هو لفترة من الزمن داخل شرنقته بيني بلده ويعيد علاقاته أقوى مما كانت .

هل تذكرون من كان المتحمس الأول والمناضل الثوري الذي وقف أمام مصر وضد مصر عند توقيعها اتفاقية كامب ديفيد؟ كان صدام حسين، وعقد مؤتمر بغداد الشهير وقطعت جميع الدول العربية إلا قلة علاقاتها بمصر، وهل تعلمون من الذي دفع وساند لعودة مصر؟ هو نفسه صدام حسين .

إذن فنحن أمام شخصية لا تحكمها أخلاق ولا مبادئ، هو على استعداد لأن يتعاون مع الشيطان والتضحية بأقرب الناس إليه كما تشير كل التقارير، وفي أحسن الأحوال المتفائلة إذا افترضنا بغروب وجهه من سيأتي مكانه؟ صدام آخر ولكن بوجه آخر أكثر كرهاً ونفاقاً، وهذه حقيقة يجب ألا نهرب منها، فهو جار سوء ولا مناص منه ولن يكون في مقدورنا أن نحمل أرضنا لنغير من هذه الجيرة . ولهذا يجب التعامل معها فهي قادمة لا محالة قد يأخذ ذلك فترة من الزمن لكنها قادمة . . ويجب ألا نتعامل مع مقولة (من ليس معنا فهو ضلنا . .) إذن، إذا اتفقنا على إقامة علاقات وطيدة على أسس جديدة فكيف السبيل إلى الوصول إلى تعزيز هذه العلاقات؟؟ ولا نترك الساحة له يصول ويجول ونخسر كل يوم صديقاً .!!

إن الإجابة على هذا السؤال صعبة خاصة في دولة مثل دولة الكويت بسبب موقعها الجغرافي، صغر مساحتها، قلة تعداد سكانها، ثراؤها النفطي وخصوصية الإنسان الكويتي المتطلع للديمقراطية والشورى وهي تلاقي عدم استجابة من بعض دول المنطقة . لذلك فإن الواجب يحتم علينا التحرك تجاه

العالم وتواجدنا أمام كل تجمع عالمي ليقبى الصوت الكويتي مسموعاً. هذا الأمر يجعلنا نتطرق إلى إحدى هذه الطرق البسيطة وهي في متناول أيدينا جميعاً.. لكن هذه النقطة طالما أثارت جدلاً..

هل المؤتمرات ترف فكري أم ضرورة وطنية؟

ترف وضرورة

يمكن أن تكون المؤتمرات ترفاً فكرياً إذا ما سارت على ما هي عليه، ويمكن أن تكون ضرورة وطنية إذا اتبعنا المعايير الموضوعية لذلك، فكل مواطن كويتي يمكن أن يكون ممثلاً ممتازاً لوطنه بسلوكه وأخلاقه وعلمه. فلو تركنا الدور الحكومي والتشريعي جانبا وتطرقنا إلى ماذا يمكن أن يقدم كل مواطن لوطنه؟ لو استطاع كل فرد منا أن يقوي صداقاته وعلاقاته على أسس متينة مع زملاء له سواء في المهنة أو الثقافة أو الحياة العامة في كل أنحاء العالم؟ خاصة إن طبيعة الكويتي هي الحركة في الماضي والحاضر لتمكنا من إقامة شبكة ضخمة من الصداقات التي تستطيع أن تؤثر في الحكومة وتكون رأياً شعبياً يؤثر ساعة الحاجة إليه، وأذكر على سبيل المثال أثناء الغزو العراقي الغاشم اتصلت بي (منظمة حقوق العاملين) في المجال الطبي ومقرها جنيف للسؤال عن أحد أعضائها وهو (الأخ الدكتور صلاح العتيقي) ومدى مايمكن أن تقدمه له في أي مكان.. مثال آخر منظمة كبيرة تسمى (الاتحاد العالمي للمنظمات الطبية) ومقرها جنيف أيضاً اتصلت بنا عن طريق المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية حيث المنظمة الأخيرة عضو بها طالبة بوضع إمكاناتها تحت تصرفنا وفعلاً عقدت ندوة في جنيف بهذا الخصوص.. هذه أمثلة وهناك الكثير مما يمكن ذكره..

لذلك فإنني أعتقد بأن الوسيلة الهامة لتقريب التعارف ورفع اسم الكويت

داخل الأروقة العالمية هي المؤتمرات، إما بعقدتها داخل الكويت أو المشاركة خارج الكويت بشرط أن تكون هذه المؤتمرات هادفة ذات إعداد جيد سواء على المستوى العلمي أو المشاركين، وذات مردود واضح على الكويت، ولا تقتصر المشاركة فيها على فئات ودول معينة بل يجب أن تكون على المستوى العالمي، وللعلم - فإن كثيراً من الدول السياحية مثل إسبانيا واليونان وإيطاليا ومصر أخيراً وحتى البحرين لديهم ما يسمى بسياحة المؤتمرات، ورغم أن الهدف مختلف في هذه الدول عن هدف الكويت، ففي الأولى تهدف إلى إدخال العملة وتعريف السائح بالبلد المضيف بحيث يكون لديه انطباع ممتاز عنها إذا احتاجت إليه وجد عندها رزقاً. أما في حالة الكويت فنحن في حاجة إلى أصدقاء وإلى من يساندنا ويسرع لنجدتنا ولن يكون ذلك إلا عن طريق أصدقاء لنا في كل بلاد العالم.

هذا عن المؤتمرات التي نعقدتها في الكويت.

المؤتمرات الخارجية

وبنفس القدر يجب المشاركة في المؤتمرات الخارجية وهنا يجب التوقف بعض الشيء فكثير من الإخوة يسارعون للذهاب بهدف «الوناسة» فقط وتغيير الجو، وهذا هو مكنم الخطر الذي ظهر واضحاً في انتقادات الكثيرين لنا، أعضاء الوفود لا تشارك إلا في حفل الافتتاح وبالكد يحضرون جلسة أو اثنتين دون مساهمات علمية ولاثقافية. . . ويتبين أن ممثلي الكويت من «الربع» وكم من مؤتمرات قد خذلنا فيها ممثلونا.

لذلك فأنا أعتقد بأن سياسية جديدة يجب أن توضع في هذا المجال لا مانع أن يشارك الزملاء القدامى ويشارك معهم زملاء جدد ليتعلموا كيف يواجهون العالم الخارجي، في الجانب العلمي، إذا لم يكن لدينا شخص كويتي يمثلنا، لا مانع إطلاقاً أن نرسل غير كويتي ليمثلنا، فمقعد الكويت

يجب ألا يكون شاغرا. إضافة إلى ذلك فإن المشاركين يجب أن يكون لديهم إسهامات جادة داخل مثل هذه المؤتمرات وليس لمجرد التسوق والفسحة، وإذا كانت المؤتمرات تعني بالجانب المهني والسياسي فمن الضروري أن يشارك مهنيون وسياسيون ممثلون لنا ولو من وزارات مختلفة، فالعلوم أصبحت متداخلة مع بعضها البعض وتحتاج إلى مساندة الجميع لنا، وشرط أخير أن يعلم كل من سيشارك بأن سلوكه محسوب عليه، وأن يلتزم الحدود المطلوبة لكي يظهر بالمظهر اللائق بدولتنا.

وإذا لم يعرف أولادنا وإخواننا هذه الأهداف فسندفع الأموال والأهداف... ويصبح ترفاً فكرياً بل لهواً سياسياً، وإذا ما عرفوا الأهداف وسعوا إلى ما هو أبعد منها سيتحول الأمر إلى ضرورة وطنية عائدها أكثر بكثير مما ينفق عليها. وهذا هو عطاء الكويت ومساهمتها في الحضارة العالمية بأن تتحول إلى منارة تحمل مشعل الثقافة والعلم وسيدافع الجميع عنها حفاظاً على إنجازاتنا وعلى إسهاماتنا.

مثل هذا التنسيق يحتاج إلى جهاز مركزي تتمثل فيه وزارات الخارجية ووزارات السيادة الأخرى لتضع خطة عن كيفية المشاركة في المؤتمرات ومستوى المشاركة.. على أن تقدم الوفود تقارير للمتابعة وعن النتائج والتوصيات.

وهذا سوف يتطلب تدريب كوادر خاصة لهذه المؤتمرات للتأكد من أن جميع المشاركين خرجوا بانطباعات جيدة عن الكويت، إضافة إلى الاستفادة العلمية ومردودها على بلدنا الكويت.. وإن مثل هذا التنظيم موجود في دولة خليجية حديثة هي (سلطنة عمان) والتي استطاعت أن تبرز في هذا المجال بصورة حية وواضحة كان لها مردود كبير عليها. والله الموفق لما فيه الخير.

الكويت ومسيرة الحضارة العالمية (*)



منذ الغزو العراقي الغادر وتحرير البلاد من قبضته، والدروس والعبر والذكريات لا تغيب عن بالي، وفي كل مرة أحاول أن أطرح نفس السؤال كيف يمكن تأمين مستقبل الكويت مع جار السوء؟ وتعرضت منذ بداية الكتابة في صحيفة الوطن إلى أساليب مختلفة يمكن السير فيها جميعاً، وكلها تحاول الإجابة ولو جزئياً عن ذلك السؤال، وأعتقد بضرورة طرحه على جميع المستويات الرسمية والشعبية وكل واحد يجب أن يدلي بدلوه في هذا الموضوع؛ لنخرج باستراتيجية عامة في جميع المجالات، دون ترك أي باب بدون طرق، واليوم سأطرق إلى موضوع متصل بما نشرته في الأسبوعين الماضيين أو استكمالا لهما.

فإذا اقتنعنا بأن العالم أجمع هو عمقنا الإستراتيجي فكيف نحافظ عليه؟

بل وكيف ندفعه هو للدفاع عن مصالحه معنا؟ للإجابة على هذين السؤالين أقدم سؤالاً آخر.. ماذا يمكن أن نقدم للمسيرة الحضارية الآن؟ هل يمكن أن نكون دولة صناعية؟... أعتقد بأن هذا لن يكون لأسباب كثيرة منها قلة السكان - ندرة المواد الخام (إذا استثنينا البترول) وارتفاع

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٤/٣/١٩٩٣

الأجور وما يتطلب ذلك من استقدام عمالة أجنبية كثيرة ماهرة وغير ماهرة، وستتقلب التركيبة السكانية وتصبح معضلة المعضلات..!! هل يمكن أن نكون دولة تجارة ترانزيت؟... هذا يمكن لكن.. الوقت أصبح متأخراً، فالإخوة في دولة الإمارات خاصة (دبي) سبقونا منذ فترة وبدأت تتحول هذه المنطقة إلى منطقة حرة على أكبر مستوى بل وتضارع المناطق الحرة العالمية أيضاً، إيران أنشأت ثلاثة مراكز حرة وبدأت تستقطب رأس المال خاصة في مجال الصناعات الثقيلة، هل يمكن أن تكون الكويت قوة اقتصادية؟.. قبل الغزو العراقي كانت كذلك ضاع الكثير وما بقي إلا القليل وثروتنا النفطية وهي المصدر الوحيد للدخل أصبحت محل أنظار الدول الغنية وتحاول امتصاصها أو ابتزازها إن شئنا القول بين ضريبة الكربون وضريبة الطاقة وخفض الأسعار والبحث عن بدائل أخرى ستظهر إلى حيز الوجود في خلال عشر السنوات القادمة، وبالتالي فإن الطلب عليه كوسيلة طاقة سيقبل بصورة كبيرة، أستعير ما قاله الرئيس نيكسون في كتابه «نصر بلا حرب» بأن العالم سيصاب بتخمة بترولية قريباً، وستندى سعره إلى أرقام ضعيفة إضافة إلى الاستنزاف الحالي والمستقبلي فيما ينفق وسينفق على تسليحنا لنصاب نحن بتخمة السلاح..!!

بقية الاحتمالات مثلا (كدولة زراعية) أو غيرها أعتقد بأنها تحتاج إلى الكثير من الدراسة والتأني قبل اتخاذ أي قرار في هذا الشأن؟ هل يمكن أن نكون (دولة عسكرية) باستراتيجية مثل إسرائيل التي تعيش وسط بحر متلاطم من العرب ولكنها فرضت نفسها عليهم بقوتها العسكرية.. فهي ذات استراتيجية توسعية تستجلب اليهود من كل أنحاء العالم لتوطينهم بجانب ضمان الدول الكبرى والصغرى لأمنها وبقائها.. أما بالنسبة للكويت أظن الإجابة واضحة أمام وقف التجنيس والجنسيات بدرجاتها والتركيبة

السكانية. . وللرئيس نيكسون رأي جاء في كتابه «نصر بلا حرب»: إن على أميركا ضمان وجود إسرائيل للأبد للأسباب الآتية:

- أ - دولة ديمقراطية بها نظام تعليمي يضاهي النظام الياباني.
- ب - لديها صناعات متقدمة رغم ندرة مصادر المواد الخام.
- ج - لديها جيش عصري يستطيع استيعاب التكنولوجيا بل إنه يشارك في صناعتها

ويكفي دليلاً على ذلك ما لديهم من أسلحة نووية على الرغم من مخالفتها للأنظمة الدولية وعدم السماح بالرقابة وغيرها؛ لذلك فإنني أتصور أن مجال إسهامنا في الحضارة العالمية ينحصر في مجالات ثلاثة:

الأول الأعمال الخيرية.

الثاني الثقافة العالمية.

الثالث الأبحاث العلمية.

والسبب الذي يدعوني إلى هذا الاعتقاد هو أن العالم يحاول الحفاظ على تراثه الحضاري، وتحضرني حادثة حدثت في العقد الأخير عندما قررت مصر الدخول في تحدي بناء السد العالي الذي موله الاتحاد السوفياتي، وكان من بين نتائجه غرق معابد «فيلة»، إلا أن اليونسكو تزعمت حملة عالمية كنا نتوقع أن تجهضها أميركا بزعامة وزير الخارجية «دالاس» (للعداء الرهيب بينه وبين المرحوم الرئيس عبدالناصر آنذاك)، إلا أن العكس قد حدث وتم إنقاذ (معابد فيلة). وبعد زلزال مصر تبرعت كل من فرنسا وإيطاليا لترميم الأحياء الأثرية بالقاهرة والجيزة. وأثناء الغزو العراقي أيضاً تحركت جهود علماء الآثار لإنقاذ الآثار التي سرقها الغزاة وأخذوها معهم إلى بغداد، وما حدث للآثار حدث (للمخطوطات) حيث تم إبلاغ الجهات العالمية بمواصفات هذه المخطوطات للمساهمة في إعادتها مرة ثانية، إذ مثل

هذه النفائس ليست ملكاً لفرد أو لدولة، ولكنها ملك للبشرية جمعاء تحفظ تراث الشعوب وتتلاشى عندها الخلافات والمذاهب؛ فهي جزء من مسيرة الحضارة الإنسانية.

أيضاً أثناء الغزو كانت أعمال الخير هي رسالة أهل الكويت إلى رب العباد تناجيه بأن ما استخلفتنا فيه أنفقنا جزءاً منه على أصفياك وأحبابك، فكانت الدعوات إلى السماء لا يحجبها عن رب العباد حاجب في الأرض ولا في السماء، كانت الرسالة تصل إلى أقاصي الأرض حيث لا يصل صوت الكويت ولا صورتها ولكن بأعمالها وأفعالها تغذي الجائع، وتروي العطشى، وتأوي المحروم، وتضمّد جراح المريض، وقلوب هؤلاء كانت مع الكويت لاهثة بالدعاء.

أما عن مساهمتنا الثقافية، فإن للكويت مجموعة لا بأس بها من المؤسسات الثقافية مثل (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب) تتقاذفه الرياح حسب الأهواء بين وزارة الدولة تارة ووزارة الإعلام أخرى ولدينا (معهد المخطوطات العربية)، وأخيراً تم إنشاء (مركز الكويت للدراسات والوثائق)، وغير ذلك من المؤسسات، إضافة إلى جمعيات النفع العام والجامعة. كانت هذه المؤسسات ذات نشاط ثقافي كبير قبل الغزو وكانت رائدة في مجالاتها واستطاعت أن تجذب إليها نخبة ممتازة من أبناء الدول العربية من ذوي الثقافة العالية، وأنتجوا إنتاجاً غزيراً إلا أننا وبعد مرور ثلاث سنوات تقريباً على التحرير لم تحتل هذه المؤسسات أولويات العمل الوطني رغم أهميتها، وضرورة دعمها؛ لتقوم بدور فاعل تستطيع عن طريقه أن تتحول الكويت إلى منارة ثقافية، وواحة علم في صحراء أمتنا الإسلامية، وإذا ما وافقنا على هذا فإن أمامنا كنزاً هاماً في هذا المجال هو (تراثنا الإسلامي) لتحديثه ودراسته والتنقيب عنه ووضع الموضوع اللائق به.

والسبب في اقتراحي بدراسة التراث الإسلامي هو أنه الركن الأساسي لتكوين أمتنا ومنه نستمد شخصيتنا وهويتنا وجذورنا، خاصة أنه بضاعتنا ونحن أولى الناس بها، إضافة إلى ذلك فإن الدراسات التي تعرضت له كانت تقع تحت أمور ثلاثة:

١ - المتحمسون له والمتفانون فيه ولا يرون فيه إلا كل طيب مهما كان، مؤكدين على ضرورة أن نحبس أنفسنا داخله دون نقد أو تعديل أو إضافة.

٢ - وفريق ثان شوه الصورة وهم المتغربون والمنادون بأن الماضي انتهى وما الحضارة الإسلامية إلا حلقة من حلقات التاريخ مثله في ذلك مثل بقية الحضارات!! وهذا هو التفريط في جذورنا وإسهاماتنا الإسلامية في الحضارة العالمية.

٣ - والفريق الثالث يدعو إلى الدراسة المتأنية نأخذ منه ما يناسبنا ويتمشى مع عصرنا وننفض عنه غبار الماضي ليكون محل عزنا وفخرنا. وبين هؤلاء الثلاثة ضاعت الصورة واختلطت الأوراق وظهر كل فريق يدور حول نفسه وبينه وبين الآخرين خصومة.

أعتقد بأننا نستطيع أن نحدث ثقافتنا النابعة من إسلامنا وتراثنا دون تعصب أو تشنج، نأخذ السمين ونترك الغث.

أيضاً العالم الآن يمر بمرحلة خطيرة في تاريخه فالمادية أصابته في مقتل، وأصبح يعاني من أمراض قاتلة، وظهرت الحضارة الغربية المادية والمنقسمة أخلاقياً تحمل في رحمها أسباب وفاتها من (مخدرات ومسكرات وأمراض جنسية) تكاد تعصف بالمسيرة البشرية ونتيجة (انتشار الإيدز بصورة وبائية مخيفة) اضطر كثير من الدول الغربية إلى وضع صناديق العازل الذكري

أمام المدارس الثانوية للبنات والجامعات لتسهيل المهمة والحد من انتشار هذا الوباء، فأى جريمة هذه التي ترتكب في حق الإنسانية؟! فبدلاً من محاولة نشر الفضيلة والحشمة والدعوة إلى الالتزام بها وزعوا العازل الذكري...!!

أيضاً (مدمنو المخدرات)، لتقليل فرص استخدام (المحاقن) بين المدمنين تقوم جهات الأمن بوضع صناديق بها هذه المحاقن الفارغة لاستخدامها من قبل المدمنين.. هل هذا هو الحل؟!

نحن أمام معضلة أخلاقية يستطيع الإسلام أن يقدم أساليب الوقاية ويلعب دوراً كبيراً في علاجها.



حصاد رمضان (*)

ودعنا الشهر الفضيل وكانت مناسبة جليلة لكي نغسل نفوسنا من دنس هذه الدنيا ونظهرها، وامتألت المساجد في الفروض والسنن، والترايح والقيام والجو كان أيضاً لطيفاً بفضل الله سبحانه وتعالى علينا الذي لو نعد أفضاله كالحياة.. والصحة.. والعافية.. فقط، لأصبحنا أكثر تقرباً إليه.. ولكن العجيب هذا العام كان هو الطلب من المساجد أن (تغلق) السماعات أثناء صلاة القيام التي كانت أصواتها تنطلق إلى العنان مسبحة بحمد الله وداعية إليه.. والعذر أنه يزعج الأطفال والمرضى مع أن سماع القرآن والدعاء فيه سكينه ورحمة وتهذيب للأطفال.. وشفاء للمرضى.. لكن هكذا كنا نتعامل مع الأمور في الكويت.. بقرار غريب يتخذ دون دراسة وتشاور وترو، أما ما يترتب عليه من ردود فعل.. فيترك للزمن.. لأننا نعتقد أن الزمن هو الوحيد حلال المشاكل.. وكم أخطأنا في السابق عندما تركنا الأمور للزمن.. والعجيب أن هذا الجو الإيماني المتميز الذي كانت الكويت تتميز به حرماناً منه!! وكم أتمنى أن تترك مثل هذه الأمور الخاصة بالعبادات للناس ليقرروا ما إذا كانت هذه الأمور مزعجة أو غير مزعجة، وأهل المنطقة ورواد المساجد هم أدرى بمثل هذا الضرر، لأن أغلب من يتخذون مثل هذه القرارات يكونون في سبات عميق وبعيدين عن الإزعاج في هذه الأوقات.

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ٢٨/٣/١٩٩٣

هذه ملاحظة أرجو أن نأخذها بعين الاعتبار.

ثم نحن نناقش هذه الأيام موضوع (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

ولقد ترددت كثيراً قبل أن أكتب في هذا الموضوع لأن ما يدور على الساحة من حوار ساخن وأكثره ظالم لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. . ويدور الحوار وكأننا حديثون على مثل هذا الأمر في الكويت. وكل جهة تحاول أن ترى الموضوع من وجهة نظرها دون أي اعتبار لآراء الناس المبنية على أساس دراسة ميدانية نتلمس الحقيقة منها، ويجب علينا ألا نشرع السلوكيات الاجتماعية. . التي هي من أهم الأسس التي تزرعها الأديان في نفوس البشر. . فإذا بدأنا تقنين السلوكيات التي من المفروض أن تكون تحصيل حاصل لمن يتبع دين الإسلام. . فسوف تتطور الأمور إما إلى زيادة التعسف في التطبيق، أو لا سمح الله إلى الابتعاد عنها والاستخفاف بها. هذه المخاوف تجعلنا أكثر تروياً عندما نحاول أن نتطرق إلى تقنين أي سلوك للإنسان المسلم. . فمادام قد سلم نفسه لهذا الدين الإلهي العظيم فهو مطالب بتطبيق تعاليمه. . وتطبيق الحد عليه أو تعزيره وفقاً لتعاليمه إذا عصاها، ومن الغريب أن نسمع آراء تقول إن هذه الهيئة تخالف الدستور ولا تقول ما هو حكم الإسلام في إيجاد مثل هذه الهيئة. . وكأن الدستور هو أعلى من تعاليم الدين الحنيف. .

وقد تحول النقاش إلى مهاترات شخصية وأصبح التنازع بالكلمات صفة مميزة لما تظالعنا به الصحف اليوم ولم يناقش الموضوع من الناحية العملية.

الخوف من سوء التطبيق

خلاصة القول، مثل هذا الأمر يجب ألا يكون محل نقاش، لأننا ولله الحمد بلد إسلامي وعشنا مسلمين وسنبقى مسلمين (إن شاء الله)، مادامنا

نعمل في طاعة الله وعبادته. ومن الجائز أن كل هذه المخاوف ناتجة عما نلاحظه من تطبيقات باسم الإسلام، والإسلام منها براء.. فالمتخوفون من المغالاة لهم الحق من حيث إن احتمال سوء استغلال السلطة باسم الدين قد تنفر الناس عن الدين. فالتعرض للناس في سياراتهم مثلاً وطلب هوياتهم إذا شاهدوا رجلاً وامرأة أمر لا يقبله الإسلام، فحتى عمر بن الخطاب عندما دخل أحد المنازل لأشخاص يعاقرون الخمر اعترف بخطئه عن ذلك، لأنه خالف أصول الدخول إلى المنازل (من أبوابها) طبقاً لتعاليم الإسلام.. لذا هل ستتم مدهمة البيوت باسم الدين للكشف عن الدعارة والاستفسار عن الهويات؟ أم أنها ستستغل لأغراض أخرى؟! ناهيك عن الاعتقالات الفجرية التي قد تحدث، وهنا الخوف من سوء تطبيق أحكام الدين باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنها قد تستغل للمصالح الخاصة أو لمصالح السلطة الحاكمة.. وغير ذلك من التصرفات التي نتحفظ نحن الشعب عليها ونرفضها بطبيعة الحال، وإذا كان هذا هو الهدف، فيجب أن نحاربه بكل قوة وحزم. لكن الأمر غير ذلك تماماً، وما نحتاجه، إنما هو وضع حد لهذا (التفسخ الاجتماعي)، وهذا الانحدار (اللاأخلاقي)، وهذا التبرج الصارخ لساناً وعملاً وتصرفاً، والتمرد الفاضح على أبسط قواعد ديننا الإسلامي، كل هذه الأمور التي تستحق أن يطبق عليها حكم الله حداً وتعزيراً.

ونحن مع وضع حد لمثل هذه التصرفات التي أصبحت تشوه صورة المجتمع الكويتي ولا يجب السكوت عليها باسم الحريات الشخصية.. فالحريات الشخصية تنتهي عندما تبدأ الحريات العامة.. والفاصل بين الأمرين دقيق وهام جداً وهو ما يجب أن نوضحه ونبينه للناس دون غلو... أو تطرف.

فإذا كان الهدف هو تعزيز إمكانيات السلطة في مجال تطبيق القوانين

وردع ضعاف النفوس بما يقومون به وما ينافي تعاليم ديننا، فنحن معه ولكن يجب أن نتروى في ذلك لأن الفاصل دقيق جداً وسوء استغلال النفوذ هو طابع مؤسف في كثير من نواحي حياتنا.

ونسمع عن أمور كثيرة بسبب سوء التصرف من رجال الأمن والشرطة ليس فقط في التعامل مع الناس بل في الحصول على مكاسب خاصة على حساب مصلحة الناس.. فما بالك إذا أتينا بفته جديدة تحاول أن تجد لنفسها مكاناً في هذا المجال..

ترووا ولا تستعجلوا

فالأمر إذن يتطلب زيادة المناقشة وطرح الموضوع على بساط النقاش والحوار على جميع الهيئات الرسمية والشعبية في الدواوين.. الجمعيات.. الأندية حتى نصل إلى معالم واضحة لأي تشريع قد نقصد منه الصلاح.. فإذا بنا نجابه ما سببه من أضرار.. فلا تستعجلوا في الأمر ودعونا نطرح الأفكار والآراء، ودعونا نحدد مكامن الخطر التي فعلاً بدأت تهدد مجتمعاتنا، وعسى أن تكون أقل مما نتصور، وقد تسبب إرباكاً كبيراً لأجهزتنا وستتضارب الاختصاصات.

فلقد سبق وأن طرحنا في (مجلس التخطيط) حواراً جيداً حول هذا الموضوع، ويبدأ بزيادة التنسيق بين الجهات التي تعني بتربية الإنسان وتوجيهه كالإعلام.. الأوقاف.. الداخلية.. التربية.. والشؤون الاجتماعية، وأن تشكل لجان تنسق لها سلطات اتخاذ القرار حتى تزيل التضارب وتعزز إمكانيات بعضها البعض وتوحد الطريق البناء ولا تأتي إلى إصلاح الدمار، فالبناء السليم ولو صرفنا عليه جزءاً أكبر من المال والوقت.. أقل تكلفة

مادياً ومعنوياً واجتماعياً من إصلاح ما يترتب عليه من دمار.. لأن بعض الدمار لن ينصلح وخاصة الدمار النفسي والاجتماعي.

إثارة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) أمر هام وحيوي ونشكر من طرحه كموضوع يستحق أخذ المبادرات فيه . مع أنه يثير العجب إن طرح في مجتمع من المفروض أن يكون مجتمعاً إسلامياً يعمل بتعاليمه وينهي عن محرماته.. ولكن ما حصل من تسبب كبير في جميع مجالات حياتنا.. فقد أصبح طرح مثل هذه الأمور ليس غريباً. ولكن يجب ألا نستعجل على الإطار والتشكيل، فكلما تروينا في وضع التصور الأفضل كلما حققنا الوفاق، بدلا من أن نجعل من أساسيات ديننا الحنيف مجالا للشقاق والتفرقة. وعسى أن يهدينا الله إلى سواء السبيل، وعسى أن نكون جميعاً من عتقاء شهره الفضيل ومن عواده، وكل عام وأنتم بخير.



الجراد .. ٢٠ دينار للكيلو (*)

هذا خبر عادي .. ولكنه واقع حقيقي مؤلم شاهدته في الشبرة والناس هوشة عليه .. ويزيدون ..) سعر الجراد أصبح الآن ينافس الفقع .. وحتى الكافيار .. وتفحصت بعض الأكياس الموجودة فوجدت بأن معظمه «عصفور» وليس «مكن» ومع ذلك الناس تشتري لأنهم يسمعون بالجراد ولكن أغلبهم من الشباب الذي لم يره على حقيقته .. ودخلت في شرح طويل مع الشباب عن الفرق بين «المكن» .. و«العصفور» .. و«اليخاخة» .. و«الدبة» .. صرت عليهم (بروفيسوراً) في الجراد مبيناً لهم أنه إذا لم يكن الأغلبية من «المكن» .. الجراد الأنثى المحشوة بالبيض فإن ذلك مضيعة لفلوسهم .. لا .. (إخوانك صمخان ..) عادوا فوراً إلى المزاد واشتروا لأن «الربيع» يريدون جراداً في الديوانية وما همهم إذا كان «مكن» .. أو «عصفور» .. المهم أنهم «ما يكونون» أقل من الديوانيات الأخرى التي عملت لروادها طبخة جراد (مفيوح ..) لا بل إن البعض الذي حضر من العمرة .. وهذا على ذمة أحدهم، قابلته أيضاً في الشبرة، قد أحضر معه كميات كبيرة «خموها» من على جدران (الحرم المكي الشريف) رغم اعتراض أحد الأئمة بأن (الصيد في الحرم حرام ..) الظاهر أن القاعدة لا تنطبق على الجراد عند إخواننا ..

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٣/٤/٤

المهم في الأمر ليس الجراد نفسه وشراؤه بهذا الأسلوب، ولكن المهم أن نطرح المستوى الذي وصلنا إليه في الكويت من حيث «المطالعة» وتقليد بعضنا البعض.. وعدم الاهتمام بالخسارة المادية.. ولا أستبعد أن بعض من كانوا في الشبيرة ربما «تسلفوا» الفلوس لشراء الجراد.. وهذا ليس عجيبياً، فنجد كثيرين ممن «يتسلفون» للسفر.. أو لشراء (سيارات فارهة لأولادهم)، فقط حتى لا يكونوا أقل من غيرهم.. المثل يقول «مد رجلك على قدر لحافك» ومعنى المثل كان معروفا لدينا ونحن صغار وكنا نعيش ذلك واقعياً في حياتنا اليومية، وكان آباؤنا يصرون أن نعرف قيمة الحياة وألا نقع أسرى للبطر والخيلاء.

ظاهرة الجراد هذه.. تقودنا للاستفسار لماذا نتصرف بهذه الصورة؟! ولماذا لا نبالي؟! ولماذا هذا الصرف غير المعقول..؟ كيف تغير الإنسان الكويتي الذي أصبح يقيس الحياة بمقاييس مادية.. المهم المظاهر.. الكسب المالي والتمتع بالحياة، وأن نعيش يومنا وننسى أن غدنا قريب.. ونعيش واقعياً المثل الذي يقول: «اصرف ما في الجيب.. يأتيك ما في الغيب».. ونسوا أن الله يحذر من الإسراف والبطر.. ويصفهم بأنهم كانوا إخواناً للشياطين..!!

الخضوع للقواعد

السؤال لماذا..؟؟ قد يقول البعض إنها ظاهرة تجدها في جميع الحضارات، وأنه الإشباع المادي للغرائز البشرية المتمكنة في إنسان عصرنا هذا!! ويؤكدون علينا بأن نترك الإنسان لأنه حر فيما يعمل.

هذا الكلمة «حر فيما يعمل» هي بيت القصيد.. لأن الحرية لها حدود وإذا تعديناها، أصبحت مضرّة، فكل الغرائز الإنسانية مثل: (الأكل،

الجنس، الجشع، ..) يجب أن تخضع لقواعد أخلاقية واجتماعية وصحية.. والمبالغة في أية غريزة بشرية دون قيود سوف تؤدي إلى دمار ذات الإنسان .. وما نشاهده في المجتمع العربي من تدهور في الحياة البشرية أمر أصبح يهدد بقاءه، (فالتبذير لثروتنا الطبيعية وتلويث الجو بسبب سوء استغلالها، وتلويث البحار والأنهار والتربة..) قد وصلت بالعالم إلى مرحلة خطيرة قد لا يجد الإنسان حلولاً لها.. وقد يكون ذلك على حساب الإنسان مسبب هذه المشكلة..

وعسى الله أن يكون في عون من هم على هذه الأرض عندما تثار الحروب الحقيقية على مصادر المياه والثروات الطبيعية التي بدأت تظهر علامات الإجهاد والنضوب فيها!!.

فالحرية أيضاً من دون حدود هي الفوضى.. والتحول إلى شريعة الغاب، وهذا الأمر يجعلنا نقف بعض الشيء أمام هذه الظاهرة من الإسراف. فلا يجوز أن نتصرف وكأنه مال سائب قد وضع تحت تصرفنا.. يجب ألا نأخذ الحياة ببساطة ونسرف في الدنيا ونتنظر الغيب.. لأن الأمور الغيبية في مجال مستقبل حاجة الإنسان، واحتمالات الجفاف والحرمان أصبحت معروفة ومعلومة لمن يتغني العلم والمعرفة. والمؤسف حقاً أننا نتصرف وكأن شيئاً لم يحدث لكويتنا.. ونعترف بأن العجز في الميزانية هو حقيقي، وأن مداخلنا من النفط وريع ما بقي من الاحتياطي العام والأجيال القادمة لا يغطي هذا العجز.. فسوف ندخل في دوامة العجز والاقتراض والدين العام حتى نصل إلى مستوى كثير من دول العالم الثالث.. هذه حقيقة وليست مبالغة أو تخويفاً أو تهويشاً.. فعلامات الصعوبات أصبحت واضحة أمامنا، والمستقبل إن لم نخطط له سيكون على حسابنا وحساب أجيالنا القادمة.

عالة وطفيليون

قد يقول البعض ما علاقة هذا وموضوع الجراد والمبالغة في قيمته وإقبال الناس عليه رغم ذلك؟؟، إن العلاقة واضحة وأكيدة وسببه أن الحكومة تشارك في خلق مثل هذا الشعور لدى المواطن العادي وقد عودت الناس على هذا النمط الاستهلاكي المتناهي دون أدنى مشاركة منهم بوعي رشيد.. ونعيش وكأننا أمام أموال لا تنضب.. مع أن أساس ثروتنا هو النفط الذي إن لم ينضب فعلياً.. فسينضب تكنولوجيا، وحروب الغرب علينا قد بدأت في هذا المجال وما (ضريبة الكربون) إلا بشائر ذلك.. والمهم أننا أمام ظاهرة اجتماعية خطيرة وأصبحت مستفحلة، ويجب أن تكون مجالاً للدرس والتمحيص والتعرف على أسبابها وكيف يمكن أن نبدأ بتغيير هذه الظاهرة الخطيرة، هذه الظاهرة التي جعلتنا لا نهتم بالغد.. ولا نعرف كيف نخطط لأبسط أمورنا الحياتية.. سلمنا كل شيء للحكومة.. والحكومة مع الأسف دخلت طرفاً في حياتنا بل يمكن أن نقول بأنها أصبحت المسيطرة على حياتنا.. وما نحن إلا عالة وطفيليون نعيش على الحكومة.. حتى تجارنا ومقاولونا ومصانعنا كلها عالة على الإنفاق الحكومي.

وإذا لم نتدارك الأمر بصورة حازمة.. لا تسألوني كيف..؟ لأن الإجابة ليست عند شخص أو فرد أو مؤسسة معينة بل الإجابة لدينا جميعاً ويجب أن نشترك ونشاور في إيجاد الحلول لها..

فعلية دعونا نبدأ بأخذ الموضوع بجد.. وأن نتدارس واقعنا وأن نتلمس مصالح طريق مستقبلنا.. وعسى أن يخصص (مجلس الأمة) جلسات لمناقشة هذا الأمر الخطير، والذي مع الأسف الشديد نأخذه ببساطة مع أنه يقرر مصيرنا ومصير أجيالنا القادمة، ونرجو أن يبادر (كتابنا ومفكرنا) لإبداء آرائهم تجاه هذه الظاهرة.. ولعلنا نقنع الحكومة والمجلس والناس بأن

إيقاف هذا التيار قد أصبح ضرورياً وملحاً.. ولنتذكر قوله تعالى ﴿إِنَّ
المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ (٢٧ الإسراء).

صدق الله العظيم

وعسى أن نكون من الشاكرين ولسنا من الكافرين...



البدون نتيجة حتمية للتخبط في التجنيس (١ من ٢)*

هذه الأيام قضية من يسمون «بالبدون» تأخذ حيزاً كبيراً من أحاديث المجتمع السياسي في مجلس الوزراء وفي مجلس الأمة، وفي الدواوين.. والتجمعات.. بين الحضر والبدو.. بين الشباب والشباب، ووسائل الإعلام بطبيعة الحال، أخذت من هذه القضية مادة خصبة لطرح آراء عجيبة وغريبة... ونسمع أن جميع البدون والذين تصل أعدادهم إلى أكثر من مائة وخمسين ألفاً، يجب أن ينصفوا... كيف ينصفون؟!.. عن طريق منحهم الجنسية الكويتية.. في حين نسمع الفريق الآخر يعتقد أن البدون أجنب ولا يجوز أن ندخلهم إلى المجتمع الكويتي، ويكفي للكويت ما تعانيه بسبب فوضى التجنيس التي تمت وأوصلت التركيبة السكانية الكويتية إلى الوضع العجيب الذي نراه هذه الأيام.

الرأيان (كلاهما على صواب)، وما النتيجة التي وصلت إليها الكويت إلا بسبب الفوضى والتخبط في التجنيس، وما تم في لعبة من الوساطة وشراء الضمائر والكسب السريع من قبل البعض.. وكعادة مستغلي الفرص دائماً في الكويت والمتربصين بها للكسب منها بقدر الإمكان وحسب الظروف دون

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٦/٥/١٩٩٣ .

مراعاة لهذا الوطن المسكين الذي لم يبخل على أي فرد عاش على أرضه
مهما كانت جنسيته أو انتماءه أو حتى مجرد وجوده على أرضه . . .

هذه الممارسات يجب أن نعترف بها رغم كل التصريحات وكل النفي
لأن الاعتراف بالحق فضيلة . . وهذا واقع أليم نعيشه . . ويجب أن نقبله حتى
نصل إلى الأسلوب الأمثل للخروج من المأزق الذي نعيشه . . نعم إن مشكلة
البدون قضية كبيرة وخطيرة وتركها أو التسويف في حلها سيؤدي حتماً إلى
كارثة إنسانية وبشرية وأمنية وأخلاقية أكبر مما يتصوره البعض . . والقرار
الحاسم فقط هو الذي يستطيع أن يحول مجرى الأمور إلى طريق الصواب . .

وحتى نصل إلى اتخاذ مثل هذا القرار، وأرجو أن يكون عاجلاً
وعاجلاً جداً . . دعونا ننظر إلى أبعاد المشكلة قبل أن نتطرق إلى الحلول . .
فمعرفة أبعاد أي مشكلة هي أول خطوة سليمة للتوصل إلى حلها . . هذا
الأمر يدعونا للرجوع إلى قضية التجنيس في الكويت وكيف تمت؟ وما هو
المأخذ عليها؟ وكيف أصبح هذا المأخذ السبب الرئيسي لظهور هذه الظاهرة
الاجتماعية «البدون»؟!!

عندما ظهر قانون الجنسية الذي اعتبره من أكبر إنجازات عهد
(المرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح)، الذي كان يرى المستقبل بصورة
لا يستوعبها إلا أعداد قليلة من أبناء هذا الوطن . . فاستطاع بإصدار هذا
القانون أن يضع خطأً فاصلاً بين أهل الكويت وبين من دخل إليها مع
الطفرة النفطية، وخاصة وأن الكويت أصلاً بلد المهاجرين . . هاجر إليها
الهاربون من الجوع والقحط والقمع السياسي أو القمع الاجتماعي من
الدول المحيطة بها وهي السعودية وإيران والعراق . . وحتى إن البعض
وصلها من بقاع أبعد كالهند وتركيا وحتى الصين وبعض الدول العربية
الأخرى . .

وهذه الفئة من المهاجرين الأوائل هُم مَنْ بنوا الكويت وجعلوها مكاناً
أمناً لمن يلوذ إليها. . ولأنه كان حكم دول المنطقة آنذاك عن طريق السيف
بينما الحكم في الكويت كان مبنياً على الوفاق. . نعم الوفاق والاتفاق،
وتوزيع السلطات كان هو طابع الحكم فيها، وهذا هو الذي جعل أساس
التعامل بين الحاكم والرعية مبنياً على الشورى، وبعد ذلك تطور إلى النظام
الدستوري الذي تبناه المغفور له (الشيخ عبدالله السالم) واتفق عليه ليكون
نمطاً ارتضاه الكويتيون جميعاً، وحدد العلاقات السياسية والاجتماعية
والاقتصادية؛ وبذلك وضع الكويت على طريق المستقبل بأسلوب جديد قلما
نجده في أي نظام مماثل. . نعم القانون استهدف أن يحفظ حق الكويتيين أو
المستوطنين الأوائل لهذه الأرض. . وأعطيت لهم الجنسية بصفة أصلية. .
ولم يحرم من قدم إلى الكويت بعد التاريخ الذي اتفق عليه وهو عام ١٩٢٠
فأعطاهم حق التمتع بالجنسية الكويتية بصفة تجنيس، (وساواهم بصورة كاملة
في الحقوق والواجبات باستثناء حق المشاركة السياسية في الحكم)؛ وسبب
ذلك طبيعي جداً. . ونجد في أميركا وهي أكبر بلد للمهاجرين وديموقراطية
في العالم، أن يكون رئيس الجمهورية من الجيل المولود في الولايات
المتحدة الأميركية وليس من الجيل المهاجر. . حتى الولايات المتحدة التي
أصبحت فائدة العالم في وقتنا الحاضر قبلت المهاجرين رغم اختلاف
أصولهم وجذورهم ومستوياتهم وأصبحت أكبر دولة في العالم. . ولكنها مع
ذلك تضع بعض القيود على الحقوق السياسية. .

هذا الأمر لا يجوز أن يكون طعنا في قانون الجنسية الكويتي، لأنه من
أكثر القوانين العالمية تسامحاً واعترافاً بحقوق القاطنين في الكويت. . ولو
طبقتنا القانون بصورة صارمة ولم نتلاعب في أسلوب التجنيس وما اعتراه من
شوائب وتعديلات لكان الوضع في الكويت أكثر استقراراً وتجانساً مما نحن
عليه الآن. .

فما شاب التجنيس من تلاعب وخاصة الأفواج الكبيرة التي منحت الجنسية الكويتية بعد الثلاث سنوات الأولى من تطبيق القاعدة، والذي كان من المفروض أن يكون التسجيل قد انتهى بصورة نهائية وخاصة بالنسبة للسكان الأصليين، ولكن استمرار منح الجنسية بصورة أصلية بعد انقضاء ثلاث سنوات من صدور القانون وبصورة خاصة الأعداد التي منحت الجنسية بعد عام ١٩٦٤، هو السبب الأساسي في زعزعة التركيبة السكانية.. والقصاص التي نسمعا كثيرة ويا حبذا لو أن بعض من بقي من أعضاء هذه اللجان والمشرفين على عملية التجنيس يتكلمون ويبنون الحقائق والفضائح التي حدثت، وعندها فقط نعرف لماذا يخشى الكويتيون ويرتابون من أي شيء يسمى فتح باب التجنيس.

لهم الحق وكل الحق لأن طريقة منح الجنسية في السابق كان يشوبها الكثير من الشوائب، ودعوى العودة إلى قرارات اللجان والتحقيق في الجنسيات.. وإن كانت على حق، لكن لو انفتح هذا الباب لدخلنا في مآهات إشكالية وقانونية لن ننتهي منها قبل نهاية القرن القادم.

ولذلك يجب أن نعود إلى أرض الواقع وندرس الأمر بصورة متأنية بعيدة عن التشنج والعنصريات، وكسب الأصوات الانتخابية أو احتساب النقاط لصالح الفرق المتحاربة، الحكومة، والنواب، والقبائل والطوائف.. لذلك فإن فتح باب التجنيس الذي ينادي به البعض على مصراعيه هو أمر غير مقبول؛ لأن أسلوب اللجان أمر مرفوض والتلاعب سيكون هو الوسيلة؛ ولذلك يصبح أي اقتراح غير واضح المعالم ووفق ثوابت يجب ألا نقبله كبديل حتى للنظر في أي طلب للتجنس.. بل أقول أكثر من ذلك إن التجنيس لا ينبغي أن يكون الحل لما يسمون (بالبدون) بل يجب أن تتبع الطرق المعروفة في الدول الأخرى قبل أن نعطي الحق لأي شخص يرغب

في الانتماء لهذه الأرض الطيبة ونجد فيه الفائدة لوطننا، هذا الأمر يدعونا إلى التدرج في حل هذه القضية الخطيرة وأن يكون الحل محدداً لحقوق وواجبات أي فرد يدخل إلى صفوف المواطنين، ولذلك فإنني أقترح بعض الطرق التي يمكن أن نخلصنا من هذه المصيبة الاجتماعية والسياسية إلى الأبد. . . وتصبح الحقوق واضحة والواجبات واضحة. . . ولا تكون الجنسية بطاقة تموين أخرى يستفيد منها الشخص دون أن يكون عليه واجبات تجاه هذا الوطن. . . وهذا ما سأتطرق إليه في المقالة القادمة. . . وأرجو أن يفكر الجميع في هذه القضية المصيرية التي اعتبرها السور الحقيقي للكويت. . .



البدون نتيجة حتمية للتخبط بالتجنيس (٢ من ٢)*

في الأسبوع الماضي تحدثنا عن التجنيس وما شابه من التجاوزات والتخبط، الأمر الذي أثار الكثير من الاستياء والضغط الشعبية التي أدت إلى ردة فعل قوية أقفل بموجبه باب التجنيس تقريباً منذ أوائل السبعينيات بعد أن مرت فترة الستينيات وأدخلت على المجتمع الكويتي الذي نعرفه الذي سمي.. «بأهل داخل السور».. أو «أهل الديرة أو الأصليين»... أو... أو... واختلط الحابل بالنابل، واستسهل الكثير الموضوع وتجرءوا على التزوير بالنسبة للأنساب والأسماء، ورأينا أناساً لم نسمع عنهم قبل التجنيس وقد أخذوا يحملون أسماء للعوائل الكبيرة المعروفة بالكويت عن طريق تغيير الأنساب والأسماء، وصرنا لانعرف الأصل من التقليد.. وأخذ الجميع يرتاب من عملية التجنيس منفزعاً إلا من النزر البسيط، وحتى الحق الذي أعطي لوزير الداخلية بتجنيس ٥٠ شخصاً ممن قدموا خدمات جليلة للكويت ونحتاج لهم، لم يحصلوا على هذا الحق لأن وزير الداخلية لم يستعمل هذا الحق.

هكذا أغلق باب التجنيس، على من حصل عليها بالحق أو بالباطل

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٣/٥/٢٣.

وأصبحت حقاً مكتسباً، ولكن غبنت أعداد كبيرة من أصحاب الحق، وضاع صاحب الحق في ذمة أهل الباطل، وسمعنا عن إخوة بالأصالة أحدهم يحمل الجنسية الأصلية وآخر لا يحملها، ووجدنا آباء يحملون الجنسية الثانية وأبناء يحملون الجنسية الأولى.. وغير ذلك من التراكيب العجيبة.. ورغم كل هذه السنوات ظل كثير من كبار السن الكويتيين وخاصة النساء لم يتقدموا للجنسية.. إلى غير ذلك من القصص الغريبة والعجيبة.

بعد أن أغلق باب التجنيس ظل الكثيرون ممن كانت لديهم ملفات ولم تنظر حالتهم دون قرار.. يدعون بأنهم كويتيون ولكن دون جنسية، وخاصة بين أفراد الجيش والقوات المسلحة الذين استغلوا موضوع الجنسية أسوأ استغلال، ومع الاعتذار للإخوان في القوات المسلحة.. وكانوا هم سبب المشكلة؛ فالموجودون في القوات المسلحة أصبحوا يعاملون كالكويتيين في الحقوق، وهؤلاء أتوا بأهاليهم وذويهم وامتألت الصحراء الكويتية «البادية» بأعداد مهولة يعيشون في عشش وبيوت شعر تحت ادعاءاتهم أنهم بدون جنسية.. وأغلبهم يتمون لمن كانوا في الجيش.. هكذا بدأت قضية (البدون) وأخذت تتفاقم يوماً بعد يوم وصار الانتماء إلى (البدون) أسهل شيء فلا عليه إقامة.. ويعامل كالكويتي وعاش في أحسن حال.. تزايدت الأعداد حتى وصلت إلى أكثر من ٢٠٠ ألف شخص!!! مرة واحدة ظهرت هذه الأعداد وعند إصدار البطاقة المدنية اكتشفنا الكثير من الحالات التي كانت تستعمل غطاء للبدون مع أن أقاربهم كانوا يحملون الجنسيات الأخرى.. وبدأنا نرى من يتشرد حيث أخذت الجهات الرسمية تشترط الجنسية الأصلية كشرط أساسي للعمل، وكافأنا من أظهر جنسيته الأصلية، وحافظنا على حقوقه ووظيفته، وبدأنا بتعديل الأحوال، وكادت الحقيقة أن تظهر لولا غزو صدام الذي خلط الأوراق مرة أخرى وبدأنا القصة من جديد.. وبصورة أشد؛ لأن البعض من (البدون) في جيشنا قتلوا أو أسروا

أو اختفوا وتعقدت الحالة من جديد.. والآن أصبح الوضع لا يقبل التأخير وصارت قضية (البدون) قضية انتخابية وسياسية وأمنية.. والسكوت عنها لا يقبل.. فلذلك علينا أن نبدأ في الحل الجذري دون تأخير، بحيث يكون ذلك بالتعقل ودون انفعال.. بإعطاء الحق لأهله دون التجاوز عن حقوق الكويتيين.. ولمّ شمل الأسر دون التمادي في الانتماء والادعاءات.. فصار (البدون) يدخلون في البدائل التالية:

- أ - فئات مرتبطون عائلياً مع الكويتيين.
 - ١ - أولاد المتجنس الذين كانوا فوق سن ٢١ سنة.
 - ٢ - أولاد الأمهات الكويتيات المتزوجات من غير كويتيين وذلك بعد طلاقهن أو وفاة أزواجهن.
 - ٣ - الأزواج البدون للكويتيات من الفئات الأولى والثانية ومشاكل أولادهن من هذه الزيجات.
 - ٤ - أقارب من الدرجة الأولى للكويتيين وغير ذلك من الأنساب بين الكويتيين والبدون.

ب - فئات (البدون) الذين لا تربطهم أي أواصر من القرابة مع الكويتيين ولكنهم من الذين ولدوا في الكويت وترعرعوا فيها وتعلموا حتى حصلوا على أعلى الشهادات وكلها على حساب الكويت أو الكويتيين وهم من الفئات التي تشجعهم الدول الخليجية للهجرة إليها..!!

ج - الفئات التي لا تنطبق عليهم المواصفات المذكورة وهم أيضاً غير ذي فائدة على الكويت بل هم عالة عليها..!!

هذه الفئات جميعاً الآن معلقة ولا تعرف مصيرها في الكويت تربوا على أرضها الطيبة واستفادوا من الخدمات التي تقدمها الكويت لجميع من هم على أرضها، وكبروا وأصبحوا لا يعرفون غير الكويت وطناً أو أرضاً..

وكان لبعضهم أهل ووطن أفضل بكثير من الكويت ونحسدكم على ذلك؛
لما في بلادهم من أمن واستقرار ولا تهديد من الجيران والقريين منها..
وأذكر أن كثيراً من أبناء الإخوة المصريين الذين ولدوا وعاشوا في الكويت
يفضلون البقاء فيها رغم ما للليل ومصر وحضارتها من امتياز على أرضها
القاحلة المالحة.. لولا نعمة النفط عليها..!!

فهؤلاء كلهم منتظرون الاطمئنان أولاً بالمصير والمستقبل ويرغبون
بوسيلة قانونية وشرعية للعيش معنا. وليس من الضروري أن نمنحهم الجنسية
الآن.. وأنا من مؤيدي عدم حل قضية (البدون) بالتجنس، وعلينا أن نخفف
الضغط الكبير الذي نعيشه نحن، وعلينا أن نحدد وسيلة لتفادي اتخاذ قرار
التجنيس في هذه الفترة من تاريخ كويتنا.. فعندنا الكثير من المشكلات
وإعادة ترتيب البيت الكويتي، فعلى الأقل دعونا نعط أنفسنا فرصة حتى
يكون عملنا سليماً وليس مرتجلاً.

ولذلك أصبح افتراض إعطاء (البدون) الإقامة الدائمة أو ما يسمونه في
أميركا «البطاقة الخضراء» حلاً طيباً يجعل لصاحبها حق العيش معنا ماداموا
يعملون ويساهمون في تنمية بلدنا بدلاً من استخدام هذه الأعداد المهولة من
الغرباء إلى مجتمعنا، كما نعطيهم بعض المميزات كالبيع والشراء بأسمائهم
وشراء مساكن خاصة لهم، وإعطائهم حق التمتع بالخدمات المقدمة للكويتيين
في مجال الصحة والتعليم العام.

على أن تتوفر فيهم الشروط التالية:

١ - ضرورة إحضار شهادة الإحصاء التي تثبت بأنهم كانوا في الكويت أثناء
التعداد لعام ١٩٦٥ حيث إنه التعداد الوحيد الباقي لدينا، أما التعدادات
السابقة فقد ضاعت ولو كانت موجودة لكانت أفضل، ولا يقبل أي

استثناء عن هذا الشرط، ومن لا يحضر هذه الشهادة فلا يمكن أن ينظر في حالته ويكون ذلك بقانون وليس بقرار يطبق حسب المزاج أو الوساطة.

٢ - أن تكون لديه مهنة أو عمل تجاري تستفيد الكويت منه، وأن يكون ممن ساهموا في الخدمة للكويت أثناء الاحتلال العراقي الغاشم وخاصة من شاركوا في المقاومة.

٣ - أن يكون من مواليد الكويت وذلك في مستشفياتها أو مراكزها الصحية، ولا تقبل شهادة (الكليشية) المعروفة «مولود في البر»، وبشرط ألا يكون عليه أية قضية أخلاقية أو أمنية أو من الذين تعاونوا بأي شكل من الأشكال مع السلطات العراقية أثناء الاحتلال.

ويجب أن نطبق ذلك وفق قانون يصدر من المجلس، وأن نبدأ بالتطبيق بصورة تدريجية وعلى فترة سنتين على الأقل، والأولويات بالطبع معروفة.. حسب انتمائهم للعوائل الكويتية، وبعد ذلك من تستفيد الكويت منهم، ومن لا تنطبق عليهم هذه الشروط عليهم أن يأخذوا طريقهم إلى الخارج من غير طرد، وأن نكون حازمين.. حازمين.. لأول مرة في حياتنا حيث إن القضية مصيرية.

جميع هؤلاء يعطون الإقامة الدائمة بالحقوق التي ذكرناها، وبعد مرور عشرين سنة على تاريخ حصولهم على الإقامة الدائمة يمكن النظر في إعطائهم الجنسية حسب الأوضاع في ذلك الوقت، أو يستمرون على حالتهم يحملون جنسياتهم الأصلية ويتمتعون بحقوق أفضل من غير الكويتيين الذين قدموا إلى الكويت بعدهم..

هذه مرحلة في تاريخ الكويت تحتاج إلى الحذر والحذر الشديد.. ويجب ألا تحل القضية بصورة ردة فعل، بل يجب أن نأخذ الأمر بكل حذر

وحكمة وحنكة.. ويكون كل شيء وفق القانون دون الاستعانة باللجان..
لأن مصيبة الكويت أساسها اللجان التي أضرت بالكويت وأوصلت الأمر إلى
ما نحن عليه.

فهل نحن جادون ياترى؟! وهل يمكن أن نتخذ القرار السياسي
والقانوني اللازم؟! أو أننا سوف نبقى كما كنا دون قرار؟! وتتفاقم المشكلة
وتزداد تعقيداً؟! وبعدها نصرخ بالويل والثبور والطامة الكبرى؟! لقد أزفت
ساعة القرار ويكفينا لوعة قلوبنا ودوخة رؤوسنا.. فالكويت قد فاض بها..
ولا تتحمل أكثر من ذلك فهل من مستجيب...!!!



الوزير والخفير وخطاياهما*

منذ فترة ويطالنا بعض الإخوة الأعزاء الذين نكن لهم كل حب وتقدير بمقالات ليست كثيرة، ولكنها تهمس وتلمز على الوزراء والمسؤولين السابقين ليست على ما يكتبون، ولكنها تتركز دائماً على كلمة «كتتم فين» وكأن هؤلاء المسؤولين وقعوا في الخطيئة دون الخطأ بقبولهم تحمل مسؤولياتهم، وعليهم الآن أن يعيشوا في طي الكتمان وزوايا النسيان وأن يوفروا نصائحهم فأين كانوا ساعة توليهم مسؤولياتهم؟ وهذه الدعاوي ليست من الحق في شيء، وأذكر مقولة داعية الإسلام الشيخ محمد متولي الشعراوي بعد خروجه من الوزارة لمن سألوه ومن صنفوه بأنه رجل الحكومة.. لماذا قبلت الوزارة وأنت الآن تنتقد عمل الوزارة؟ فأجاب بأني قبلت الوزارة لأنني لو لم أقبلها لسألني من يسألونني اليوم لماذا لم تقبل الوزارة لعلك أضعف منها، ولعلك تسلك سلوكاً نظرياً في أحاديثك وهربت من المواجهة، فقبلتها، وأيضاً كانت وجهتي الإصلاح ما استطعت ولعلي أنجح، ولكني لم أنجح ولكن الآن لو سألتهموني والكلام للشيخ الشعراوي هل تدخل الوزارة مرة ثانية أقول لا، وألف لا، وسأله أحدهم لماذا لم تستقل عندما لم تتمكن من إصلاح ما أردت؟ وأجاب ببساطة شديدة هل الحياة وأمور العباد بهذه البساطة إما الموافقة على طلباتي أو الاستقالة، الأمر

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٣/٧/٤

الأهم من هذا: هل كل الذين دخلوا الوزارة ارتكبوا خطيئة بقبولهم هذا العمل الوطني. . العكس هو الصحيح، لو اعتبرناه خطيئة كما يحاول البعض تصويرها فأين هم الآن؟ كلهم دون استثناء يعملون في وظائف وطنية في خدمة الوطن مهما كانت قيمة هذه الوظائف فلو كانت خطيئة ما تصدى وزير أو غير للعمل، ولأحجم الجميع عن خدمة الوطن كل ما نطلبه من كل إنسان في موقعه أن يعمل وأن يجتهد فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر على اجتهاده.

هذه هي سنة الحياة طالما هناك عمل فلا بد أن يصاحبه خطأ (فكل بني آدم خطأ وخير الخطائين التوابون)، وقول السيد المسيح «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر» إن أهم ما يتميز به المسؤول هو إخلاصه لله سبحانه وتعالى وللوطن، ويقول كلمة الحق، فإن أخذ بها فخير وبركة وإن لم يؤخذ بها فعليه الجهاد في سبيلها بالرأي والمشورة حيثما كان، فالعمل الوطني ليس قاصراً على وزير دون الخفير بل الكل شركاء في المسؤولية (فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) ولعل الإخوة المسؤولين السابقين يتسابقون في الإدلاء بأرائهم فكما أن (أهل مكة أدرى بشعابها) فهم أيضاً أدرى بدهاليز العمل الحكومي، قد لا يتصور البعض أن المهمة الوزارية من أثقل المهام خاصة إذا أخذها المسؤول بالصورة المطلوبة وليست كوجاهة اجتماعية، فعلى سبيل المثال - فالعمل الإداري يستنفد معظم وقته وجهده في أمور لن أقول تافهة ولكن عائدها الإنتاجي لا يذكر، إلا أن خوفه من المسؤولية يجعله يحاور ويداور ويشارك في صنع القرار رغم محاولات التطوير، وتوزيع كثير من الاختصاصات إلى الإدارات المختلفة، رغم هذا فهناك من يحلو لهم الاستيلاء على الوزير، أو المسؤول وإغراقه بكثير من الشؤون الهامشية، لذلك فإن المسؤول في حاجة دائمة إلى من يقول له أصبت وأخطأت، ويمده بما يراه من أفكار قد يتبناها الوزير أو المسؤول الجديد،

فالمسؤول السابق بعد خروجه لديه فرصة للتأمل والتفكير، وليس النقد المطروح في المقالات موجهاً إلى شخص معين أو هدفه التجريح، فمثلاً في إحدى ندوات قضايا وردود طرح (الأخ الدكتور إسماعيل الشطي) نقطة هامة وخطيرة سمعها معظم أبناء الكويت ولم ترد الحكومة عليها وهي أن الدولة ليس بها خطة للخمس سنوات القادمة، مجرد إذاعة مثل هذه المعلومة على المواطنين كفيلة بإشاعة البلبل؛ لأن المواطن يريد أن يعيش في جو أمن ومستقر، ويعلم عن يومه وغده الكثير - هل كان من المفروض أن أضحك ساعة مشاهدتي لهذه الحلقة وينتهي كل شيء؟ لا وألف لا لا بد أن نصحح الخطأ ونقول الحقيقة ليعلمها الجميع ليس حباً في الشهرة ولا في الظهور ولا تسفيها لرأي ولا تقيلاً من قيمة أحد بل العكس هو الصحيح.

لا أريد أن أسترسل كثيراً حتى لا يمل القارئ، ولكن أحب أن أقرر بأن المسؤول السابق أياً كان موقعه المفروض أنه مواطن صالح قبل كل شيء، له حق المواطنة وحق إبداء الرأي وحق مناقشة الجميع، وسوف نستمر في إبداء آرائنا خالصة لوجه الله «لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً»، مصداقاً لقول رسولنا الكريم ما معناه «إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها».

أما عن موضوع (التطوير الإداري)، فحديثي ليس شاذاً عن بقية الخبرات العالمية، (الرئيس غورباتشوف) عندما كان يحاور (الرئيس نيكسون) عن المصارحة في إحدى زيارته لأميركا عن ضرورة عمل ثورة في النظم الإدارية؟ رد عليه (نيكسون) بأن الأمانى شيء والواقع شيء آخر، الرئيس يستطيع أن يصدر قراراً جميلاً منمقاً اجتمع الخبراء لإخراجه إلى حيز الوجود، ولكن من هم المنوطون بالتنفيذ؟ الجيوش المجيشة من الموظفين من كل ملة كل له هدفه، يسترزق من وراء جلوسه وراء المكتب ووضع

بصمته على القرار خوفاً من ضياع رزقه خاصة في دولة - الموظف فيها ليس صاحب قرار بل اعتاد أن يقرر غيره نيابة عنه خوفاً على الوظيفة، وهذا الموظف لا يمكن تغييره في يوم وليلة بقرار بل سيقاوم لأنها حياته ومستقبله والحقائق أمامنا، هل تذكرون متى ظهرت بوادر «المصارحة» الخورباتشوفية؟ قبل عشر سنوات وحتى اليوم مكانك سر؟ نموذج آخر: هل تذكرون الانفتاح الذي تبناه (الرئيس السادات) منذ أكثر من خمس عشرة سنة وما زالت مصر تعاني من بيروقراطية موظفيها حتى اليوم رغم الجهد الكبير والتقدم الهائل في هذا المجال نتيجة النقد اللاذع من المستثمرين؟..

هذه ليست دعوة لليأس أو الإحباط ولكن نظرة ممارس حاول قدر استطاعته إصلاح ما يمكن إصلاحه، واليوم يضع خبرته أمامهم حتى يعلم من هم في المسؤولية اليوم ما هي الصعاب التي ستواجههم وعليهم أن يتغلبوا عليها بدراسة تجارب الآخرين.

وبالصدفة البحتة أثناء كتابتي لهذا المقال، كتب (الأخ الدكتور عثمان عبدالملك) في الوطن ٥/٢٥ تحت عنوان «قرار محمول على أسبابه» كان صريحاً وواضحاً وذكر الخلل البشري والإداري في إحدى قلاعنا العلمية وهي (الجامعة)، والتي هي من المفروض أنها تقود المجتمع وبعمر الزمن تعتبر حديثة وحديثة جداً إذا ما قورنت بالجامعات العريقة في العالم، وبالرغم من هذا رأينا الخلل الإداري، (والدكتور عثمان عبدالملك) يُطالب بثورة لكي يقبل العمل مديراً للجامعة، ورغم احترامي لرأيه وتقديري الكامل لشخصه فهو إحدى الكفاءات العلمية المحترمة، فإنني أقول له بجهدك المتواضع مع جهد المخلصين قد تنجح في التغلب ولو على مشكلة واحدة فقط، وهذا نجاح، وأقول لك (القليل إلى القليل كثير)، والحديث النبوي يقول «الإيمان بضع وسبعون أو ستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها

إماطة الأذى عن الطريق» فإماطتك الأذى عن طريق المسلمين شعبة من شعب الإيمان ورغم بساطتها إلا أنها استكمال لإيمان المسلم.

فالعامل الإداري التنفيذي لا ينتهي باستصدار قرار بل هناك الجيوش الجرارة من الموظفين المطلوب منهم تنفيذ هذا القرار، وكل له رأيه ووجهة نظره في التنفيذ والتفسير بما يراه مناسباً. إنني أدعو الإخوة ممن حملوا المسؤولية سابقاً بأن يدلوا كل بدلوهم، فنحن في حاجة إلى حوار قومي نستمع فيه إلى الجميع دون حجر على رأي أو احتكار في الكتابة. إنها ثروة قومية يجب أن نستفيد منها، فبعض من هؤلاء المسؤولين قد لا يجيدون الكتابة أو التعبير، فهناك التليفزيون الذي يلعب دوراً هاماً وخطيراً في التعبير والمناقشة، وقد أثبتت البرامج ذات الطابع النقاشي نجاحها لأنها تطرح هموم المواطن، وأتمنى أن تكون هذه الندوات هي جمع بين السابق والحالي لإثراء النقاش وتطعيم الآراء دون أن يتصور أحد بأن هناك غالباً أو مغلوباً في نهاية اللقاء، بل الجميع غالبون إن شاء الله؛ لأننا نهدف إلى خدمة الوطن ولعل السنة التي استنتها (الأخ أحمد السعدون) رئيس مجلس الأمة سنة حسنة بعقد ديوانية الأحد بين القديم والحديث، والمناقشة والمصارحة وإبداء الرأي، ولعل هذه السنة الطيبة يحذو حذوها الكثير من مؤسسات الدولة وأيضاً (الأخ أحمد الربيعي) بتشكيله المجلس الأعلى لتطوير التعليم وضمه لجميع وزراء التربية السابقين دون حساسية أو شعور بالوصاية، على العكس المستفيد الأول هو الكويت والثاني أجيالنا القادمة؛ فتحية طيبة إلى كل مخلص في هذا البلد لا تحركه أهواء ولا مصالح.

الكويت اليوم في حاجة ماسة إلى المساندة فنحن نمر بأخطر مرحلة من مراحل حياتنا، الخطر محقق بنا من كل الاتجاهات وعلينا أن نعي هذه الحقيقة ولا نتعثر بالظواهر التي على السطح فالفقاع مظلم وسحيق.

إن كثيراً من القيادات السياسية السابقة قيمة كويتية هامة هل نحافظ عليها ونستفيد منها أم ندمرها تدميراً شخصياً؟! علينا أن نناقش الرأي بالرأي بدلاً من الحوار الشخصي ورفض ما يقدم لمجرد أن هذا كان مسؤولاً سابقاً فاشلاً أو ناجحاً، ولكن علينا أن نتبع قول الرسول ﷺ: الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها. والله يهدينا جميعاً إلى الحق.



وكاد العقد الكويتي أن ينفرط(*)

كلام كثير يتزاحم على لساني.. وعواطف جياشة تحاول الخروج من سجل الكتمان.. وأفكار غريبة تفرض نفسها على سطح الواقع.. وأنا أرى وأتحسر على ما يحدث في البيت الكويتي.. ومصالحة بلدي الكويت التي بدأت تتقاذفها أمواج الخلافات والضغائن والأطماع والمكاسب الفورية تجارية كانت أم اجتماعية أم سياسية!!.

كل هذه التيارات بدأت تطفو على السطح، وكأن «موجة القوع»، هذا اصطلاح قد لا يعرفه إلا القليلون من أهل الديرة الذين عاصروا هذه الأمواج في سفراتهم ورحلاتهم من أجل المحافظة على الكويت وعدم انقطاعها عن العالم.. أما بحارة اليوم فهم حتى «موجة السطح» لا يعرفونها لأنهم لم يخوضوا حقيقة مجابهة الأمواج العاتية التي بدأت تهدد سفينة الكويت.. وتوجهها نحو الصخور المخفية التي ستحطمها، وخاصة أن أغلبها لا يظهر عندما يكون البحر «طفوحا» كما هو وضع البحر الذي تبحر فيه سفينة الكويت هذه الأيام.

«موجة القوع» بدأت تزداد شدتها وأخذت تقذف الكثير من الأشياء المخفية إلى السطح، ومعدرة إذا كان البعض لم يستطع فهم هذا الكلام ولم

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٣/٧/٤.

يستوعبه.. فأنا أكتب هذه المقالة لمن يعرفون ويعيشون واقع الكويت.. ومن كان من أهل الديرة حقيقة سيعرف ما هو واضح على سطح البحر.. أو ما يدور في القوع ونحن نبحر بسفيتنا إلى بر الأمان.. إن شاء الله تعالى رغم كل هذه الدرادير والتيارات المائية السطحية والجوفية التي تعترض مسار سفينة الخير هذه.

وعلى ذكر (سفينة الخير..) الوصف الذي نصف الكويت به بين فترة وأخرى.. لأن هناك مفاهيم خاطئة عند البعض عنها.. فهناك من يراها سفينة كبيرة تحمل الكثير من الخيرات، وهدف هذه الفئة أن تنهب هذا الخير جاعلة أسلوب حياتها كالمثل الشعبي.. «من صاها عشى عياله» بغض النظر عن حاجة الجيران والمعتمدين على خير هذه السفينة. ولكن ما يعرفه أهل الديرة عن هذه السفينة هي تلك السفينة التي بدأت إبحارها عندما وطئت أقدام أهل الكويت هذه البقعة العزيزة من الأرض، وبدءوا يشيدون البيت الكويتي ويحاولون أن يحتفظوا (رغم شظف العيش الذي كنا نعيشه) ببعض من خيراتها للمحتاجين من أهلها، أو لغيرهم من الذين تعودوا على الكويت بطابعها الخاص وأسلوب حياتها أن يلجئوا إليها عند الحاجة.

سفينة الخير هذه، هي التي يجب أن تبقى وألا نتزاحم فيها، ويجب أن يعرف كل فرد منا مكانه فيها.. وأن يؤدي كل منا دوره حتى تسير بنا إلى المستقبل متحدية جميع الأنواء والأهوال الجوية التي اعترضتها.. والتي ستعترضها وهي تشق طريقها.

آسف للقارئ إذا أخذته بعيدا عما بدأت به، ولكن هذه الإطالة واجبة لأن لهذه المقالة خصوصية تحتاج إلى الرجوع إلى الأصل.. لأنه حسبما يقول المثل «اللي ما عنده أول.. ما عنده نال».

وعودة إلى موضوع المقالة.. وكيف أن العقد الفريد الذي يربط أهل

الكويت قد بدأ الشد يزداد عليه.. والكل يجذبه من ناحية، وخوفي أن ينفطر هذا العقد وعندها سيكون من الصعب.. أو حتى من المستحيل أن نلتقط هذه الحبات.

ورأيت هذا الشد وأنا أحضر اجتماعات (مجلس الأمة) في الجلستين اللتين ناقش المجلس فيهما استثماراتنا في الخارج.. حقا إن ما طرح في تقرير (ديوان المحاسبة) أمر يهز كيان كل إنسان كويتي، وخاصة لشخص مثلي عاصر أكثر من سبعة عشر عاما في صناعة القرار على أعلى المستويات، وشاركت أو كنت أبذل جهدي لأشارك في بناء الوطن العزيز.. ملتزما بالقسم الذي أقسمناه وبشكل روتيني.. عند استلام المسؤولية، ولكن هذا القسم في الحقيقة ليس إلا تطبيقا عمليا لكل ما يجب أن نحمله من حب وولاء وعطاء لوطننا.

إن ما طرح في المجلس كان شيئا جيدا.. وعندما سألت المسؤولين في ديوان المحاسبة: هل هذا ينطبق على جميع استثماراتنا..؟؟ أجابوني بكلام هدا من روعي بعض الشيء، وذلك بأن هذا فقط عن المخالفات.. أما باقي استثماراتنا فهي تسير بصورة عادية.. وبخير. والحمد لله.

طمأن هذا الأمر حالتي النفسية بعض الشيء لأنني كنت أعيش عذابا حقيقيا في داخلي.. وهو كيف لم يخطر على بالي طوال هذه السنوات عن حدوث مثل هذه المخالفات.. والاختلاسات؟! وكان ضميري دائما يرد علي بأن سبب ذلك هو ما نفترضه من ثقة وحسن النية وعدم الشك بالنوايا، ومبدأ الحلال والحرام الذي يحكم أعمالنا وقراراتنا اليومية انطلاقا من إيماننا بديننا الحنيف. لا بد وأنه كان هو الذي منعني من السؤال أو حتى الشك من بعيد في إخلاص وأمانة أي إنسان يتحمل المسؤولية عن الأموال العامة. وعن كرامة الوطن.

ولكن ما ظهر في تقرير ديوان المحاسبة جعلني ألوم نفسي لعدم الشك.. ولو للحظة عن احتمال مثل هذه الجرائم بحق وطننا. وعشت أياما صعبة.. أنا الذي لم يكن لي علاقة مباشرة بالاستثمار؛ لأن مسؤولية الحكومات دائما تنحصر في الميزانيات، وتعتمد على مراقبة ديوان المحاسبة ومجالس الأمة، ولم تكن قضية الاستثمارات تعرض في هذه الميزانيات السنوية.

ولكن كنت أتألم أكثر لأخي وزير المالية.. ولسمو رئيس مجلس الوزراء على ما يعانون منه بسبب هذه الجريمة الكبيرة، ولكن هذا هو الوضع في الكويت قليلون يتحملون المسؤولية، وكثيرون من جعلوا ديدنهم التقدير و«الطماشة» وحال لسانهم يردد كالعادة.. «أنا إيش علي».. أو ما نسمةهم «بقوم ماكاري».

كان الأمر سيكون طبيعيا وستتخذ الإجراءات القانونية، ويساءل كل من أساء التصرف أو خان الأمانة ويجب أن نتعظ ولا نتهاون كالعادة حسب نظامنا المتبع.. «عفا الله عما سلف» وباسم ما ندعيه من (روح الأسرة الواحدة..). التي لم يبق منها مع الأسف حتى الاسم، وصار من يقولها هذه الأيام يكون محلا «للطنازة»، لأن الأسرة الواحدة لم يبق منها شيء.. ولكن ما حدث بالمجلس كان عكس ذلك.. الهدف لم يكن العنب - كما يقول المثل.. بل الهدف كان الناطور.. وما نثار من نقاش حاد، والذي كان في صلب الموضوع.. فهو نقاش مقبول مهما كان مرا أو عاتبا أو حتى محرجا، لأن من يقصر في أمر الأمانة فهو مستحق للعقاب، وكلما كبرت المسؤولية يجب أن يكون العقاب أكبر.

أما النقاش الذي خرج عن صلب الموضوع.. وكان هدفه إثارة الأمواج في وجه مسيرة سفينة الحق فهو الذي جعل الكويت تهتز، وخاصة

أننا هذه الأيام نعيش على «اطريف» لا نتحمل زيادة من «عوار القلب». وتكفيننا مصيبتنا الأمنية والاقتصادية والاجتماعية.. (ويا دوبنا) بدأنا نللمم الصفوف، وبدأنا نرى النور في آخر النفق المظلم الذي أدخلنا فيه النظام العراقي الغاشم، وأصبحنا نبذل ما لدينا من قوة للخروج منها.. كانوا قلة في المجلس.. والحمد لله إنهم قلة.. وهي كمجموعة صغيرة فقدت رصيدها، وتحاول أن تأخذ من رصيد الكويت.. هذه القلة قالوا كلاما شططا.. وخرجوا عن الموضوع ونسوا العنب وأخذوا يطالبون برأس الناطور.. وكان كلاما عنيفا ينقصه أدب الحوار والنقاش.. ونضع على رئيس الجلسة المسؤولية الأولى والعتب، لعدم تمكنه من حصر النقاش في صلب الموضوع.

هذا الذي حدث كان أمرا مقلقا حقا للكويت.. وكعادة أهل الكويت.. ظهرت ردود الفعل في (الدواوين..). المنابر الديمقراطية الحقيقية التي لا يمكن تقليدها لإنهاء جزء من نسيج الكويت المميز والخاص والفريد.. (وراحت السكرة وجاءت الفكرة) وأحس أهل الكويت بالخطر وعرفوا أن المقصود من إثارة هذه الصراعات السياسية تستهدف الجميع؛ فارتفع الصوت الكويتي بالرفض وتجاوبت الصحافة.. حتى تلك التي تدعي الرأي الآخر، وخاصة إذا كان الأمر في مصلحتهم.. حتى هؤلاء وجدوا أنفسهم أمام أمواج متلاطمة تكاد أن تغرق سفينة الكويت بمن فيها.

هكذا وبصورة مفاجئة ظهر الأسلوب الكويتي.. وعاد الكويتيون كما وقفوا أثناء العدوان لا يقبلون التجزئة أو التفرقة، وصاحوا بصوت واحد «لا» لن نقبل أن يزعرع أي انسان أو فئة هذا التكوين الكويتي الفريد.. وتآبى النسيج الكويتي على كل محاولة للتمزيق..

وعقدت جلسة السبت في هذه الأجواء، وكان سمو ولي العهد ورئيس

مجلس الوزراء والنائب الأول واضحين بأن هناك احتمالات للخطأ، وحدث هذا الخطأ بسبب سوء إدارة.. أو سوء نوايا.. أو سرقة مع سبق الإصرار، وهذه الأمور لا يمكن السكوت عنها أيا كان مرتكبها. وظهر هناك من استغل نفوذه بغض النظر عن من هو.. من الأسرة الحاكمة أو من الأسر المحكومة.. لا فرق بين أصيل أو بيسري.. بين بدوي وحضري، وأكدوا لنا أن الدنيا بخير.. وبدلاً من أن نبكي على الدهن الذي انسكب، دعونا نتحكم في سير سفينتنا بدلاً من أن يستغل المتربصون بها الفرصة ويغرقوها، فيضيع الكل... الأمر إذن يتطلب تحديد المسؤولية ومحاسبة المخطئ.. وهذا الأمر يجب أن يكون في إطار القانون ومن دون تعد.. أو تعسف.. وخاصة أن الأشخاص المتهمين استخدموا القانون لكي يهربوا منه ظناً منهم أنهم لن يقعوا، لأنهم محترفون، ونحن في أحسن الأحوال هواة، وأغلب من في مجلس الأمة أو في الحكومة ليسوا على مستوى التنظيم والتكتيك الذي يجيده هؤلاء (الحرامية..). وكل خوفاً أن نضيع في هذه (الطوشة) وستكون أتعاب المحامين والمرافعات أكبر من الأموال التي اختلست.

ما علينا.. دعونا نترك هذا الأمر بيد القضاء الذي لم يسلم حتى النائب العام من (الطرشة) واللوم.. مع أننا نتكلم عن فصل السلطات واستقلالها.. ولكن هذا متوقع عندما نلجأ إلى عدم اتباع الأصول في الكلام والمطالبة والمحكمة.. ولله الحمد مر الإعصار أو «العافور» وانقشع الغبار وبدأنا نرى النور في نهاية النفق، ويجب أن نحاول أن نجد الطريق، وعسى أن نخرج من النفق الذي نحن فيه.

كل هذا يكشف لنا طريقتنا في التفكير، وأسلوبنا في الحياة وتصورنا للمال العام، فإذا كانت الفضيحة الحالية لخيانة الأمانة وتبذير المال العام قد

«طفحت» في مجال استثماراتنا، فهذا المال العام يهدر بالملايين طوال هذه السنين الطويلة دون ضابط أو رادع، فعلى سبيل المثال، الجيش الكبير من الموظفين الذين يعيشون عالة على الدولة دون إنتاج، ودون تطبيق سياسة الثواب والعقاب عليه.. والمسؤولون بالأشغال الذين يصرون على تبديل طابوق الأرصفة من النوع القديم إلى الطابوق الجديد الملون فقط «على شان الكشخة والمظهر».. رغم وجود مئات الكيلومترات من الأرصفة دون أي نوع من الترتيب.. أو التنظيم!!!

والمسؤولون في الزراعة الذين أعادوا زراعة الصفصاف في الشوارع رغم معرفتهم، وعلى ضوء الدراسات العلمية التي استغرقت أكثر من عشر سنوات، وفحص أكثر من ٢٠ ألف حالة مرضية من الذين عانوا من الحساسية الشديدة بسبب هذه الشجرة.. كل هؤلاء يفرطون في المال العام.. ويخونون الأمانة التي ائتمنوا عليها. فقضيتنا هي تغيير منهج حياتنا والتغيير حقا بهدف المحافظة على أموال الشعب وعدم الاستهتار والتعاون فيها؛ لأن العواقب ستكون وخيمة وستدور الدائرة علينا جميعا.

بعد كل هذا.. ماذا لو تعرضنا مرة أخرى بل مرات أخرى لمثل هذه الزوابع والأعاصير العاتية.. وهي كثيرة وتنتظرننا.. فالسؤال كيف نخطط للتعرف على مثل هذه الأعاصير؟

هل فكرنا في طريقة نمنع بها حدوث مثل هذه الهزات التي قد تؤدي في النهاية إلى تحطيم سفيتتنا..؟؟ أليس لدينا فئة عاقلة تحاول أن تمسك زمام الأمور عندما تشتد هذه الأعاصير؟

أين من كنا نسميهم بأهل الحل والعقد..؟ أين النواخذة الجيدون..!!؟ ألا توجد بيننا فئة من الحكماء المخلصين الذين يخافون على الكويت..!!؟ هل خلت الكويت من مجموعة مخلصنة تحاول احتواء الأمور

قبل أن تحدث..؟ وإذا حدثت تتحرك؟! هل أصبحنا جميعا حقا «قوم مكاري»؟ أو أننا اكتفينا بأن نجلس في الدواوين ونتتقد كل شيء؟

كنت أتمنى لو أن بعض الحكماء قد تحركوا واتصلوا بالمسؤولين يبدون استيائهم ورفضهم لما حدث.. ويرفضون «مرحلة اللاقرار» التي تعيشها الكويت، وأن يحاولوا بالنصيحة والكلام الطيب وبالنوايا الصادقة، وأن يبينوا للمسؤولين فداحة الوضع، ورفضهم بأن يكون التطاول والمزايدات هو أسلوب حياتنا، وأن يؤكدوا على الجميع بأن الكويت لا تتحمل أكثر مما تحمלתه، وليس من الحكمة أن نتصارع حول الأمور الفرعية في حين أن وجود الكويت كله في خطر، وأننا نعيش على معادلات سياسية أكبر من حجمنا، وأصبحنا محطة للأنظار والأطماع والمصالح.. والأمر يحتاج إلى إعادة «اللحمة الكويتية» وأن نغير الأسلوب الذي يسمى ظلما بالأسلوب الكويتي الذي أصبح حقا في حاجة إلى تغيير جذري، وأن نبدأ بالحزم والعدالة وبالسواسية لا نفرق بين شخص وآخر.. لا صغير ولا كبير.. عندما يكون الأمر يتعلق بالوطن.. وأمنه.. وسلامته.

فهل يا ترى تعلمنا الدرس؟! وأن الزوبعة التي مرت على الكويت نبهتنا إلى العواصف التي تنتظرنا؟! إننا في حاجة إلى أهل الحل والعقد.. إلى الحكماء.. إلى الرجال.. لكي نؤكد بأن الكويت هي الكويت.. وستبقى أسلوبا متميزا، وشوكة في حلق كل من يحاول التطاول عليها حتى ولو بالكلام، وعسى أن يهدينا الله جميعا إلى سواء السبيل.. آمين.

«اعتذار للقراء بأنني سأتوقف لمدة شهرين عن سلسلة المقالات الأسبوعية.. وسأعود للكتابة كما هي بعد الإجازة.. إن شاء الله».



الرسوم بين ترشيد الإنفاق وحرمان المحتاج*

الكويت على مدى عمرها المديد معطاءة (والحمد لله) وبسخاء إلى كل من شرف على أرضها مقيما كان أم مواطنا حتى ساعة عسرتها، (قطعت من لحمها لتحمي أبناءها غائلة السؤال) وتقضي لهم بعض حاجاتهم ولم تبخل عليهم بالغالي والنفيس، والخير الذي يتمتع به الجميع من تبرها وترابها، ولعل أجدادنا كانوا أكثر وعيا وإدراكا لكل هذه الأبعاد بالحفاظ عليها وتلبية نداءها ساعة ضيقها. . والجيل الذي عاصر تلك الأيام يعرف كيف كانت الأحوال الصحية والتعليمية وبقية الخدمات إن كانت هناك خدمات في ذلك الوقت. . وساعة بدأ اكتشاف النفط بدأ الخير يعم على الجميع من توفر للخدمات الصحية والتعليمية وإمداد السكان بالكهرباء والماء وشق الطرق إلى غير ذلك. . مما لا يمكن إحصاؤه، وكانت نتيجة كل هذه الخدمات التي توفرت بسخاء كبير. . انخفاض معدلات وفيات الأطفال وارتفاع الأعمار واختفاء كثير من الأمراض التي كانت متوطنة، وحماية المجتمع من الأمراض الوافدة. . إضافة إلى انخفاض نسبة الأمية.

هذا الجيش الجرار من المتعلمين والمثقفين من الكويتيين وأيضا غير الكويتيين واختفاء الكثير من العادات التي كانت لها آثار سيئة على السلوكيات والصحة خير شاهد على ذلك، وما يقال عن الصحة والتعليم يقال عن

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ٢٤/١٠/١٩٩٣.

الكهرباء والمواصلات وغيرها من الخدمات التي تقدمها . . إلا أن الأمر كله لم يكن خيرا . . فقد انعكس ذلك على سوء استخدام تلك الخدمات بصورة كانت واضحة للعيان، ولعل أسوأ مثال على ذلك الخدمات الصحية التي كنا نرصد لها الملايين وتزداد عاما بعد عام، وارتفاع تكلفة العلاج دون أن يكون لذلك مردود جيد بالمقابل، فالمرضى يراجع أكثر من طبيب في نفس المستوصف . . بل لعلني لا أبالغ إذا قلت إنه كان يراجع أكثر من طبيب في نفس اليوم وفي المقابل يصرف الكثير من الأدوية والتي مصيرها صناديق الزبالة . . وزيارة واحدة لأي مستوصف أو مجمع كفيلة برسم صورة واضحة عن هذا السلوك غير الحضاري، إضافة إلى ذلك فإن هذا يعكس حالة من عدم ثقة المريض فيما يقدم له من خدمات، وفوق هذا كله فالخدمات المجانية دائما محل للاستغلال، لأن نفس المريض يذهب إلى المستشفى أو العيادة الخاصة ويدفع فيها المبالغ الكبيرة وينتظر الساعات وهو سعيد بذلك، ويصرف ما وصفه له طبيبه في القطاع الخاص . . وما يقال على العيادات الخارجية يقال وبصورة أكبر عن الأقسام الداخلية بالمستشفيات من سوء استخدام للأسرة وغيرها من أجهزة . . والضغوط على الأطباء لعمل ما يحلو للمريض .

نفس القصة في الكهرباء والماء . . وانظروا إلى الكمية الكبيرة المهذرة من الكهرباء نتيجة سوء استخدامها . . والكلام يطول في هذا المجال . .

كانت هذه وتلك وجهي عملة الخدمات المجانية .

هذه الخدمات قدمت بالمجان رغم أن الدستور لم ينص صراحة على ذلك إلا أن ظروفها كانت تقضي أن تقدم للجميع . . مواطنين ومقيمين بتلك الصورة، وكانت الأحوال ساعتها تسمح بذلك، فالخدمات وقتها كانت في

حالة متدنية وتعداد السكان قليل والثروة وفيرة.. فكان لا بد أن ينعكس ذلك على جميع قاطني الكويت.

والآن بعد أن تدهورت الخدمات، ونهبت الاستثمارات، وضاع جزء كبير من رصيد الأجيال لتحرير الكويت، والضائقة المالية التي تمر بها الكويت وزيادة تعداد سكانها.. والاستنزاف المستمر على التسليح، والالتزامات الخارجية للدول الشقيقة والصديقة.. هل آن الأوان أن نوقف المقولة الخاطئة التي كنا نعتقد فيها.. (اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب؟...!)؟! وفغلا بدأت تظهر بعض المطالبات بفرض رسوم على تلك الخدمات إلا أن الأمر المستغرب بأن الإخوة أعضاء مجلس الأمة إن لم يكونوا جميعا فأكثرهم لا يحبذ فرض هذه الرسوم بحجج كثيرة.. مثلا بأن الثروة نهبت، واستثماراتنا في الخارج ذهبت مع مهب الريح دون أي عقاب.. وأن الحكومة تساهلت في أزمة المناخ وغيرها.. إن العائد من هذه الرسوم لا يساوي فرضها، وهذا خلط للأوراق وكلمة حق يراد بها باطل.. والحكومة أيضا تتقدم خطوة وتراجع اثنتين، والكل يزايد على الوطن، إرضاء للناخب وحرصا على صوته.. ولكن المواطن أكثر وعيا وإدراكا.. إذا شرحنا له المسألة وصارحناه ووضعنا أمامه الحقائق.. أنا متأكد من أن هذا المواطن الذي نحاول نفاقه سيرفض هذا النفاق الاجتماعي؛ لأن الوطن للجميع وفوق الجميع ولن تغفر لنا الأجيال القادمة إسرافنا في أمرنا، بل علينا أن نجابه هذه الحقائق فالمكاسب هنا ليست لشخص ولا لشخصين ولكنها لهذا الوطن الذي يجب أن نكون حريصين عليه ونبذل في سبيله الغالي والرخيص.. نحن الآن في حاجة ماسة إلى ترشيد الإنفاق على ألا يكون هذا الترشيد على حساب حرمان فرد كان مقيما أو مواطنا من أن يحصل على هذه الخدمة.. وعلينا أن نفرق تماما بين الضرورات التي تبيع المحظورات في الشريعة وبين الكماليات والاستهلاكيات. يجب أن تكون

فلسفة تقديم هذه الخدمات بأن تقدم لمحتاجيها خاصة الطبقات المحتاجة ساعة حاجتها إليها.. فمثلا (مريض الفشل الكلوي) هل يعقل ألا تقدم له هذه الخدمة بسبب قلة ما لديه ويترك ليموت نتيجة تسممه؟! أنا أعتقد بأن من حق هذا المواطن أن يرفع قضية على الدولة ليطالبها بالتعويض. وغير ذلك من الخدمات السريعة والاضطرارية والضرورية.. ولكن كيف الترشيد إذن؟؟؟... الترشيح يمكن أن يكون من خلال (الضمان الصحي) الموجود حاليا منذ خمس سنوات حبيس الأدراج.. أو (التأمين الصحي) على أن يكون بصورة عادلة.. فليس معقولا أن يتساوى في المساهمة في النفقات أصحاب الدخول المحدودة مع أصحاب الملايين، لكن علينا أن نقسط بينهم بالحق والعدل.. فكل يتحمل حسب دخله.. ليس هذا فقط بل أيضا يمكن إلزام المواطن بالمساهمة في بناء بلده وننحي جانبا مقولة «إن الحكومة غنية ولديها الكثير..» يا إخوان العائد من كل هذا لنا نحن أبناء هذا البلد وللأجيال القادمة، والتي لا نعرف مصيرها أمنا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا!! أيضا وضع أولويات للعمل الداخلي وتقييم ما تم إنجازه حتى الآن، ولعل المجلس الأعلى للتخطيط يأخذ على عاتقه هذه المهمة ونضع تصورا ملزما لجميع الوزارات..

أيضا ترشيح الإنفاق الحكومي ويكون العمل لدى الوزارات مقابل الإنتاج، ويصبح هذا المفهوم هو الأساس في الوظيفة الحكومية وليست جباية مفروضة.. إن مفهوم الثواب والعقاب يجب أن يعود ليسود على الجميع مواطنين ومقيمين..

أيضا دور التعليم وترسيخ المفاهيم والقواعد السلوكية الصحيحة في الأجيال القادمة وتغيير الأنماط الاستهلاكية المسيطرة على المواطنين..

كما ويشارك في هذا الدور أيضا وزارة الإعلام بوسائلها المرئية والمسموعة والمقروءة.

إضافة إلى ذلك فإن المواطن يجب أن يعلم بأنه ملزم بالمساهمة في تحمل جزء يسير من النفقات وهذه ليست بدعة في الكويت ولكنها في دول العالم أجمع . .

وفي النهاية، أقول بأن الخدمات الضرورية والأساسية والعاجلة يجب أن تقدم دون مقابل ساعة احتياجها ولأهل الضرورة فيها، وأن يكون شعار الخدمات «المساهمة على قدر الإمكانية، والاستفادة عند الحاجة» وللدولة الحق في تأمين ذلك . . إما عن طريق التأمين أو الضمان الصحي؛ وليعلم الجميع بأن، الرابح الوحيد من هذا الإجراء هو الوطن والمواطن؛ لأن ذلك سيؤدي إلى خفض العجز في الميزانية، وإلى تحسين الخدمات وتوفيرها للمحتاج لها. ويجب أن نحذر بأن من باب مقولة «ترشيد الإنفاق» . . أن يضع المحتاج ويحرم من أبسط الحقوق التي أوجبها الدستور والأعراف الكويتية الإسلامية العربية.



التعاون بين السلطتين هو طوق النجاة(*)

في مثل هذه الأيام منذ عام مضى احتفلت الكويت وأبناؤها بحدث هام، ألا وهو استكمال مؤسساتها الدستورية بافتتاح دور الانعقاد الأول لمجلس الأمة، وكان بالنسبة لي (وأعتقد بالنسبة للجميع) حدثاً تاريخياً هاماً في تاريخ الكويت، حيث لم يكن مثل دورات الانعقاد السابقة، فقد جاءت لتعلن للعالم أجمع، (العدو قبل الصديق) بأن الكويت الحرة الديمقراطية بمؤسساتها الشرعية صامدة بعون الله وبهمة المخلصين من أبنائها وأشقاؤها، وكانت لحظات حب جارف للوطن الذي كدنا نفقده بسبب أطماع حاقد وجنون عظمة لشخصية مأفونة، ومحاولات يائسة نتيجة حسابات خاطئة من إنسان يعيش على الأوهام هو وزمرته أقل ما يقال فيهم الخيانة العربية والإسلامية.

أقول عادت الحياة البرلمانية.. وسبقها حملة انتخابية حامية الوطيس جرى اثناءها تبادل الاتهامات ووعود المرشحين.. جاءت هذه الحملة والنفوس أوشكت أن تياس، فقد تركت الغزوة الهجومية جراحاً عميقة.. ودخل الشك إلى القلوب، واحتارت العقول: تصدق من وتكذب من؟! جاءت هذه الحملة في ظروف اجتماعية لم تمر بها الكويت من قبل.. وكان الجميع يستمع والهواجس تملأ قلبه.. ورأينا في تلك الفترة ظهور التجمعات

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ٣١/١٠/١٩٩٣.

بصورة أشبه بالرسمية، فمثلا ظهر التجمع الديمقراطي والتجمع الإسلامي وغير ذلك.. وأصدروا البيانات، واتخذوا شعارات لهم ووضعوا برامج ناقشوها وعبروا عن توجهاتهم بعبارات محددة توضح عزمهم والتزاماتهم مع أبناء دوائريهم.. كل هذا على الملأ، ونشرت الصحف كل الأحداث والوقائع وكانت أشبه بعرس بين جد وهزل.. وطبعاً الحكومة لم تعلن عن مدى شرعية وقانونية مثل هذه التجمعات..!! وأعتقد بأنها تعمدت ذلك تفادياً للمواجهة وتمشياً مع النصوص الدستورية التي لم تقرر بوضوح شرعية الأحزاب أو عدمها.. وتركت الحرية لكل إنسان أن يطلق ما لديه من تصريحات نارية تصورنا وقتها أن الكويت ستحقق «دولة الرفاه الكامل» وستصبح من بين الدول العظمى، ناسين الحقيقة وهي أن لنا حجماً وإمكانيات محدودة، ودوراً سياسياً دقيقاً فيما يسمى بالتوازن الدولي، أو ما بدأنا نطلق عليه النظام العالمي الجديد الذي كانت أهم إنجازاته حتى الآن تحرير الكويت.. وأن كل شيء سيجد طريقه للحل.

وانعقد المجلس لمدة عام كامل ولن أدخل نفسي في تقييمه، فالصحافة اليومية مليئة بالكتابات والإخوة أعضاء المجلس يتولون الرد على ما يكتب وما يقال، ورغم أن معظم مانشر عن المجلس يؤدي للإحباط ومخيب للآمال ورغم حرصي الشديد على حضور جلسات المجلس إلا أنني أستطيع أن أقول بأن المجلس كان ومازال متأثراً بالتصريحات العنترية الانتخابية الاستهلاكية.. فدخل في (أزقة ودهاليز ضيقة) أدت به في النهاية إلى إنتاج لم يتمكن من إقناع الناخبين بجديته.. ولعل (استطلاع القبس) شاهد على ذلك إذ أن أولويات العمل الوطني قد اختنقت.. فالأمن الداخلي والخارجي والسياسة الخارجية والإعلام والشؤون الاجتماعية والتعليم والصحة لم تحظ بالعناية الكافية حيث سيطر على المجلس ومناقشاته مواضيع لن أقول إنها ليست مهمة، ولكنها لا يمكن أن تكون

ضمن أولويات دولة خرجت من احتلال، بل من اجتياح كامل، والغريب عندما قلت في إحدى مقالاتي إن العدو متربص وإنه قد ينتهز الفرصة، ورغم ضعفه من الناحية العسكرية إلا أنه وحتى اليوم مازال غير معترف بالحدود التي حددتها وضممتها الأمم المتحدة لأول مرة، أقول رغم هذا فهو يشاغب لوقف حفر الخندق، وعدم اعترافه بالأسرى المعتقلين عنده!! وأذاعت وكالات الأنباء خبراً بسيطاً إلا أنه يدل على مدى صفاقته ومدى تماديه في التآمر على شعبه وعلى الأمة... «الخبر هو أن طفلة عراقية ولدت أثناء الاحتلال بالكويت وأراد والدها استخراج شهادة فذكر أنها من مواليد المحافظة رقم ١٩» وبكل الصفاقة والامتهان لشعبه، وليس هناك من وصف حقيقي له سوى أنه عميل.. ولا أستبعد أنه قريب (لكوهين) الذي وصل إلى أعلى المناصب في الشقيقة سوريا، واكتشف (ولله الحمد) ونال جزاءه وها نحن نكاد نجني ثمار هذا الشتات والضياح بإنهاء الهوية العربية بل والإسلامية لتحل محلها الشرق أوسطية.. (حفظنا الله من كل سوء).

أقول عندما ذكرت هذا لم يلق قبولاً حسناً ولا نفساً طيبة لدى البعض الذي انتقد ذلك وظن أنني أحاول إخفاء شيء أو أبالغ في الأمر.. وعلى سبيل المثال موضوع النقاب والذي مازال حتى الآن موضوع بحث وقد تبين أن الأخ وزير التربية أصدر قراراً في نهاية الأمر بعد مناقشات استغرقت الكثير من وقت المجلس، وأحد الإخوة أعضاء المجلس بدأ يكتب مرة أخرى ويتوعد على هذا الخصوص في موضوعات التعيينات في وزارة البترول.. والجمعيات والهيئات الشعبية غير المرخصة، والتي يحظى بعضها بدعم ورعاية المسؤولين.. وغير ذلك من مواضيع كثيرة لا يمكن أن تكون في سلم الأولويات في ظروفنا الخاصة التي تمر بها البلاد، فأنا كنت أفهم مثلاً أن هذا الوقت الثمين يمكن أن نناقش فيه مصير (مجلس التعاون الخليجي) الذي بدأ ينفطرط عقده على إثر مقابلات (وزير خارجية قطر لوزير

خارجية إسرائيل..). وعرض الأخير شراء الغاز من قطر وتبادل السفراء بين قطر والعراق.. وما مصير الجيش الخليجي الموحد؟؟.. ثم ما مصير السوق الخليجية المشتركة؟؟.. وهناك الكثير في هذا الموضوع، ونحن في المواجهة يجب أن نحدد مواقفنا ومواقف الآخرين تجاه سياستنا الخارجية، وهي خط الدفاع الأول نظراً لوضعنا الجغرافي والسكاني ومساحة الأرض هل مازال هناك دول ضد أو مع؟! أو أن السياسة لا تعرف كلمتي (الضد والمع) وإنما هي تحديات مستمرة لمصالح مستمرة؟! أم أن الآخر يحتاج إلى قرارات ودراسات إستراتيجية ونسير في اتجاه مصلحتنا؟ ولكن هذه المصلحة ليست بانجزالنا.. بالعكس ثبت أن عمقنا الإستراتيجي هي كل دول العالم.. وكانت تجربة لنا أن نتعرف على مواطن الخطأ فنعالجها ومواطن الصواب لندعمها.. أين السياسة الإعلامية؟! كل النقاش انصب على المسلسلات والعاملين.. بينما الإعلام هو خط الدفاع الثاني الذي بدونه ستكون السياسة الخارجية أشبه بإنسان يسير بساق واحدة.. إذ إن وجهة النظر الكويتية مازالت محجوبة عن العالم، وأن وجه الكويت المشرق في عمل الخير والمساعدات والمساهمات في كل الملمات العربية والإسلامية بل والإنسانية.. فالصورة غير واضحة عما تقدمه الدولة من خدمات سواء لأشقائها أو لأصدقائها.. بينما الاتهامات تكال لها في انتهاك حقوق الإنسان، وأكل أموال الأجانب بدون وجه حق، وسلب حقوق الآخرين وإساءة معاملتهم.

أين مشكلة (البدون) وهي القبلة الموقوتة داخل المجتمع الكويتي والتي يجب إعطاؤها أولوية لأنها تهتم المواطن والمقيم ومستقبل البلد. وموضوع الأمن الداخلي، وزيادة نسبة الجرائم وهجمة المخدرات الشرسة بحسب إحصائية وزارة الداخلية.. ثم ماهي مهمة الجيش الإستراتيجية؟ هل

نحن في حاجة إلى جيش بأعداد كبيرة أم يكفي التسليح الحديث؟؟ كلها تحتاج إلى نقاش عميق طويل بين أولي الأمر من السلطتين.

حتى المشكلة الاقتصادية لم نصل فيها إلى حلول حازمة بل استغرق الحديث فيها وقتاً طويلاً تركّز معظمه على مسائل شخصية، وكأن الدافع الأساسي هو معرفة أسماء المدنيين قبل أن نعرف حجم المديونية وحجم تورطنا.. المذنب يعاقب ويحاسب وتقطع الرقاب ولكن لا داعي لإضاعة الكثير من الوقت في مسائل جانبية.. والسلطة التنفيذية لا أبرئها فقد ساهمت أيضاً في عمليات التسويف وإضاعة الوقت.. وكأن الأمر مبارزة بين الطرفين، فالمليارات تم ضخها في البلدان، والسلطان تحاولان كسب رضا المواطن وهي غاية لا تدرك ويقول هل من مزيد.. وفي النهاية سيحاسب هذا المواطن البسيط الذكي الفطن السلطتين عما اقترفت أيديهما.. نحن أمام أخطار داهمة علينا أن نناقشها في أولويات واضحة ومتفق عليها بين السلطتين.. حتى يعرف المواطن ما سيناقش في هذه الدورة وأن تقود السلطان الشعب إلى بر الأمان.

(إسرائيل قادمة..) ودخلت إلى (مجلس التعاون) وإيران تنشيء قوتها الذرية وتتفاهم مع العراق.. (الولايات المتحدة الأمريكية) منشغلة إلى جانب مشاغلها الكثيرة بوضع خريطة جديدة للعالم.. مع أنها عاجزة حتى الآن عن اتخاذ القرار المناسب بالنسبة لتورطها في الصومال وهائيتي.. (أوروبا) حائرة بين أن تقف كشخصية لها مقوماتها أو تنضم إلى ركب الولايات المتحدة الأمريكية.. (النمور الستة الآسيوية) تنهش العالم اقتصادياً.. (والدول العربية) ونحن معها في كل ما فيه من ضياع لا وزن ولا دور ولا أهمية.. وقد تكون هذه الأسباب كلها هي التي جعلت (صاحب السمو) يحاول في كلمته الواضحة عند افتتاح (مجلس الأمة) محاولاً وضع

النقاط على الحروف وتحديد مسؤوليات كل جهة: الحكومة .. المجلس .. الصحافة .. وعامة الشعب الكويتي، كي يعرف كل حقيقة الأمر ونعرف جميعاً صديقنا من عدونا، ونتعرف على يومنا ونتأكد فيه قبل أن نشطح للغد ونقع في الهاوية .. فلتكن الكلمات السامية التي سمعناها جميعاً من والد الجميع نبزاً وندرسها بتمعن لأن ما خفي وراء الكلمات أكبر بكثير مما ظهر، وليكن تفاعل المجلس مع هذه الكلمات على مستوى محتواها العميق ولا يعتبر خطاباً عادياً نكتفي بالرد عليه بصورة عادية من قبل لجنة الرد على الخطاب الأميري.

لقد وضعنا سموه أمام مسؤولياتنا، فهل يا ترى نحن على مستوى هذه المسؤولية؟ وهل ياترى ستكون هذه الكلمة الدافع بأن نرى في الدورة القادمة تحولاً كبيراً في التفكير!؟

والله يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه،،،



حرام عليكم هذا التجني (*)

الكل يتهم.. الكل يحاول أن يتجنى على الكويت.. الكل ليس راضيا عنا.. الغرب.. الشرق.. وأسوأ من الكل الإعلام الغربي الذي يحاول أن يتصيد الأخطاء علينا.. والله إنها لمصيبة.. الغزو الصدامي المجرم على بلدنا الحبيبة.. قد جعلنا «طوفة هبيطة».. للصغير والكبير.. للوطني.. وللعالي..!!

فالقصاص كثيرة.. عقد اجتماع في أميركا حضره بعض الإخوة من الجامعة.. وما وجدوا إلا أنفسهم وفي هجوم على الكويت.. بحق.. وبدون حق.. والسبب أننا كويتيون.. مغرورون.. «يا حرام على شنو نحن مغرورون».. ولماذا ينظر لنا بهذه الصورة.. ماذا يريدون منا.. قدمنا كل ما نقدر.. وأصبحنا أقرب ما يكون «للحفاي».. وصار شغلنا الشاغل من أين سنأتي بالمصاريف.. لأنها في ازدياد والدخل في انخفاض.. لا النفط تتحسن أسعاره.. ولا بقى لدينا دخل من الاحتياطي.. وأخذنا نلجأ لبيع كثير من الأسهم الجيدة.. (ونسيل) بعض الأموال المجمدة.. كل ذلك حتى لا نظهر بأن أوضاعنا أصبحت صعبة..

نقولها بأعلى صوتنا.. ما عاد عندنا (نقود).. ولا داعي لإحراجنا

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١١/٧/١٩٩٣.

والطلب منا.. لأننا أناس قلوبنا رحيمة (ولله الحمد..). ولا نقبل أن نرفض طلب أي محتاج.. وهذه صفة طيبة.. ولكن هذا لا يعني أننا نقطع من لحمنا الحي من أجل غيرنا.. وقد عملنا هذا الشيء كثيرا.. وكل ما نريده الستر ولا نريد أن يظهر بأننا أقل مما كنا..

هذا بطبيعة الحال على حساب أمور كثيرة.. ويجب أن نستيقظ من غفلتنا وأن نبدأ بمجابهة الواقع.. وهو أنه مهما أعطينا.. فالاحتياجات.. أكبر من المسموح.. وبعض الناس لو (أشعلت لهم أصابعك الخمسة شموعا لن يرضوا عنك) ويريدون المزيد.. وإلا لماذا هذا التهجم على الكويت.. واتهامنا بأننا مغرورون.. هذا كلام سمعه الإخوان في أميركا.. وكنا نعيش صما في الخليج.. وتطلع علينا بعض الصحف الصديقة.. وتكرر هذه المقولة..

والسؤال الآن ما العمل؟ هل نترك.. التطرق إلى ذلك.. أملا بأن (الهيجان) قد خف.. وأن النفوس الحاقدة علينا قد ترى الحقيقة وتكفينا من شرها؟! إن الأقلام الهدامة.. قد يهديها الله وترى النور.. أو أن الأحسن أن نرد على كل شيء.. ونفخر بعد ذلك بقول الشاعر الذي يقول:

«لو كل كلب عوى ألقمته حجرا لأصبح الصخر مثقالا بدينار»

هذه حيرة بالفعل.. والله في عون الحكومة للتصدي لهذه الأفاويل.. وهذا التطاول على الكويت.. المسالمة.. المسكينة.. التي «يادوبها» قادرة أن تقف على أطراف أصابعها.. ولا تحسن الوقوف في اعتدال.. لأن الخراب أكبر بكثير عما أعلنه.. والأموال التي ضاعت أصابت الكثير من التجار بالإفلاس.. وحل المديونيات الصعبة قد يساعد.. ولكن ليس بالصورة التي سنتهي باقتصاد البلد مرة أخرى.. لأن الكثيرين خائفون ليس

فقط على أموالهم .. بل على حياتهم بسبب ما يستجد من الأنواع الجديدة من الجرائم ..

ولكن أعتقد لو أننا بحثنا عن أسباب هذا الوضع لوجدنا أن كل فرد منا مسؤول عنه .. وكل صورة من صور البذخ والتبذير هي صورة ضد واقع الكويت .. الكل متربص بنا .. تصرف الكويتي .. ملبسه .. مسكنه .. السيارات الفارهة التي يشتريها بالأقساط .. مقابل حرمان أولاده من أبسط احتياجات الحياة .. وغير ذلك من مظاهر الإسراف والهدر للثروة على مستوى الأفراد والحكومة .. و«عسى ما يزعلون الإخوان فإن الظواهر كثيرة» .. ولا يمكن حصرها .. على كل، فالقضية هي قضيتنا جميعا ولا يمكن لوم أي إنسان آخر .. ثم ما هذا الفيلم الذي (ترجموه) من تلفزيونات أوروبا وأميركا عن أسلوب وطريقة معاملة الكويتيين للخدمات .. وإظهارهم بصورة وحوش كاسرة .. لا هم لهم إلا الجنس والاعتداء على المرأة من هذه الفئات المسكينة .. ثم الطريقة التي أظهروا فيها أقوال وزير الداخلية ووزير العدل حوروها حتى تخدم القضية المطروحة ضد الكويت .. ورغم أنه قد تبين لنا بعد التحقيق .. أن هناك مسؤولين غير كويتيين هم الذين كانوا وراء تجارة الرقيق الآسيوي في الكويت .. فإننا سكتنا عن الموضوع .. وبأسلوبنا الكويتي سامحناهم .. مع أن الأمر كان يتطلب إنزال أشد العقوبات على متسببي هذه العمليات القذرة ضد الكويت .. ومع ذلك سامحناهم .. لا أعرف «ليش» .. ولم نعامل أحداً بنفس الأسلوب .. كمتابعة لذلك الفيلم المقصود به إظهار الصورة السوداء عن الكويت .. كان بإمكاننا أن نأتي بنفس الأشخاص لينقلوا الصورة المعاكسة لنفس الاتهامات الجائرة ضد الكويت .. لأن الخاسر الأخير .. هو الكويت .. وكلنا نخطفء وفينا عيوب .. نعطيها الكويت .. وتدفع عن تصرفاتنا المشينة بالدم .. والمال .. والخسارة التي حلت بنا لا نجد الأسلوب الأمثل لإظهارها ..

لماذا لا نستعمل نفس الأسلوب.. ونجبر وسائل الإعلام لإظهار حقيقة الأمر.. والكويت تحملت الكثير لإقناع مدعي الشورى الكويتي على حقوق الإنسان.. والسجون أدخلناهم ليروا المعاملة.. والمحاكمات حضروها ليروا الأسلوب الحضاري المتبع لدينا.. كل معلومة طلبوها أعطيناها لهم.. ولكن مع ذلك فهم ضدنا ولا يمكن أن يقبلوا الحقيقة..

فادعاءات انتهاك حقوق الإنسان.. أصبحت كلمة حق يراد بها باطل.. فإن رضوا عن ناس رفعوهم للسماوات.. ثم إن أكثر الناس الذين ينتهكون حقوق الإنسان هم الإسرائيليون ويكفي أن لديهم أكثر من ٢٥ ألف معتقل سياسي.. للدولة لا يتعدى سكانها العرب مليون شخص.. وهذه النسبة الكبيرة منهم في سجون... ولكن هل سمعتم عن انتهاكات إسرائيل لحقوق الإنسان؟! أبدا..

فيا ويل الإنسان لو تكلم كلمة واحدة عن اليهودي مهما كان عمله مضرا.. ومهما كانت فظاعة جرمه.. فاليهودي فوق البشر.. والاتهامات بالإنسانية.. والنصب والعنصرية.. مما تجعل أكبر إنسان.. يركع أمام ركل إسرائيل.. والسبب هو أنهم حسب بروتوكولات صهيون.. من أهم عناصر السيطرة على المال.. والإعلام.. ويعرفون كيف يسيطرون على البشر بهذه الأساليب الجهنمية.. إنما الإنسان الذي يريد أن يتقي الشر فهو الشخص المدان بانتهاكات ضد حقوق الإنسان..

وأكثر دول العالم الثالث فيها معتقلات وإرهاب للناس لا يمكن أن تطاق.. ومع ذلك لا يسمع إلا عن العرب.. والعرب بالذات.. والآن عن الكويتيين بصورة خاصة..

والظاهر أن الصهيونية متعمدة إصااق التهم بالعرب وبالمسلمين بصورة أعم.. مع أن الإسلام هو من أكثر الأديان حفاظا على حقوق الإنسان.. ولقد

حددها في حدود بشرية معروفة.. فيها مراقبة الله سبحانه وتعالى بصفته الحاكم الأعلى على كل شيء.. وسوف أكتب في المقالتين القادمتين عن مفهوم حقوق الإنسان في الإسلام.. وكيف أن المسلمين المتمسكين بدينهم وتعاليمهم هم أكثر الناس محافظة على حقوق الإنسان.. مهما حاولت الصهيونية أو غيرها إظهارنا عكس ذلك.. وما الجريمة الأخيرة في البوسنة والهرسك.. واقتراح إلغاء هذه الدولة.. وخلق دويلة إسلامية محاصرة من كل جانب.. هو أكبر دليل على الحقد الدفين الذي يضمه الغرب.. والذي تمارسه الصهيونية بصورة متواصلة.. لهو أكبر دليل على أكبر طغيان يقع في تاريخنا الحديث.. تحت سمع وبصر مدعي حقوق الإنسان.. وحماته..

فلنعد إلى الحديث عن الكويت.. ويا ترى ما هي الأسباب التي دعت إلى كل هذه الاتهامات ضدها؟!

هذا الأمر يستحق الدراسة والتدقيق والتأمل.. ولمعرفة التحقيق..؟ ولماذا هذه الصورة السيئة عنا..؟ هذا يحتاج أولاً (وعلى مستوى كل فرد) أن نغير من طباعنا.. الآن بعض تصرفاتنا تعطي هذه الصورة البشعة التي تنعكس على الكويت.. يذهب الأبرياء وهم الأغلبية بذنب الأقلية.. وعلى مستوى الحكومة أن تزيد من إعلامنا الإيجابي وليس السلبي.. ولا أقصد به البرامج الترفيهية.. والأعاني.. بل يجب أن يصل الإعلام لتتمكن من تغيير المفاهيم في الداخل.. وبعد ذلك في الخارج.. علينا أن نستعين بأكبر الجهات والمحطات الإعلامية التي تتمكن من وضع مخطط لنا.. وذلك للدفاع عن النفس..

علينا أن لا نستمر في البكاء على الحظ الأسود.. بل على العكس أن نقوم بإبراز الجوانب الإيجابية في حياتنا.. وهي كثيرة ولكن لا يعرف الناس عنها الكثير.

إن هذه مسؤولية الجميع.. ويجب أن نعي أننا مكشوفون للعالم..
ومن سوء حظنا أنه لم يبق أي شخص في العالم ومن دون مبالغة.. إلا
وسمع عن الكويت.. لأن الإعلام أيام الاحتلال من قبل دول التحالف
عندما استطاعت أن تعرف مواقف الشعوب ضد صدام المعتدي.. قد أبرز
الكويت بصورة قوية.. ولذلك فلكل خبر أهمية عن الكويت.. يتضخم
ويتحول إلى قضية..

فالمسؤولية إذن علينا جميعا.. ويجب أن نعرف حجمنا.. ونعرف
طريقنا.. ونبني تصوراتنا على عالم الواقع.. وإن نقنع العالم بأن الكويت
مظلومة دائما.. وقد تكون من أهلها أكثر من الأجنبي.. فرحمة بالكويت
وحرام عليكم هذا التهجم علينا!!



الشقاق يزعزع الوحدة الوطنية(*)

تكاد الأيام تحمل بين طياتها نذر الشر.. ونقف جميعاً على شفا حفرة من النار.. ويكاد التعاون يتحول إلى فرقة والمحبة إلى كراهية لكي تمزقنا إرباً إرباً.. ونتحول إلى أشلاء تتقاذفها الأهواء والأنواء والأعاصير التي تعصف بالجميع.. فلن يكون هناك غالب ومغلوب، بل الكل ساعتها سيكون مغلوباً وستنهشنا الذئاب والضباع وهي كثيرة متربصة بنا من داخلنا ومن حولنا.. فإذا كان الأخ أحمد السعدون رئيس مجلس الأمة يصرح في جمعية الصحفيين بأننا مخترقون، ويروي قصة محاولة الاختطاف التي قامت بها القوات العراقية في الآونة الأخيرة، وأن لديه الإثباتات على أن الأمر به خيانة؟! فأننا أقول إننا مخترقون من أنفسنا ومن أبنائنا، وهناك من يحاول أن يشعل فتيل الحرب الداخلية، وإثارة الفتنة بين السلطتين، والوقعة بين الطوائف بإثارة الكثير من النعرات التي استطاع الشعب الكويتي أن يتعايش مع بعضه البعض دون أن ينقاد وراء ذلك، متخطياً كل ما يقال أو يثار حول أية مشكلات.. لقد كانت أعظم نتائج الغزو العراقي هي الكشف عن أصالة هذا الشعب ومعدنه الذي كان الرصيد القوي للقيادة الكويتية في وجه أعدائه، والسند العظيم مع أصدقائه.. لقد كان استفتاءً شعبياً عفويماً أفتى به الشعب أمام العالم بأننا ارتضينا القيادة والعمل معاً حكاماً ومحكومين...

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ٢١/١١/١٩٩٣ .

وإذا كانت الديمقراطية هي أولى مطالب الشعب ساعة عسرتة . . . فقد سارعت القيادة السياسية بالوفاء بوعدھا . . وإذا كانت الديمقراطية لها الكثير من التعاريف والمصطلحات القانونية . . فإنني أرجو أن يكون للكويت في هذه الفترة الحاسمة من تاريخها، إضافة إلى التعاريف المختلفة للديمقراطية بأنها **فن الأخلاق الذي يخدم الوطن دون هوى في النفس أو غواية الآخرين**، فليست الديمقراطية هي حرية إلقاء التهم وإصاقها . . ليست الحرية أن يباح كل محظور . . بل يجب أن تكون هناك مناطق آمنة للجميع دون النظر إلى أي اعتبار آخر، فالقوي ضعيف حتى يؤخذ منه الحق والضعيف قوي حتى يؤخذ الحق له . . نحن يا إخوان تتقاذفنا الأنواء الخارجية . . العدو والصدیق . .

وآخر ما يدور حولنا هو عزم وزير خارجية إيران القيام بزيارة بغداد، وقيام إيران بتنفيذ مشاريع صناعية في (جزيرة أبو موسى)، (ومغازلة أميركا للعراق . .) هل تريدون المزيد؟! الأخبار السيئة (على عينك يا تاجر) في كل الصحف فيكفيها هذا ونضع أيدينا في أيدي بعضنا البعض ونشد من أزر بعضنا البعض . . فنتحول صدورنا وقلوبنا إلى صخرة تفتت عندها سهام الأعداء . . ونصل جميعاً إلى بر الأمان قبل أن تغرق السفينة بمن فيها . . لا فرق بين هذا وذاك . . هذه هي خصوصية الديمقراطية التي أكد عليها الدستور، كما جاء على لسان رئيس المجلس التأسيسي عند تقديم مشروع الدستور لسمو الأمير المغفور له الشيخ عبدالله السالم الصباح عندما وصفه بأنه مشروع الدستور الذي رأيتم وضعه للبلاد على أساس المبادئ الديمقراطية المستوحاة من واقع الكويت، لأنه من دون هذه الخصوصية سيضيع منا الطريق، وسيضيع كل شيء . . على مهل يا إخوان. نحن في بداية عهدنا بالممارسة الديمقراطية، ولتكن خطواتنا مترنة ورائقة . . ولا مانع أن يطول بنا الطريق بدلاً من أن نسرع ونضيع . .

لقد نسينا بسرعة ما قاله لنا وأمام الجميع صاحب السمو عند افتتاح المجلس عن دور الصحافة.. وعن معرفة حدودنا وحجمنا.. فقليل من الحكمة والعقل.. والخوف على الكويت!!

أيضاً الصحافة.. القضية ليست كسباً صحفياً، أو سبقاً لأبناء أو حرية النشر أو حرية صحافة.. المسألة أكبر من ذلك، قد نصحو يوماً ولا نجد صحفاً ولا صحافة ولا صحفيين.. أحد الإخوان عندما كنت أتحدث إليه عن الميثاق الأخلاقي للصحافة ثار وفار، وكأن عقرباً لدغته، واتهمني بأنني أطلب تقييد الصحافة، وضرب لي مثلاً «بووترجيت» التي كانت سبباً في استقالة (الرئيس نيكسون..). ألم أقل لكم إن البعض يتصور أننا في دولة الكويت العظمى.. أين نحن وأين أميركا؟ أنا لست ضد حرية الصحافة ولست ضد حرية الرأي بل العكس صحيح. أنا من المؤيدين المناصرين لحرية الصحافة وحرية النشر وحرية الرأي.. ولكن الحرية شيء نسبي إذا زادت عن حدها انقلبت إلى ضدها، وتحولت إلى ما يشبه الفوضى.. يا إخوان إن لم نضع مصلحة البلد أولاً وأخيراً قبل كل شيء، فلن ننجو جميعاً من الكارثة.. لمصلحة الوطن ولمصلحة أولادنا ولمصلحة الأجيال القادمة يجب أن ننسى المصلحة الشخصية، والطوائف المذهبية، وننسى تصفية الحسابات ونذكر فقط: هل هذا العمل في مصلحة بلدنا أم لا؟ أظن أننا جميعاً اطلعنا على ما حدث (للطالب الكويتي) الذي نشرت قصته (صحيفة الواشنطن بوست)، حيث سجن هو وزوجته وأفرج عنه بكفالة قدرها ١٠٠,٠٠٠ «مائة ألف دولار» بسبب (كما يقولون) الاستعباد.. ألا يكفي هذا ونحن نضمد الجراح ونجمع الشتات.. ولكن كما يبدو أن اللعنة تلاحقنا، لأن هناك ظلماً على فئات معينة تدعو علينا.. فيسلط الله بعضنا على بعض.. والله عز وجل يقول: ﴿وانقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾...

منذ حوالي أسبوع لاحت في الأفق بوادر نذر مخيفة وقع ضحيتها الشعب والسلطان التنفيذية والتشريعية. والجميع تصرف بصورة مخيبة للآمال.. فإذا كان الحدث صحيحاً، وأخطأت السلطة التنفيذية كان المفروض ألا تقع السلطة التشريعية في نفس الخطأ، وألا يتحول الأمر إلى صراع بين السلطتين.. كل فريق يساند أعضائه ويعتبر أن في الأمر مساساً بشخصه.. المسألة ليست كذلك إطلاقاً.. كان من الممكن احتواء كل ما حدث، وألا نقف على حافة الهاوية «فكل بني آدم خطأ وخير الخطائين التوابون» كان من الممكن أن يؤجل الحديث الذي حدث في مجلس الأمة لحين الانتهاء من التحقيق.. وساعتها كانت ستظهر الحقيقة ويعاقب المسيء.. ولكن - أن يتحول الأمر هكذا إلى تشهير بأعراض الناس، واستعراض للمواقف وتصفية الحسابات.. فهذا خطأ جسيم وقعت فيه السلطتان.. كان من الممكن أن يحاسب وزير الداخلية إذا أثبت القضاء إدانته، أو يبرأ من كل ما نسب إليه.. القضاء الكويتي النزيه مفخرة لكل كويتي.. لقد برأ كل من يستحق البراءة وأدان كل من يستحق الإدانة.. قد تكون الإجراءات الإدارية التي صاحبت الحادثة شابهها الخطأ، ولكن أن يتحول الأمر إلى مهرجان الكل يحاول أن يثبت أنه حامي حمى الأوطان.. فهذا الأمر إن سرنا فيه فعلى الكويت وأهلها السلام.. هناك خطأ جسيم وقع فيه مجلس الأمة.. فإبراز (قضية الشريعان) وكأنه يختلف عن باقي أفراد المجتمع.. وكأنه فوق القانون.. يعد في حد ذاته تطاولاً على السلطات.. والنائب يجب أن يكون أقل من الفرد العادي، وأسهل في الوصول إليه عندما يخطيء.. وعقوبته يجب أن تكون أشد لأنه يمثل الشعب ولا يمثل نفسه، وتصرفاته ليست محصورة عليه - ثم هو مختار من قبل الشعب - ليكون أميناً على حقوقه وليكون نزيهاً.. وأول الممثلين لقوانين البلاد.. لا أن يظهر وكأن النائب يختلف عن الناس (وكان على رأسه ريشة..). أبدأ إنه

قادم من الشعب وأقل أفراد الشعب حصانة عندما يتهم بالجرم المشهود.. أنا لا أتهم الأخ أحمد الشريعان..

فهو إنسان وبشر مثلنا والكل منا معرض للخطأ.. ويجب أن نكون جميعاً سواسية أمام القانون.. فإن ما تم في جلسة المجلس لم يزد الأخ أحمد أية مكانة.. بل أعتقد أنه خسر الكثير لأنه وافق أن تتخطى السلطات من أجل سواد عيونه.. وهذا أمر يجب أن يكون محظوراً على الجميع.. إن الكلمات المعسولة التي سمعناها عن تعاون السلطين وعن التنسيق بينهما وحل جميع خلافاتهما.. لو أن الأمر انتظر حتى تنتهي الإجراءات.. أنا أعتقد بأن الشعب كان سيحكم وسيعرف من المخطيء ومن المصيب.

لقد أثبتت الأحداث الأخيرة بما لا يدع مجالاً للشك بأن كلا منا متريص بالآخر، ليضرب بعضنا رقاب بعض، وأن النفوس تغلي والقلوب غير صافية. إننا في حاجة إلى ما يسمى بالمصالحة الوطنية على جميع المستويات، لتتعانق القلوب وتصفو النفوس مما علق بها قبل أن تتصافح الأيدي، وأنا قيادة واحدة تصارع الموج دون خوف من جنوح بحارتها.. فلا تصاب بالأذى، حتى نصل إلى بر الأمان.

ومما زاد الطين بلة أن يقع مجلس الأمة في مخالفة دستورية لتحويل القضية إلى اللجنة التشريعية، مما قد يعطي انطباعاً بأن المجلس (كما يقال في إحدى البلاد العربية الشقيقة سيد قراره) ولا يمكن أن تقع في المحذور ويصبح ذلك قاعدة، فالأمر الآن معروض على القضاء وكان يجب الانتظار حتى ينتهي القضاء من الفصل في الموضوع حرصاً على استقلالية القضاء والفصل بين السلطات.

أدعو الله أن يجنبنا الوقوع في الأخطاء، وأن يعصمنا من الزلل، وأن ينير طريقنا، وينزع الغل والحقد من قلوبنا ونفوسنا، وأن يعيننا على تأدية الأمانة.



الفصل بين السلطات.. إلى أين*

في إحدى أمسيات الأسبوع الماضي بديوانية أحد الأصدقاء كانت جلسة طويلة امتدت إلى ما بعد منتصف الليل، وانصب النقاش على مجريات الأحداث بالكويت، منتقلا من زهرة إلى أخرى، إلى أن تركز الحديث على علاقة السلطات مع بعضها البعض التشريعية والتنفيذية والقضائية وما يشوبها من شد وجذب، وبحق كانت جلسة ممتعة إذ تصادف وجود بعض الإخوة المستشارين والمحامين، وجلست أستمع بكل إنصات.. ولأهمية ما دار في هذه الجلسة رأيت أن أوجزها في مقالتي اليوم.

البعض يشير بإصبع الاتهام إلى (مجلس الأمة) بأنه يحاول تخطي السلطة القضائية.. وضرب مثالا على ذلك بإصرار المجلس على أن تكون لجنة تقصي الحقائق لجنة تحقيق. وكادت أن تؤدي إلى أزمة بين المجلس والحكومة لولا الحكمة.. وقبل ذلك الإصرار من قبل (مجلس الأمة) على ضرورة إعادة النظر في جميع القوانين التي صدرت في غياب المجلس رغم أن المحكمة الدستورية أفتت بعدم ضرورة ذلك ولن يحدث فراغ تشريعي.. لأن المحكمة الدستورية إذا أصدرت حكمها في موضوع ما يجب علينا أن نحترمه ونضعه موضع التنفيذ. بل أيضاً يجب أن يكون لها دور كبير فيما نختلف فيه ونضع لذلك ضمانات.. وأحد الزملاء قال بأن هناك تحركا من

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ٢٨/١١/١٩٩٣.

الحكومة ومجلس الأمة بإضافة ممثل لكل منهما في المحكمة الدستورية، ولكن لم يؤخذ بهذا التوجه حتى الآن حرصاً على استقلاليتها وضمناً أكيداً لعدم وقوعها في الانحياز لطرف ضد طرف. البعض الآخر انتقد المجلس لهجومه الكبير على النائب العام ومحاولة الضغط عليه، أيضاً أثار البعض موقف المجلس من موضوع الأخ (أبو يابس) ممثل السلطة الرابعة والذي لا يعرف أحد أين أو كيف انتهت قصته.

آخر هذه الاتهامات كانت قرار (مجلس الأمة) في قضية وزارة الداخلية مع النائب (أحمد الشريعان) بتحويلها الى اللجنة التشريعية الأمر الذي يعني أن السلطة التشريعية ستتدخل في أسلوب وطريقة وإجراءات النيابة العامة مما قد يترتب على ذلك من مساس بالسلطة القضائية التي لن تكون في صالح توازن السلطات واستقلالية كل منهم. والسؤال الذي أثير في الجلسة هو لماذا هذا الموقف من السلطة القضائية؟ أهو عدم ثقة؟ أم عدم كفاءة؟ أم هو تخطيط لحدود الفصل بين السلطات؟.. أيضاً أثار أحد الإخوة سؤالاً عن السبب في موقف السلطة التنفيذية مما حدث؟ البعض قال بأن الحكومة لا تريد المواجهة مع المجلس وتحاول أن تجاريه، لكن أحد الخبثاء قال بأن الحكومة تحاول أن تنصب شراكاً للمجلس لكي يتورط، وذلك في إطار ما يسمى (باللعبة البرلمانية) بين السلطة التشريعية والتنفيذية.. هذه اللعبة التي أخشى أن تنمادى فيها وتتحول إلى صراع لا قدر الله.

والمفروض سواء كان ذلك أو غيره أن يحافظ الإخوان في السلطات الثلاث على الحدود التي رسمها لهم الدستور في الفصل بين السلطات لأن في ذلك ضمناً لصيانة الديمقراطية، وبدلاً من إضعاف السلطة القضائية فعلينا جميعاً أن ندعمها ونحرص على استقلاليتها وعدم التعدي عليها مهما كانت المبررات فهي الضمان الأكيد لأمن واستقرار المجتمع..

وبالمناسبة فإننا من وقت لآخر نسمع المزايدات حول استقلالية القضاء، وكأن القضاء في بلدنا غير مستقل، وفي كل فصل تشريعي يثار هذا الموضوع بصورة تقلل من هبة وجلالة هذه السلطة التي يجب ألا تكون عرضة للمزايدات بين السلطتين، وأتمنى بدلا من ذلك أن يطلب من مجلس القضاء أن يأتي بالقول الفصل، وتعطى لهم الحقوق فيما يضمن استقلالهم وحققهم في أخذ حق المظلوم من أي ظالم مهما كان. وحمايته، ومن منطلق الاستقلالية اتركوهم يتقدمون بما يريدون دون ضغط أو مزايدات، وأقروا لهم التشريعات التي تمكنهم من أداء واجبهم لتأكيد أمن واستقرار المجتمع، فالقضاء قيمة من القيم الإنسانية، (والعدل أساس الملك) ويقاس تحضر الأمم وتقدمها بمدى الضمانات التي توفرها السلطات المختلفة للسلطة القضائية.

لقد آثرت أن أنقل هذا النقاش بأمانة من الديوانية؛ لأن الموضوع أثار جدلا كثيرا وارتفعت الاتهامات هنا وهناك.. خاصة أن السلطة القضائية تعزف عن الرد، وهي في الغالب تنزهه عن الدخول في أي صراع خوفا من التورط.. رغم يقيني من أن الأمثلة التي سبق الحديث عنها لم يكن وراءها سوء نية من إحدى السلطتين إلا أنني أنقل ما دار بأمانة لكي نتوخى الحذر في مثل هذه الأمور، وحتى نعطي السلطة القضائية ما تستحقه في المجتمع؛ فهي على طول مسيرة الكويت مفخرة لنا جميعا؛ فلم تتأثر بهوى حاكم أو محكوم، ولقد تابعت القضاء في الفترة الأخيرة وهو يصدر أحكامه مع من تعاونوا مع الغزو العراقي فبرأوا من برأوا وأدانوا من أدانوا رغم أن المحاكمات كانت تجري في ظروف إنسانية ونفسية صعبة إلا أنها جاءت لتؤكد حنكة وحكمة القضاء الكويتي ونزاهته، وكانت هذه الأحكام هي الضمان الأساسي للكويت أمام المؤسسات والهيئات العالمية لضمان حقوق الإنسان.

والقضاء هو الفيصل والدليل على رقي الأمم؛ ولذا تقاس الحرية والديمقراطية في أي بلد بمدى حرية القضاء وقدرته على اتخاذ القرار المناسب دون هوى في نفس أحد... فعلى سبيل المثال أثناء مسيرة حكم (الرئيس عبدالناصر)، ورغم إنجازاته الكثيرة كانت تذكر تلك البقعة السوداء فيما أطلق عليه (مذبحة القضاء) لكن استطاع سلفه (الرئيس السادات) أن يصحح الوضع ويعطي للسلطة القضائية صلاحيات أكثر وأكبر وكانت مفخرة له يتباهى بها في كل المناسبات؛ لدرجة أنهم اختاروه رئيساً شرفياً لمجلس القضاء على حد علمي، وقد سار على هذا النهج (الرئيس محمد حسني مبارك).

إن إضعاف السلطة القضائية لن يكون في صالح أحد. فعضو مجلس الأمة والوزير رغم أنهما يتمتعان اليوم بالحصانة إلا أن الكرسي لن يدوم (فلو دامت لغيرك ما اتصلت اليك) ولكن بالنهاية سيقى مواطننا يحتاج أكثر ما يحتاج إلى شعور النفس بالأمن والأمان والطمأنينة بوجود السلطة القضائية التي إن احتاجها أحد لبت طلبه فترد المظلمة عن كل مواطن مظلوم.

إن الدساتير قيمة حضارية والقضاء قيمة إنسانية.. فهل يمكن أن نحافظ على هذه القيم داخل مجتمعنا؟

لكل ذلك أردت أن أضع تحت أعين الجميع نبض الشارع في برلماننا الشعبية الصغيرة وهي (الديوانيات) التي تتميز بها الكويت عن سائر قرائها، ولعلنا نعي ونتصرف على هذا النبض. والله الموفق،،،



الأسرة وسورة الإسراء*

إن سمة عصرنا الحالي هي تدهور كامل لوحدة المجتمع والمعروف بالأسرة.. ومنذ أن تكونت الحياة البشرية.. وبعد أن نزل أبونا آدم عليه السلام إلى الأرض.. كانت أسرته الأولى هو النواة التي بنيت عليها المجتمعات والحضارات فيما بعد.. ولو تفاوتت من حيث البنية الشاملة فإن الأسرة تفاوتت أيضاً حسب النشاط الاقتصادي.. فالأسرة الكبيرة الزراعية يعتمد كل فرد فيها على الآخر لتنفيذ جزء من مسلسل الحياة اليومية.. والأسرة الصناعية أصبحت أقل اعتماداً على تكامل العمل داخل الأسرة.. بل تواجدت مهارات مختلفة في الأسرة الواحدة كل حسب مجال تخصصه.. وتطور هذه المجتمعات الصناعية وتباعداً أفراد الأسرة عن بعضها البعض أدى إلى تفكيك الأسرة الكبيرة ذات الأجيال المتعددة.. إلى الأسرة الصغيرة المكونة من الأب والزوجة والأولاد.

وإزدادت المسافات الجغرافية بين أفراد الأسرة الكبيرة وأخذت تقل الروابط الاقتصادية أولاً بينها، ولم تعد يعتمد على بعضها البعض، وترتب على ذلك تفكك الترابط الاجتماعي، وتدهور العلاقات بين أفراد الأسرة الكبيرة.. وهكذا مع الاستقلال الاقتصادي بدأت الأسر الصغيرة.. أسرة النواة تشكل الوحدة الاجتماعية.. وانفصلت العلاقات بين الأجيال فأصبح

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ 1994/1/9 .

الولد يعيش مع أسرته بعيداً عن والديه.. وتصرف أفراد الأسرة الواحدة حسب موارد رزقها..

وما زاد الطين بلة أن المهن بدأت تشعب في نفس الأسرة الصغيرة.. كنت تجد كل واحد في مجال عمل متخصص.. الأب في مجال.. الأم في مجال.. وكل شاب بعد أن يبلغ سن الواحدة والعشرين يطلب منهم الانفصال عن والديه.. يحاول كسب العيش بمفرده.. ومع الزمن تباعد أفراد الأسرة الصغيرة وتحولت الأسرة إلى أشكال اجتماعية لا أهمية لها.. وصار أفراد كل أسرة مستقلين دون الحاجة أو حتى الانتماء إلى أسرته إلا في الأعياد أو المناسبات التي خلقوها لكي يلتقي شمل الأسرة الواحدة كعيد الأم.. أو يوم الأب.. أو أية أيام رسمية أخرى أصبحت الوسيلة الوحيدة للتلاقي.. ويأخذ هذا التلاقي نمطاً رسمياً.. ومناسبة اقتصادية تستفيد منه دكاكين البطاقات.. وأصحاب الهدايا الرمزية.. وحتى إن بعض الأسر لا تهتم حتى بهذه المناسبات، والفرصة الوحيدة التي تجمعهم هي مناسبة الوفاة.. وأعياد الميلاد التي تقل أهميتها مع كبر سن الشخص.. وهكذا أخذنا نجد دور رعاية كبار السن تحت مسميات مختلفة.

وأخذت تظهر مراكز بل مدن صغيرة متخصصة لكبار السن حيث يعيشون فيها.. تحت شعار الاستقلال الذاتي.. ويحاولون قضاء أيام عمرهم الأخيرة في هذه العزلة القاتلة.. وأصبح شبح الموت هو الذي يقلق هؤلاء كما أظهرتها أغلب الدراسات عن هذه التجمعات البشرية.

قد يتساءل القاريء ما هو الهدف من هذه المقدمة والسرد التاريخي الاجتماعي للأسر.. ما دخلنا نحن بذلك؟!.. أرجو المعذرة أولاً إن كنت قد أطلت عليكم ولكن وجدت هذا السرد لازماً حتى نكون قد استعرضنا ما

يدور في الدول المتقدمة التي أصبحت عاداتها وتقاليدها هي المجال الوحيد الذي أصبحت مجتمعاتنا تقلدها..

سوف تزحف علينا.. وسوف نرى هذه الصورة القائمة هي المسيطرة على أنماط حياتنا.. ولو تركنا الأمور تسير على النحو الذي نجده الآن.. وعلى ما نشاهده من تفكك أسري أخذ يزداد انتشاره في المجتمع.. وبعد أن بدأنا نرى الآباء وقد تخلوا عن مسؤوليتهم الأساسية وهي تربية الأبناء.. وأصبحنا نعتمد منذ البداية على الخدم في تربية أطفالنا حتى أصبح الطفل غريباً عن أسرته، وحتى لغته الأصلية العربية تجدها ركيكة جداً واللكنة الأجنبية تكون واضحة عندهم عندما يدخلون مدارس الروضة.. وبرامجنا التعليمية لازالت لم تتكيف مع هذا النمط الجديد من التربية وينقصها الكثير من المفاهيم التي تقدم لأطفالنا ما يخسرونه أثناء تربيتهم.. وتعديل المفاهيم بطبيعة الحال ليس بالأمر اليسير والسهل، ويحتاج إلى تقييم مستمر نظوره مع متطلبات الحياة المؤثرة فيها..

والمؤسف أيضاً أن الإقبال على اللغة العربية أصبح قليلاً، وقد اطلعت على دراسة أجريت حولها من قبل كلية الآداب بجامعة الكويت.. ووجدت الإحصاءات التي تؤكد اغتراب الإنسان الكويتي عن لغته العربية.. والسبب الأساسي في ذلك عدم إيماننا بهذه اللغة العظيمة.. وعدم وجود مجالات العمل باستثناء التدريس كمجال للمتخصص فيها.

فلم نعد نهتم بصياغة اللغة في رسائلنا أو مخاطباتنا.. وأصبحت اللغة البسيطة الركيكة هي عماد مخاطباتنا ومراسلاتنا اليومية.. ولم نعد نفتخر بإتقان اللغة لا شعراً ولا نثراً.. واختفى من مجتمعاتنا ذلك الاعتزاز بلغة القرآن التي حمت حضارتنا وهي سر بقائنا واحترامنا من قبل الشعوب الإسلامية. وعلماء العالم وأساتذة التاريخ والحضارة.

هكذا وصل بنا الأمر من حيث الاغتراب عن اللغة.. وهذا يعني الاغتراب عن تاريخنا وحضارتنا.. واختفت الأسرة التي كانت أساس البنية في المجتمعات العربية.. واهتم العرب بعلم الأنساب وحاولت كل أسرة أن تقرر وجودها ويفخر كل فرد بانتسابه إلى أسرته بغض النظر عن إمكانية تلك الأسرة أو مكانتها الاجتماعية.. فلا المادة تغير هذا الترابط الأسري ولا الجاه.. بل تظل الأسرة نظاماً مقدساً أساسها الوالدان.. وهما بناء هذه الوحدة الاجتماعية وهذا هو السبب في أن الإسلام اعتبر احترام الوالدين والتوحد إليهما وعدم زجرهما هو شطر من الإيمان..

فنجد أن ذكر الوالدين يأتي مقروناً بعبادة الله وبالإيمان.. ففي سورة الإسراء التي تصف إسرائ النبي ﷺ إلى السموات السبع.. والذي يصادف اليوم ذكرى ذلك الحدث الجليل يأمر الله سبحانه وتعالى الإنسان بالإحسان بوالديه، كما جاء في سور كثيرة وفي سورة الإسراء، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ (٢٣-٢٤). الإسراء صدق الله العظيم.. ويربط سبحانه وتعالى عبادته والإحسان بالوالدين.. وتظهر الآية بوضوح أسلوب التعامل داخل الأسرة الإسلامية وحدد كيف تكون المعاملة في ظل الأسرة الإسلامية.. وفي نفس السورة نجد أيضاً ذكر الوالدين ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾ (٣١/الإسراء).. ﴿وهنا يطمئن الأبوين بأن الرزق من عند الله ولا يجب أن نخشى عليهم لأن ربنا سبحانه وتعالى الرزاق، واعتبر مثل هذا العمل من قبل الوالدين خطأ كبيراً..

هكذا نجد الإسلام.. وقد وضع أسس الترابط الأسري وأسلوبه في

المجتمع الإسلامي، وهذه الأسس والقواعد هي من قبل خالق هذه النفس التي حصّنها الله سبحانه وتعالى بتشريعاته وحكمته.. ونستطيع أن نقدم للبشرية الضائعة بعض ما يخفى عليها من أسرار هذه التنظيمات الاجتماعية.

وسمة عصرنا الحديث هو تفكك الأسرة، والأمر قد بلغ مستوى من الخطورة لدرجة أن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد أعلنت عام ١٩٩٤ عاماً دولياً للأسرة.. ولا تلجأ الجمعية العامة إلى إظهار جانب معين من جوانب حياتنا إلا بعد أن يشعر العالم كله بأن هناك خللاً كبيراً لا يمكن إصلاحه إلا بتكاتف شعوب العالم كلها.. فسمعنا عن (سنة للمعوقين، وسنة عن المرأة.. وسنة عن الطفولة..) وبالتأكيد ستأتي سنة للأمومة، وسنة أخرى للأباء في المستقبل..

وهذه المناسبات وإن كانت تحاول التأكيد على الأهمية لموضوع معين إلا أن ذلك له دلالة أكبر، وهي أن الجهود المبذولة على مستوى كل دولة على حدة لم تحقق مثل هذه الغاية.. وكأن كل شعب من شعوب العالم يستنجد بالآخر لعله يصل معه إلى بعض القواعد العامة.. التي ستظهر في النهاية بشكل ميثاق أو إعلان دولي.. لتأكيد أساسيات هذه الحقوق والاتفاق على المبادئ..

هذا الأمر في نظري هو ما يمكن أن نسميه بأضعف الإيمان في أي عمل، حيث إن الاكتفاء بالبيانات والإعلانات لا يتعدى كونه الاعتراف بالفشل، ووضع القضية أمام الناس وكل يحاول أن يعمل.. وتستريح الإنسانية بأنها أخلاقياً قد عملت شيئاً، ويترك التنفيذ لكل حسبما يريد..

وكالعادة سوف ينشط أصحاب اقتناص الفرص.. وسنجد الشعارات وقد طبعت على المنشورات والملصقات، وسنرى أفلاماً وأشرطة فيديو وشرائح وكذلك قمصاناً تحمل شعار الأسرة وغير ذلك من مبتدعات العالم

الاستهلاكي وإشغال الناس بالتوافة .. وسنستهلك هذه الشعارات والأغاني والقمصان .. حتى نؤكد على مشاركتنا مع هذا التوجه العالمي.

وستنتهي السنة وقد نصل إلى قرار بأن يكون يوم عالمي للأسرة يضاف إلى أيام تعطيل المصالح .. بقصد التثام شمل الأسرة في المنزل وملازمة بعضهم البعض .. ومثل هذه الذرائع نستعملها دائماً لتحقيق أهداف معينة .. وهذا ليس بغريب علينا .. فلقد سمعنا أن عطلة الخميس ستكون يوماً للأسرة ليرى بعضنا البعض، خاصة وأن كل واحد في الأسرة تائه في سبيله .. الأب مع أصحابه وديوانياتهم .. والأم اللي تشتغل في شاي الضحى .. والمرأة العاملة في المرافق المختلفة للتفرغ لصينية الكنافة أو الفول أو السندويشات .. أو زيارة الخياط أو التسوق .. والأولاد كل «هانج» في سبيله لا يعرف عنهم أهلهم شيئاً .. وقد لا يلتقون حتى عند الغداء أو العشاء لأن محلات الأكل السريع منتشرة بصورة ملفتة للنظر في أغلب المراكز، ولكن هيهات أن يتحقق ذلك .. وأن يعود الإنسان إلى نهج الفضيلة والطمأنينة، فالعالم قطع شوطاً كبيراً في طريق اللاعودة .. والإنسان قد تفتحت غرائزه الحيوانية واحتاؤها أمر صعب .. فهناك حاجة ماسة إلى فكر جديد ونظرة لهذا الإنسان .. وبصفته مخلوقاً سيظل في حاجة إلى هداية خالصة ومتجددة في كل يوم .. فهناك علاقة فريدة تربط هذا المخلوق بخالقه لم يتوصل الإنسان إلى معرفتها حتى الآن .. وقد يكون سر ذلك في الجزء الأكبر من مخ الإنسان الذي لا يستعمله .. وقد يكون هذا الجزء الكبير هو حافظ هذا السر.

فيدعونا الله في الآية المذكورة، أن نتفكر، وهذه دعوة أدعو فيها مفكري العالم الإسلامي، إن هذه السنة التي خصصت للأسرة هي مناسبة طيبة بأن نعوص فيما أورده القرآن حول الأسرة وتكوينها، وكيف يمكن أن نربط بين أواصرها ونقدم للعالم نموذجاً لما يراه الإسلام من أهمية لهذه

الوحدة الاجتماعية.. وبالتأكيد هذا الكلام يثير الذي أطلقوا العنان لحصان الشهوة والغريزة وفلت منهم الرسن!! ويجب أن لا نكتفي بأن نقف متفرجين على المهرجانات التي تقام، وكل ما نقوم به أن نصدر الفتاوى بتحريم أساليب إقامة هذه المهرجانات ومظاهرها.. بل دعونا نغوص في معرفة الذات البشرية وأن نقدم علماً نافعاً في زمن أصبح العلماء الحقيقيون أندر من العنقاء..

نحن في بداية السنة ولا عذر لنا، وعلينا وعلى التنظيمات الإسلامية وخاصة منظمة المؤتمر الإسلامي بأن تكون مشاركتها فعلياً في تقديم نموذج جديد.. لعالم يعشق كل جديد.. وعسى أن يكون في هذا الجديد الذي نقدمه الخير والرفاة للإنسانية.. ودعائي إلى الله سبحانه وتعالى ونحن نعيش هذه المناسبة الدينية التي تفتحت فيها أبواب السموات لنبي هذه الأمة ﷺ.. أن يأخذ بيد الأسرة الإسلامية الصغيرة ونتضامن ونتكاتف على أمل أن يلتئم شمل الأسرة الإسلامية الكبيرة، والله على كل شيء قدير..



كادر الأطباء.. بين المستفيدين والخاسرين*

عندما يتم التفكير في وضع كادر لتنظيم أي عمل يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار الهدف من هذا الكادر الخاص.. ولا تقصد الكوادر الخاصة إلا عند ذكر الكادر الوظيفي العام وإعطاء الحقوق الكاملة لبعض الفئات الخاصة نظراً لطبيعة عمل هذه الفئة.. أو خصوصية وطبيعة عمل هذه الفئة التي قد تختلف عن غيرها، ولا يمكن إنصافها عن طريق الكادر الوظيفي العام.. وقبل الدخول في استعراض الكادر الطبي الذي أثار جدلاً طويلاً وأصبح مجالاً للخلاف والتفرقة بين أصحاب المهنة الواحدة.. لا بد وأن نركز على أن هناك أسلوباً كويتياً عجيباً، إذ أن الكل يرغب في أن يتساوى من حيث الحصول على الترقية.. ولكن عندما نطالب بالعطاء وقت الضرورة نجد أن الأغلب يتقاعس عندما نطالبه بالواجبات الملقاة على عاتقه..

فالكادر الوظيفي الكويتي، من الأساس كادر لا يحقق الهدف الأساسي وهو أن يكافئ المبدع.. ويعطي له فرص التطور والزيادة في الترتيبي.. وفي نفس الوقت يعاقب المتقاعس وغير المنتج.. ومن دون تقييد، فالذي يعتبر الكادر الوظيفي منحة حكومية للموظفين.. ولا يُهمُّه الإنتاجية والانضباط والإبداع فلا أمل معه في أن يتحسن الأداء الوظيفي الحكومي.. وما دنا (نسوس) الوظائف فلا تتوقعوا الإنتاج، وما دامت العلاوات والمعاشات

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٦/١/١٩٩٤

والزيادات والبدلات مجالا للمزايدة بين الحكومة ومجلس الأمة.. فلا تتوقعوا إلا زيادة في التسبب وسوء الإنتاج.

ومع كل هذا ليس موضوعنا، حيث إن قضية الإدارة في الكويت أصبحت (قميص عثمان) يدخل منه كل من يريد أن ينال من الحكومة وعطائها وإنتاجها.. ولا أريد المزايدة ولكن أريد فقط أن أشير إلى مصدر الخطر الكامن في المجتمع بسبب الوضع الوظيفي الحالي...

ودعونا نعود إلى كادر الأطباء الجديد ونتفحصه ليس بالتفصيل، لأن ذلك من شأن أصحاب الاختصاص.. ولكن من حيث المبادئ العامة لإيجاد كادر متخصص..

أولاً: جميل أن يكون هناك كادر خاص، وأنا سعيد بأن ما كنت أطلب به قبل أكثر من عشرين سنة، وعندما كان الإخوة وزير العدل الأخ مشاري والجوعان يعملان في الديوان، منهم الأخ ضاري العثمان وجميعهم كانوا ضد الكوادر الخاصة، مع أن الأصل أن نبنى الوظائف كلها على أساس كوادر خاصة تشملهم مبادرة عامة كمظلة تحفظ حقوق الموظفين في الدولة.. (والحمد لله) إن الزمن أثبت رؤيتنا في ذلك الوقت.. وعسى أن يثور الإخوة المتقدون دائماً ويقولون «وينك عندما كنت مسؤول».. وهذا دليل على أن كثيراً مما يثيره المسؤولون لا يتحقق في نفس الوقت، والأمور تأخذ فترة طويلة حتى تنضج ويتنفع بها الجميع، ويحصل على أغلبية الآراء تمشياً مع الأسلوب الديمقراطي.. وعندها فقط يأخذ طريقه إلى حيز التنفيذ.. على أمل أن يرى النور..

ثانياً: نجد أن هذا الكادر قد خص الأطباء وأطباء الأسنان ولم ينظر لهم بصورة عامة كجزء من العاملين الفنيين المهنيين في الوزارة كالصيادلة

المختصين في المختبرات، والممرضين وغيرهم من أصحاب المهن الطبية، وهذا يجعل الكادر نشازاً وغير منسجم مع باقي الكوادر الفنية.

أسف على الخروج عن صلب الموضوع، دعونا نلقي نظرة على كادر الأطباء وأطباء الأسنان الذي يشير كل هذه الضجة (والزعلانين) في وزارة الصحة أكثر من الراضين.. وأقصد ليس الأطباء فقط ولكن باقي العاملين في الجسم الطبي الطويل، حيث إن الأطباء كلهم لا يشكلون أكثر من ٢٠٪ من القوى الفنية اللازمة لتقديم الخدمات الطبية.

حتى هذا الكادر نجده قد خرج يخص الكويتيين، مع أن الكلام كله عن (الندرة والاختصاصات النادرة) وانخفاض مستوى الخدمات بسبب غياب هذه الكوادر المتميزة في المجالات الطبية حتى إن الأخ وزير الصحة قد أعطى (شيكاً) مفتوحاً لإحضار أي اختصاصي، ولو بلغ راتبه خمسة آلاف دينار أي ضعفي راتب الوزير.. ولكن لم نستطع إحضارهم.. القضية مرتبطة بمبدأ أهم، هو أن مجال الاختصاص الفني لا يمكن التفرقة بينهم على أساس الجنسية.. لكن ظروف الكويت دائماً بغض النظر عن الظروف العالمية.. لها خصوصياتها، ولكن من الواجب أن نتعامل مع ردود الفعل من العاملين غير الكويتيين من حيث إن هذه التفرقة ستكون مجالاً نعانيه للتهجم على الكويت لأنها تفرق بين الفني الكويتي والفني غير الكويتي.. عسى أن يكون الله في عون الإخوة عند حضورهم اجتماعات النقابات والهيئات الطبية العربية والدولية بطبيعة الحال..

هذا لا يعني ألا يكون للطبيب الكويتي خصوصية، وربط راتبه مع الكادر العام ظلم كبير له خاصة بالنسبة للمعاش عند التقاعد.. حيث إن الراتب الحالي يتضمن البدلات، ولكن عند التقاعد ينزل راتب الطبيب إلى

الثالث وهذا هو أساس تحرك الإخوة الأطباء والفنيين في الوزارة للحصول على أحقية أن يشمل الراتب التقاعدي الأساسي بالإضافة إلى البدلات ..

ولكن الكادر ظهر ولا يمكن إلا التعامل معه، فأول نقد هو أنه كادر للأطباء وأطباء الأسنان، وواضح أن دمج الكادرين لم يأخذ بعين الاعتبار الفرق الكبير في ممارسة المهنة بين الأطباء البشريين وأطباء الأسنان. . لكن كما ذكرت للكویت ظروف خاصة، ولا أحد يستطيع أن يقاوم رئيس أطباء الأسنان (الدكتور إبراهيم مهلهل) بما لديه من قوة الإقناع والإخلاص لمهنته وإخوته في المهنة. . ولم ينصف العاملين في مجال الصيدلة والتمريض والخدمات الفنية الأخرى بنفس الصورة. .

الكادر خلط بين الوظائف والاختصاص. . والمسجل أو المسجل الأول هذه وظائف يعمل بموجبها الطبيب في الجهاز الطبي. . أما الاختصاص فهي عملية مهنية بحتة فلذلك يجب أن يكون السلم أي سلم، إما مهني أو وظيفي ولا يجوز الخلط بينهما. .

نجد أن الأطباء الاستشاريين لم يتعرض لهم الكادر واقتصر على الطبيب الإكلينيكي مع أن هناك أطباء غير إكلينكيين موجودين في المختبرات وفي التشريح وعلوم الفسيولوجيا والطب الاجتماعي وهم أكثر أهمية من الطبيب الإكلينيكي العادي الذي يمكن بسهولة تحسين وضعه المالي بفتح عيادة خاصة به. . كما هو الحال الآن. . وما علينا إلا أن ننظر إلى الأماكن الشاغرة الموجودة في هذه المجالات وندرتهم رغم وجود درجات، فإن الاختصاصيين منها قليلون ونادرون ويجب أن يعمل الكادر على تشجيع مثل هذا التوجه ولا يقتصر على الإكلينيكي بل يكون لمن يقدم الرعاية الصحية مرتبته العلمية والوظيفية. . .

والظاهر أن هناك غيباً متعمداً بالنسبة للأطباء القياديين. . ومن

المؤسف أن نجدهم أطباء إداريين أقل من الإكلينيكين، وكأن الإدارة ليست بأهمية لتقديم الخدمة المباشرة، فكل طبيب مسؤول لديه مسؤولون إداريون، فالطبيب المقيم يخضع لإدارة السجل.. والسجل يخضع لرئيس الوحدة.. ورئيس الوحدة لرئيس القسم ورئيس القسم لرئيس الأقسام.. وهذا لمدير المستشفى وبعدها لمدير المنطقة وبعدها الوكيل المساعد المختص.. المسؤولون كلهم يقومون بوظائف إدارية ولكن هذا لا يقلل من مستوى أدائهم الفني كأطباء.. ولا أعرف لماذا التفرقة بين هذا الإداري والمهندس القيادي، أو الطيارين القياديين كقائد القوات الجوية أو الأستاذ رئيس القسم في الجامعة أو حتى مدير الجامعة.. فكل هؤلاء لابد وأن يكونوا متمتعين بالخبرة الفنية بجانب التأهيل الإداري اللازم للقيام بالمسؤولية الإدارية لتحقيق أحسن أداء لهذه الخدمات.

فذلك هو الغبن المتعمد سوف لا يشجع الأطباء الكويتيين على قبول المسؤوليات الفنية التي هي أساس تقديم خدمات أفضل للمواطنين.. وعلى كفاءتهم يعتمد في تقديم هذه الخدمات وتحسين أدائها.. هذه المجالات هي التي يجب أن نشجع الأطباء على ارتيادها حتى نرفع من مستوى الأداء الوظيفي والمهني للعاملين في الخدمات الصحية.. ولكن لا يجوز أن تكون هذه الوظائف لها طابع الشرفية بل يجب على من يشغلها أن يكون حاصلًا على المؤهل اللازم لأداء مسؤوليته الإدارية، كما هو الوضع حاليًا لجميع المسؤولين الفنيين الإداريين، فلا يوجد أي مسؤول إداري فني إلا وقد تأهل على الأقل بدرجة ماجستير في الإدارة الصحية قبل تسليمه المسؤولية الإدارية الفنية، مع أن الكثير من الوكلاء المساعدين والوكلاء في الوزارات الأخرى لم يتعدوا مرحلة البكالوريوس إن لم يكن أقل.. ولو عرفنا أن كل طبيب في وزارة الصحة العامة عندما يكتب وصفة طبية أو طلب تحليل في المختبر أو غير ذلك.. فإنما يقوم بكتابة شيك على حساب وزارة الصحة العامة.. فمن

دون معرفة هذه المسؤولية فلا نتوقع من الأطباء أن يتحسن أداؤهم تجاه حفظ المال العام، والمسؤولية الإدارية لا تعني الجلوس وراء المكاتب (الكشخة والقنفات الغالية) . . والغرف «السمرديحة» بل يعني بها الإدارة الفنية لعمل ومحاسبة ومتابعة مستوى أدائه ومحاسبته في التقصير . . وهذه العملية تتم يومياً بدءاً من إدخال المريض في المستوصف حتى الانتهاء من إجراء أصعب عملية له . . كل هذه مسؤوليات إدارية تنظيمية . . غابت مع الأسف عن بال من تصور المفهوم الإداري للخدمات الفنية التي يقدمها الجسم الفني في زارة الصحة العامة. فبغير قيادة فنية مدركة لأهمية الخصوصية الفنية الإدارية لخدمات وزارة الصحة . . لانتوقع أي أداء أفضل لخدماتنا الصحية .

وهناك دراسات عديدة حول هذا الموضوع وكيف أن الحل الأمثل للإدارة الفنية الناجحة أن نقنع الأطباء بأن يتولوا المسؤولية الإدارية التي تمكنهم من تقديم خدمات أفضل . . ولكن هذا صعب جداً حيث إن مهنة الطب فيها الكثير من الراحة والعطاء ويفقدها الطبيب عندما تزداد مسؤوليته الإدارية التي لا بد أن يتفرغ البعض فيها لقيادة العملية الصحية لأنهم أدرى من غيرهم بطريقة وأسلوب التعامل بين بعضهم البعض وبين الطبيب والمريض . وبجانب هذا كله كما ذكرت في البداية، فإن إصدار كوادر خاصة لفئة معينة من دون النظرة الشاملة للفنيين القائمين بتقديم الخدمات الصحية للمواطن لا يمكن أن نحقق أي تحسّن في أداء خدماتنا الصحية . فالجسم الطبي في الوزارة متكامل ويعتمد على بعضه البعض ومن دون الصيادلة وفنيي المختبر والممرضين وغيرهم من فنيي الطب الطبيعي والأشعة وعلم النفس، فإن عمل الطبيب لا يمكن أن يحقق هدفه، ولا يتعدى كونه طبيباً كالذي نراه في الأفلام العربية . . يكشف على المريض وهو على فراش الموت ولمسة سحر يخرج الوصفة ويكتبها له ويكون المريض عندها بيد القدر والغيب، حيث إن مرضه لن يكتشف من دون التحاليل والفحوصات المتقدمة التي جعلت الطب

الحديث يختلف عن هذه الشعوذة الطبية، والسحر الذي ساد في الأزمان الماضية.

أرجو أن لا تكون هذه هي الصورة التي نرى فيها أطباءنا في الخدمات الصحية؛ فهي جزء من وحدة كاملة يجب أن ننظر إليها بصورة شاملة ومتكاملة، وقد يصل راتب الممرضة المسؤولة في العناية المركزة في العمليات وغرف الإقامة أكثر بكثير من أغلب الأطباء الذين نجدهم بأثوابهم الخضراء وبأقنعتهم حول طاولة العمليات..

الموضوع هو موضع النظرة الشاملة، وأرجو أن تشكل لجنة من جميع أصحاب المهن الطبية وأن تأتي بكادر جديد مختص بأصحاب المهن الصحية وليس الأطباء والإكلينيكيين منهم.. وأرجو أن يتحقق الإنصاف لكل فرد فيه، وذلك حسب عطاءه وأهميته، وليس بحسب شهادة الدكتوراة التي قد يحصل عليها بالمراسلة...

فأرجو بعد أن دافعنا عن أحقية المهن الطبية لكادر خاص، أن تكون النظرة شاملة حتى لا ندخل أصحاب هذه المهنة في مجالات المزايدات والمشاحنات ودخولهم (حارة كل من أيد وأنكر)، ويحاول الحصول على أكبر قدر ممكن من الاحتياجات لفئة دون فئة.. فليكن المقياس هو العطاء وحاجة السوق الطبية وأهمية دور كل فئة فنية في تقديم أفضل خدمات صحية ممكنة للمواطن.. وأن لا تكون نظرتنا إلى أصحاب هذه المهنة وكأنها أصحاب (دكاكين) طبية كل واحد فاتح بابيه على باب الله يحاول اصطياد المريض.. «الزبون» بكل نوع من الإغراءات.. هذه ليست مبالغة.. رأيت مثل هذا الطب يمارس في كثير من الدول العربية والدول النامية..

أنصفوا أصحاب المهن الطبية.. ولتكن النظرة شاملة ومتكاملة.. فليكن الكادر الخاص بالمهنة الطبية يشمل الجميع دون استثناء.. فالمهنة

الطبية واحدة.. لا تختلف بحسب الجنسية أو اللون.. إنها خدمة إنسانية قبل أن تكون وظيفة يشتغل فيها فئة مثمرة من الناس.. تستهدف من ورائها إشباع رغبة داخل الإنسان في صورة العطاء الشامل دون توقع الأجر.. فأمثال هذا النوع من العاملين في مجال الخدمات الطبية سوف يحقق مستوى من الخدمات الطبية التي يمكن أن نفاخر بها أمام العالم.. وهو أكبر عنوان لتقدم الحضارة في بلدنا الحبيب الكويت.



محاكمة الوزراء.. بين الحق والباطل*

لقد مرت الكويت في ظروف عاصفة ومشحونة جداً في الأسبوعين اللذين سبقا يوم الثلاثاء «١١/١/١٩٩٤».. عندما احتشد الناس في مجلس الأمة بعد أن جندت الصحافة نفسها لمدة أسبوع تحاول إبراز قضية قانون محاكمة الوزراء وكأنه يوم الحساب الحق.. يوم انتصار العدل على الظلم.. يوم الانتقام من مجرمين يحاولون الهروب من القانون.. وأظهرت الصحف الأمر بصورة مبالغ فيها وكتبت المقالات البارية المحرصة على سفك دماء الوزراء.. لأن فيهم.. وما فيهم.. من الأوصاف التي لا يمكن للقلم أن يتحمل كتابتها.. زوراً وبهتاناً.. كنت متردداً في الكتابة في تلك الفترة التي شنت فيها الصحافة الحرب الضروس ضد الوزراء.. ولكن لكوني وزيراً سابقاً وكون القانون ينطبق علي.. خشيت أن لا أكون منصفاً.. لأن الإنسان مهما تجرد.. فهو أناني بطبعه.. وقد تتغلب الأنانية عنده على ما تعودنا من إطلاق وصف عجيب عليها.. ألا وهي.. المصلحة العامة.. وهذه المصلحة العامة.. مصلحة مطاطة يمكن أن تفسر على حسب أهواء الأشخاص والأنظمة.. والمسئولين..

والوزير في بلدنا مع الأسف الشديد والذي ينطبق كذلك على دول العالم الثالث، مهما كان ومن أي فئة كان (شاباً كان أو شيخاً.. غنياً أو فقيراً،

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ٢٣/١/١٩٩٤

يسارياً أو يمينياً، مؤمناً أو ملحداً، عالماً أو جاهلاً). الكل يتساوى عندما يسبغ عليه هذا اللقب الجذاب من الخارج.. والمحزن.. والموحش.. من الداخل؛ لأنه فجأة يأتي على رأس سلطة من دون مقدمات.. وتقع عليه المسؤوليات بصورة أكبر مما يتوقع. خاصة وأن أنظمتنا لا تعد الوزراء.. لا عن طريق ما نسميه بإعداد «خدام المصلحة العامة» أو أي طرق أخرى، ففي الدول التي تتبع أسلوب النظام البرلماني يكون الاعتماد والأصل واقعاً على الحزب.. لإعداد كوادره، فنجد من يصل إلى مستوى المسؤولية في الحزب.. أو الحركة، ويكون معداً وفق برنامج خاص وما عليه إلا أن يطبقه عندما يتولى السلطة.. ويكون مسنوداً من الحزب.. لأن الحزب الذي يأتي بالوزراء هو الحزب الحاكم.. أما في الكويت فيأتي أغلب الوزراء دون هذا الإعداد.. فلا توجد شروط لشغل منصب الوزير غير حكم رئيس الوزراء، عندما يقع اختياره عليه من بين العاملين في الدولة بناء على معايير معينة.. أو نجاحه في الانتخابات.. ويتحول من إنسان لا خبرة لديه في تولى مسئولية كبيرة إلى إنسان يصدر قرارات وأحكاماً تتعلق بمصير الشعب.. وكل مؤهلاته أنه وقع الاختيار عليه بناء على معايير رئيس الوزراء، أو يقنع ناخبه بأنه سيعمل وسيعمل على اكتشاف ألعيب الحكومة وتصيد أخطائها.. وفوق كل ذلك تحقيق مصالح ناخبه.. أما غير ذلك فهو ليس مطلوباً منه.. وعندما يصبح وزيراً، فإن مصدر ترشيحه سيكون له عليه ولاء ولا يمكن أن.. فالأسرة والقبيلة والعشيرة عليه لها الولاء، وأخيراً في الانتخابات الأخيرة، التنظيمات السياسية الموجودة فعلاً والمجهولة رسمياً، ولا أدري إلى متى سنظل بهذه الصورة؟؟.. كلها ستأتي لتطالب ممثلها عندما يصبح الواحد منهم وزيراً بتسديد (الفواتير!!) بمختلف أنواعها.. من تعيين.. وإعطاء مناقصات وتسهيل الأمور في الوزارات.. وتسهيل وتقديم الخدمات من فك القيد في المخافر أو الاستثناء من المخالفات. بل وتجاوز القانون لحساب عيونهم..

فإنسان عليه هذا الحجم من المشكلات لا يمكن أن يتفرغ لأعمال الحكومة.. فكل حركة محسوبة عليه إما من أصحاب النفوذ.. أو المسؤولين الذين يطاردونه بالعمل والإنتاج.

أسف إذا كنت قد شططت بعض الشيء.. وهذا كان لازماً حتى نبين وضع الوزير في بلدنا.. ودعونا نعد إلى هذا القانون.. الذي عمل كل هذه الضجة.. ونحاول أن ندرسه بهدوء، ولعل من سيضعون القانون الجديد لمحاكمة الوزراء.. يكونون أكثر وعياً لتفادي التهويل الذي حدث بالنسبة لقانون ٩٠/٣٥.. الذي اعتقد أنه حقق بالتحديد ما تطلبه المادة (١٣٢) من الدستور.. فالنص الدستوري ينص على الآتي «يحدد قانون خاص بالجرائم التي تقع من الوزراء أثناء تأديتهم وظائفهم..» وهذا قد تحدد بصورة واضحة في المادة الأولى والثانية من القانون المذكور، ويطلب النص أيضاً «بيان إجراءات اتهامهم ومحاكمتهم، والجهة المختصة بهذه المحاكمة» وهذا الطلب ورد بالتفصيل في المواد ٣ إلى ١٣.. أما المادة ١٤ فقد حرمت الوزير حتى من حق الطعن.. فهذه المواد لبت طلب النص الدستوري.. وحددت الجهة المختصة بهذه المحاكمة.. وعندما طلب النص تحديد الجهة المختصة.. اعتبر نوع الجريمة بحاجة إلى تنظيم خاص.. وإلا اكتفى بالقوانين المعمول بها..

وكما طلب النص أيضاً، فإن هذا القانون لا يخل بتطبيق القوانين الأخرى في شأن ما يقع من الوزراء من أفعال وجرائم عادية.. وما يترتب على أعمالهم من مسئولية مدنية.. فالقانون إذاً محدد للأعمال التي يتولاها الوزير أثناء توليه منصبه.. وتكون من صميم وظيفته وهو يؤدي هذا الواجب..

فالقانون، إذاً خاص بنوع محدد من الجرائم.. وهي الوظائف التي

يؤدونها بصفتهم وزراء.. ولتنفيذ المسؤوليات المكلفين بها من قبل السلطة التنفيذية.. والأمير كما نصت المادة (٥٥) «يتولى سلطاته بوساطة وزرائه» كما أن الوزراء حسب المادة (٥٨) في تنفيذ السياسة العامة للدولة.. مسؤولون أمام الأمير، حيث إن الأمير.. «يسأل كل وزير أمامه عن أعمال وزارته»..

هذه المواد تبين أن تصرفات الوزراء في تنفيذ وظائفهم يمثلون الأمير ومسؤولون أمامه.. هذا هو السبب الذي نظمه القانون ٩٠/٣٥ من أسلوب التحقيق وإجراءات محاكمة الوزير.. وأعطى الأمير الحق في أن يحيل الوزير إلى مجلس القضاء الأعلى بناء على طلب رئيس مجلس الوزراء.. وعندما يتم التحقيق مع الوزير من قبل لجنة قضائية من ثلاثة أشخاص يحال الأمر للأمير مرة أخرى، ليقرر فيما إذا أراد إحالته للمحاكمة أم لا.. وبعد ذلك تبدأ المحاكمة وعند صدور الحكم لا طعن فيه..

هذه الإجراءات أثارت الكثيرين من الإخوة في الصحافة وأعضاء مجلس الأمة.. ونسوا أن في كل خطوة من هذه الخطوات نحن أمام محاكمة شخص يمثل الأمير.. ومسئول أمامه.. وقد يكون ما اعتبر جرمًا محددًا، ربما يكون ليس من شأن الوزير بل قد يكون بناء على أوامر خارجة عن إرادته.. فالأمير هو الأعلم بهذه الأمور وله حرية التقدير من النواحي السياسية.. ويجب أن نعلم أيضاً أن الأمير يستطيع أن يعفو عن أي شخص إذا اقتنع بناء على الحقائق التي تتوفر لديه، أو لأسباب سياسية أو اجتماعية.. فله دائماً القرار الأخير.. لأننا قد وضعناه فوق السلطات كما أن ذاته مصونة.. وجعلناه الملجأ الأخير لتحقيق العدالة.. فإذا لم نتبع هذه الإجراءات فمن الجائز أن يطلب الوزير عند محاكمته بالطريقة العادية.. استدعاء الأمير للشهادة.. فهل هذا معقول؟.. وكيف يمكن أن ندعو

الشخص الذي بيده الأمر النهائي مهما كان الحكم النهائي إلى الإدلاء بشهادته .

هذه الخصوصية للأمير . . ولرؤساء الدول وضعت حتى يكون هناك مجال للتدخل تحت الظروف الاستثنائية . . وكلنا وجدنا كيف أن رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية هم الذين يسمحون بامثال العاملين معهم أمام المحاكم . . لأن من يعمل بناء على تكليف من المسؤول الأول . . يكون المسؤول الأول مسؤولاً جزئياً عما قد يرتكب من أخطاء أو مخالفات . . فذلك ليس من المستغرب إذا كان المشرع قد أعطى لسمو الأمير الحكم في مدى مسؤولية الوزير عند ارتكابه لأية تهمة قد يتهم بها . .

ومع كل هذا . . وحيث إن الوزير عضو في مجلس الأمة فلقد اشترط أن يرفع مجلس الأمة الحصانة البرلمانية عنه . . وهذا الشرط أيضا هام جداً لأنه يحتمل أن يكون اتهام الوزير نوعاً من التهم السياسية التي قد لا يوافق مجلس الأمة على إحالته للمحاكمة بشأنها . . أي أن الأمير قبل إحالة الوزير يجب أن يطلب من مجلس الأمة رفع الحصانة عنه . .

كل هذه الضمانات ليس المقصود بها تبرئة الوزير أو إيجاد مخرج له، بل على العكس فإن مستوى المحكمة وأسلوب التحقيق ودور الأمير في إحالته للمحاكمة كلها أمور تؤكد على أن الوقائع المنسوبة إلى أي وزير يجب أن تكون من الأمور الهامة سياسياً وتحتاج إلى كل هذه الاحتياطات . . أما الجرائم الأخرى . . فشأنه شأن أي إنسان عادي يخضع للقوانين العامة المعمول بها . .

وعند إحالة الوزير للمحاكمة أمام المحكمة الخاصة فإن كل الفاعلين الآخرين أو الشركاء من غير الوزراء، يُمثلون معه وكذلك أية جرائم قد ترتبط مع الجريمة الأصلية حسب المادة «١٢» من القانون المذكور . . أي أن

مستوى المحاكمة سيتغير بصورة جذرية . . حماية لحقوق الجميع . . إذ ليس من المعقول أن يحاكم الوزير أمام محكمة معينة لجريمة محددة في حين أن شركاءه لا يحاكمون في نفس المحكمة . . ومن المؤسف أن هناك من أثار هذه القضية وادعى أن هناك فرقاً بين مستوى المحاكم التي تنظر في قضية الوزير والمشاركين معه وهذه مغالطة .

هذه القراءة المتأنية من شخص غير قانوني يوضح لنا كم جانبنا الصواب عندما نحينا بالأمر، وكأن القانون ٩٠/٣٥ لمحاكمة الوزراء يعطي الوزراء فرصة للتهرب من العقاب . . في حين أن الأمر يختلف تماماً . . ويظهر بوضوح مدى تشدد القانون مع الوزراء في حالة ارتكابهم جريمة أثناء تأدية أعمالهم والقيام بوظائفهم .

ولكن الجو المشحون والأسلوب الذي طرح الأمر كله قد جعلنا لا ندرس القانون بصورة متأنية بعيداً عن أي تشنج، لأن النقاش الذي دار كان هدفه محاكمة شخص معين وليس مناقشة قانون محاكمة الوزراء . . مع أن الشخص الذي استهدفه النقاش . . وليس القانون، يمكنه الطعن بالمحاكمة في المحاكم العادية . . حيث إن وضعه يحتاج إلى قانون خاص بحسب النص الدستوري (١٣٢) . . وحتى حق رفض مجلس الأمة للقانون مشكوك فيه دستورياً، لأن حكم المحكمة الدستورية . كما ذكر النائب (حمد الجوعان) عند إحالة المراسيم بقوانين إلى اللجنة التشريعية واضح، وليس من حق المجلس مناقشة القوانين . . بل عليه أن يصادق عليها دون مناقشة . . وإذا كان لديه اعتراض على أي قانون فيمكن سن قانون جديد يلغي ما لا يرضاه من مواد في أي مرسوم بالقوانين التي صدرت في فترة غيابه . . ولكن الحكومة مع الأسف دائماً تفرط بحقوقها . . (وعند حزة الحزة . . يتأسفون . . ولكن يكون قد فات القوت . . وما ينفخ الصوت . .)

لكن كما ذكرت مع الأسف الشديد.. لم نعط أنفسنا الوقت الكافي.. وجانبنا الصواب في أسلوب مناقشتنا للقانون.. وغابت الحكمة بعض الشيء.. واختفت الحنكة في إدارة الأمور.. وطفحت النفوس بالعواطف.. واستهدف النقاش اتهام شخص معين بغض النظر عن حقيقة الاتهامات الموجهة أو المكالة إليه.. لأن هذا من شأن السلطة القضائية فقط.. حتى إجراءات النيابة العامة كانت في حاجة إلى شيء من التروي قبل إثارة كل هذه المشاعر.. وكل هذه الانفعالات..

الآن.. لقد ذهبت سطوة الغضب وجاء وقت التفكير والتدبر.. وعسى أن يناقش القانونيون الموضوع بكل هدوء وحكمة ودراية.. وتحقيق ما يطلبه نص المادة (١٣٢) من الدستور بكل هدوء وروية.. وأن يتضمن القانون المرتقب كل الجوانب المادية والمعنوية لمثل هذا القانون الخاص والهام.

وعسى ألا يعتبرني الإخوة القانونيون متطفلاً على ميدانهم.. فهذه رؤية إنسان بسيط تعلم أن الحياة أصعب من أن تقنن في نصوص.. وأن الأهم من النصوص.. هي النفوس.. وهذه النفوس المطمئنة هي التي يجب أن تتولى مثل هذه الأمور الشائكة.

وأرجو من الله للجميع الطمأنينة والتوفيق والسداد ولتحقيق ما يرضاه.

الجزء الثاني

الخليج ومنعطف الطريق







في الهموم الكويتية الخليجية العربية « ١ من ٣ » (*)

منذ زلزال الثاني من أغسطس حيث استطاع الدكتاتور الطاغية أن يكسر حاجز الحرمات العربية - الإسلامية، حدث تحول كبير على المستوى الاستراتيجي السياسي والفكري والوجداني. فبعد أن كنا صباح مساء نعيش على مقولة القومية التي قدسها الكثيرون منا حتى خلناها دينا جديدا، فأنشئت لها المحافل القطرية والأحزاب الشعبية، وانبرى لها الشعراء والأدباء يمجّدونها من دون الله، وآمن بها البعض على أنها الخلاص والملجأ، حتى أفقنا من غفوتنا على اجتياح الطاغية لبلد آمن قدم له ولشعبه ما قدم، وكتب في ذلك القاصي والداني ولا داعي للتكرار، أفقنا على غزو آثم عشنا خلاله أياما سوداء، كنا نلهث وراء الأمل في مقابلات رسمية، واجتماعات شعبية على أمل أن يأتي يوم التحرير والذي كنا نتظره على أحر من الجمر. ورغم مرور هذه الفترة وكأنها دهر كامل ثقيل، ورغم مشاغلي اليومية التي لم تر العين فيها النوم ولم يعرف الجسد لها راحة، ورغم ذلك كله كنت أعيش همّاً أكبر هو أنني (رغم يقيني وثقتي بالله سبحانه وتعالى) وصدق العزيمة الدولية للتحرير، وأن يوم الخلاص قادم لا محالة، رغم مناورات الأرعن المجنون، أقول رغم ذلك كان يخطر على بالي سؤال هام: كيف يمكن

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٢/٢/٢٧

ضمان عدم تكرار مثل هذه الكارثة بعد التحرير؟ وهذا السؤال من أصعب الأسئلة التي تواجهنا وتتحدانا جميعا، فالخيارات المطروحة لا تلبى طموحاتنا، فلها ميزاتها وعيوبها، وعلينا أن نختار أقلها في الخسائر.

صعوبة الإجابة على السؤال تأتي من ظروف الكويت الخاصة، فالرقعة الأرضية صغيرة ولكنها غنية بثرواتها التي أثارت في قلوب كثير من الحاقدين حفيظتهم ضدنا بسبب حسن الإدارة والاستغلال الأمثل وتنميتها. يضاف إلى ذلك قلة تعداد السكان والتي لم تتمكن بذلك أن تزيد أعدادهم، باستخدام سلاح التكوين للفئات التي عملت معنا بإخلاص، وأثبتت ولاءها للكويت أملا في الأجيال القادمة. إضافة إلى ذلك أن الشعب الكويتي حباه الله ميزة العمل الديمقراطي منذ فجر التاريخ حيث تم الاتفاق على تقاسم السلطات، وتطبيق الشورى منذ أول يوم من تاريخ الكويت، وقد يظن البعض أنها ميزة بسيطة ولكنها العلاقة الكويتية المتميزة بين الحاكم والمحكوم، وهي العامل المؤرق للحاقدين على هذه المسيرة وتمنياتهم بزوالها لفشلهم في التعايش معها؛ لأنها لن تسمح لأمثالهم بالوجود، فبقاؤهم ينمو ويترععرع في مستنقع الديكتاتورية والضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه من شعوبهم بنطق كلمة حق أو الوقوف أمام غايات ومطالب الطغاة.

أيضاً الصعوبة نشأت من الوضع الجغرافي للكويت؛ ففي الشمال العراق بمساحته الشاسعة وخيراته الوفيرة وقوته البشرية الكبيرة محكوما بهذا الطاغية بيد ثروات بلاده تحت أضغاث أحلامه وخيالاته بإمبراطورية يقودها هو وزمرته، وقد تصور بعض من أبناء جلدتنا بأن المشكلة هي في (صدام) نفسه والمحيطين به، إلا أن هذا التصور خاطيء فلقد أثبتت الأحداث وما زالت بأنهم جميعا (صدام حسين) وأن ما استطاع (صدام حسين) النجاح فيه، هو ترسيخ الظلم بين شعبه، والتأكيد بأن ما حدث وما يحدث له، أي

للشعب العراقي كان بسبب الكويت وقيام الاستعمار باستقطاعها من أمها العراق.!! ولذلك يجب أن يكون ذلك واضحاً لنا، قد يأتي نظام آخر بالعراق ويهادن معنا لفترة، لكنني على يقين كامل من أنهم سوف يعاودون الكرة مرات ومرات، فالشرخ القائم يزداد يوماً بعد يوم، وترسخ بين الشعبين العربيين المسلمين الجارين هوة الخلاف والابتعاد عن بعضهما البعض، ولعلي أذهب إلى أبعد من ذلك فقد يكون من بين أسباب عدم استجابته لقرارات الأمم المتحدة أن تزداد معاناة شعبه، ليعيش الأحران أكثر وأكثر ويزداد الحقد بين العراقيين والكويتيين يوماً بعد آخر.

الجار الثاني الجنوبي وهي الشقيقة السعودية والتي أثبتت جدارتها بحسن الجوار ملكاً وحكومة وشعباً، وكانت سنداً قوياً في أثناء المحنة لتضحياتها الكبيرة البشرية والمالية في سبيل تحرير الكويت، ووقوفها صفا واحداً ضد هذا الطاغوت، وهي العمق الإستراتيجي للكويت مؤكدة بذلك بأن الطريق الوحيد المضمون للاستقرار والسلام هو التوصل إلى إيجاد علاقة خاصة بهما يربطهما برباط متين بين البلدين ليقربهما إلى الصيغة المطروحة لدول المنطقة في ميثاق إنشاء دول مجلس التعاون الخليجي، ومهما كتبنا من عبارات رقيقة وكلمات نابضة بالفضل والثناء؛ فلن نوفيها حقها، وندعو الله لها بالتوفيق والسداد في ظل خادم الحرمين الشريفين وحكومتها الرشيدة وشعبها الطيب المضياف. وأملّي أن نبدأ بالفعل بخطوات فعلية تحقق صيغة تقارب كبيرة بين البلدين يحتذى بها بين دول الخليج.

ثم الجارة الثالثة إيران الصديقة المسلمة، والتي ساندتنا أثناء حربنا وتحرير بلادنا من يد الطاغية. إيران ذات المساحة المترامية حباها الله كثيراً من الخيرات الزراعية والبتروولية والمعدنية والصناعية، وشعباً مؤمناً قوياً

شجاعاً ذا كثافة عالية، استضاف العديد من الأسر الكويتية، وقدم لهم التسهيلات واحتضنهم بين إخوانهم وأصدقائهم هناك.

وعسى ألا يثير حديثي عن إيران حساسية ولا لفظاً ولا تأويلاً. فما أكتبه رؤية شخصية من إنسان مسلم يعيش على أرض الخليج في وسط موج متلاطم، وندعو الله أن يكشف عنا الغمة، ويلهمنا الرؤية الصحيحة وكلمة الحق التي علينا أن نقولها ونسمعها ونناقشها بقلوب صافية وعقول متفتحة لنصل إلى الحقيقة، وهذا هو الأسلوب الذي يجب أن نتبعه في مناقشة أمورنا، ولنا في الدول الغربية مثل، فهي تدعو إلى الوحدة وتستفتي شعوبها ويخرج شعب (الدانمرك) الصغير ليعلم رفضه لهذه الوحدة، ورغم ذلك لم تجيش الجيوش لإرغامها على الوحدة، ولم نسمع تهديداً ولا وعيداً بالعذاب والثبور، بل احترموا رغبتها ووافقوا على أن تقوم الوحدة بين الدول الموافقة على ذلك، أقول هذا كمقدمة لأننا في الكويت أصبحنا نشعر بحساسية مرهفة لأخبار الجيوش والاستعدادات التي تذيئها وكالات الأنباء من حصول إيران على معدات عسكرية متقدمة، ورؤوس نووية كبيرة، ورصد المليارات على مدى الخمس سنوات القادمة للصرف على هذه المشاريع والتجهيزات، هذا ورغم ما نسمعه من الإخوان خاصة على المستويات الرسمية بأن إيران عازم على التقارب والتعاون معنا ضد الطامعين في خيراتنا.

ملاحظات لإخوتنا في إيران

والآن بعد هذا الاستعراض السريع الموجز لاستعدادات إيران العسكرية، أريد أن أضع هذه النقاط أمام الإخوة في إيران.

أولاً: المستجدات في العالم أصبحت غير السابق، إنهم في الغرب

والشرق متفقون على أن تحل جميع المشاكل بالدبلوماسية ولن تكون القوة ذات تأثير إلا لمن يخالف هذه القاعدة.

ثانياً: إن الجهات التي كانت وراء تسليح العراق هي الغرب والشرق ويعلم ومباركة الجميع، واليوم وقع العراق في المحذور، والنتيجة بين أيدينا غير خافية على أحد، عاد العراق إلى (القرن الثامن عشر) وكل ذلك على حساب التنمية العلمية والاقتصادية والاجتماعية وقهر شعبه المغلوب على أمره، وجعله رهينة الحصول على قوته اليومي.

ثالثاً: إن الغرب والشرق لن يسمح لأي من الدول النامية أن يمتلك قوة تدميرية شاملة، وفي حالة تملكه لها سوف يدخل إلى (قفص الاتهام) وفي اللحظة المناسبة ستكون سببا رئيسيا لتدميرها وتدمير إنجازات شعبه باستثناء (صنعة الغرب إسرائيل) التي أعطيت امتيازات التسليح بصورة كبيرة بدون أية حدود مما سيجعلها في المستقبل نداءً لما صنعوه، وبطبيعة الحال سيكون على حساب المنطقة.

رابعاً: إن العالم الإسلامي بحاجة ماسة إلى تطوير نفسه، ووضع الخطط اللازمة للنهوض بالتعليم والصحة والصناعة لرفع المعاناة التي يعيشها أبناؤه لتوفير الغذاء والدواء والتعليم.

خامساً: إن امتلاك القوة ضروري وواجب، ولكن ليست بالحجم الذي تذيعه وكالات الأنباء، فالخليج اليوم عادت مياهه هادئة ودعونا نتفرغ للبناء بدلاً من تشتيت هذه الثروات، وأمنية كل إنسان مسلم مخلص أن يجلس رؤساء دول المنطقة على مائدة واحدة ونحدث بلغة دبلوماسية ونخرج للعالم نقول له إننا لم نفشل ولم نتحد ولكننا اتفقنا على النقاط الآتية... واختلفنا في النقاط التالية... سيقف العالم احتراماً وإجلالاً لنا.

سادساً: الخليج به حوالي ٦٠٪ من الاحتياطي العالمي للبترو، ولن يسمح لأي قوة أخرى أن تتحكم به وتوقف إنتاجه، لأنه المصدر الرئيسي لإمداد العالم بالطاقة، ولعلنا نذكر كلمات (هنري كيسنجر) في أعقاب حرب ١٩٧٣ بأنهم «أي الغرب» لن يسمحوا بتدمير الحضارة العالمية بوقف ضخ الطاقة إليه، هل هذا كاف أم أننا نحتاج إلى المزيد حتى نعي الدروس؟

سابعاً: نقطة أخيرة: إن الإسلام مستهدف وأن بعض ما يحدث الآن في العالم من اضطرابات ينسب إلى إيران، وقد تكون مناسبة لهم أن يؤخذ بالثأر.. هل نعطيهم السيف والسلاح والفرصة لقتلنا وتدمير إنجازاتنا الحضارية ونعود لنلحق جراحنا.

هذه هي الصعوبات السكانية والمكانية والجغرافية التي تواجه الكويت، فكيف يمكن التعايش في سلام وأمان، ولها هذه الخصائص وجيرانها لهم تلك المقومات، وقبل أن نتطرق لبقية الصعوبات سأكتفي في هذه المقالة بالحديث عن إيران.

ماذا نريد وماذا يريدون؟

والسؤال الذي أطرحه: ماذا نريد من إيران وماذا تريد منا إيران؟

في البداية أحب أن أقرر أن المسؤولين في إيران لا يتركون أي مناسبة ولا واردة ولا شاردة إلا ويؤكدون حرصهم على أمن الخليج واستقراره وسلامته، إلا أن ذلك الكلام يبقى نظرياً، فالأحداث من حولنا لا تدل على ذلك، فرغم ترحيب الخليج وأهله بالثورة الإيرانية عندما قامت ضد الظلم والطغيان، وأن منطقة الخليج سوف تشهد ازدهاراً إسلامياً ينعكس على أهلها، استبشروا خيراً بأن إيران المسلمة ستخلى عن أطماع الشاه السابق، وتعلن حسن النية مع جيرانها بالتخلي عن جزر الإمارات العربية (طنب)

الكبرى وطنب الصغرى) إلا أنها أقدمت على خطوة رسخت المقولات الشائعة بأن إيران تسعى للهيمنة على الخليج مرة أخرى بعد اندحار العراق واختفاء قوته، وشتات القوى العربية؛ فأقدمت مؤخرا على احتلالها للجزيرة الثالثة (أبو موسى).

هل نصدق الأقوال أو الأفعال؟

إذن كيف السبيل إلى مستقبل هادئ للكويت ودول المنطقة جميعا بما فيها إيران:

الجميع على ثقة تامة بحقيقة أن إيران جزء من الخليج جغرافيا واقتصاديا وسياسيا وأمنيا والتعايش السلمي مع بعضنا البعض أمر حتمي، لذلك فإن أية حسابات في المنطقة يجب أن تأخذ ذلك بعين الاعتبار دون حساسية من جانبنا ولا من جانبها.

ولذلك فإننا في الخليج مطالبون بضرورة التعايش مع إيران، وأن يكون هناك تفاهم وود قائم على الاحترام المتبادل، خاصة أن الجار الشمالي لن يكف عن محاولاته في التقرب إليها لكسب ودها وصدقتها.

وأعتقد بأن الكويت هي أكثر دول الخليج المهيأة لهذا العمل؛ لأنها قاست من الحرب وذقت مرارتها وأهوالها ووعت الدرس تماما الآن، بأن دورها يجب أن يكون رأس حربة لاخترق الحواجز النفسية والسياسية في العلاقة مع إيران ومع دول المنطقة. علينا أن نضع إيران أمام مسؤولياتها لتحديد مواقفها منا وإثبات أننا راغبون في التفاهم والتعايش معها، والعمل الجماعي لمصلحة الخليج، ويجب أن نتعلم جميعا بأن هذا التفاهم هو الإطار الرئيسي للتحرك، وأن الاختلاف لا يفسد للود قضية، والاختلاف يجب ألا يؤدي إلى لغة المدافع. وإذا كان الخليج يسعى إلى تأمين نفسه

عسكرياً فلن يكون هذا موجهاً ضد إيران بل العكس هو الصحيح إن دول الخليج كلما كانت آمنة ومستقرة فإن ذلك سينعكس على أمن إيران. . إن دول الخليج لم ولن تسعى إلى زعزعة استقرار إيران، وأيضاً يجب أن يكون نفس الهدف لدى الإخوة في إيران، عدم السعي في التدخل في الشؤون الداخلية لدول الخليج، وأن عصر الهيمنة السابقة لن يقره العالم أجمع نظراً لحساسية وأهمية وضع الخليج واحتوائه على احتياطي كبير للطاقة.

إن عزلة الخليج عن إيران ليس في صالح الخليج، وعزلة إيران عن الخليج لن يكون في صالح إيران؛ فلا مكان للصغار أمام عالم الكبار، والتكتلات العالمية التي ظهرت، فأمركا بقوتها وجبروتها العسكري والاقتصادي والسياسي سارعت بعقد اتفاقية تجارية مع كل من كندا والمكسيك أمام المارد الأوروبي، والنمور الآسيوية واليابان. هل من الممكن أن نكون متحضرين نتعلم من الغرب وأهله كيف نتعايش في سلام وأمان مع بعضنا البعض، ويجب أن يكون البقاء في النهاية لنا جميعاً. . إننا جميعاً أمام تحديات تاريخية ولن ترحمنا الأجيال القادمة وتغفر لنا إسرافنا في أمرنا.

إن مجالات التعاون بيننا كثيرة، الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعلمية وهذه كلها ليست بسيطة، بل هي الأساس الآن في تقدم أية أمة. هل من الممكن أن نتحد لننهض بأممتنا؟ والله العظيم يقول : «وإن هذه أممكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون» المؤمنون.

هل حسن النية متوفر لدينا جميعاً؟ هل من الممكن أن نمد أيدينا بالصفاء والثقة إلى بعضنا البعض؟

إن مقولة وجود القوات الأجنبية بالخليج ليس ذريعة للحصول على الصواريخ والغواصات النووية، فأهل الخليج ليسوا السبب وراء إحضار هذه القوات، بل السعي وراء الهيمنة من قبل العراق واحتواء الخليج كان هو

السبب الرئيسي.. فلم يكن أمام أهل الخليج من خيار إلا طلب النجدة والحماية.. هل كان في الخليج وبصورة خاصة في الكويت قوات أجنبية قبل الثاني من أغسطس المشؤوم؟ إذن استدعاء القوات الأجنبية في الخليج كان إنقاذاً للأرواح قبل أن يزهقها الظلم والطغيان، وليس موجهاً لإيران ولا لغير إيران.. علينا أن نستفيد منها لبث الطمأنينة لأهل الخليج ونثبت حسن النوايا ليوقع الجميع معاهدة عدم اعتداء.

ثم إذا كانت دول الخليج تسعى لإيجاد صيغة أمنية مع أشقائها العرب، فلن تكون حلفاً ضد إيران بل على العكس ستكون قوة أخرى تساند إيران في سلمها وعسرتها وطلب نجاتها كما كانت إيران ساعة عسرتنا.

وعلى مر التاريخ حاول الاستعمار وأعداء الإسلام ألا يتلاقى مسلمو الفرس مع مسلمي العرب لأن تلاقيهم قوة للإسلام وضعف لهم، وفي نظرهم يجب أن يكون العكس أن يضعف الإسلام لتزداد قوتهم. فهل نحن ما زلنا في دائرة الخلاف والاختلاف والشقاق نعطي لهذه القوة الخفية فرصة العمر مرات ومرات ونصحو بعد فوات الأوان؟!!

واليوم خرج زعماء دول مجلس التعاون ببيانهم الختامي وفيه مطلب بسيط إلى إيران أن تكف عن التدخل في الشؤون الداخلية لدول المنطقة.. ولكن تسرع وكالات الأنباء لتذيع تعليقا لطهران يصف البيان بأنه غير مسؤول وغير ذي جدوى..!!

إن الغرب والشرق سعيدان وسيحتفلان اليوم وغدا ويشربان نخب الخلاف والشقاق بين المسلمين ونحن من حولهما في سكرة من أمرنا.. فماذا نحن فاعلون يا قوم؟! (اللهم اهدنا إلى ما تحبه وترضاه) «ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا إنك أنت الوهاب».



في الهموم الكويتية الخليجية العربية (٢ من ٣)*

في المقالة السابقة طرحت سؤالاً هاماً. هو كيف يمكن ضمان عدم تكرار ما حدث للكويت مستقبلاً؟ وتعرضت للصعوبات التي تواجه متخذي القرار من صعوبات مكانية وسكانية وجغرافية. وتعرضت بشيء من الإسهاب، وليس الإسهاب كله لجارتنا الشقيقة المسلمة إيران، وحاولت الإجابة على سؤال ماذا نريد من إيران وماذا تريد إيران منا؟ وأعتقد بأن هذا الموضوع من الحيوية بمكان أنني أعود إليه مرة ثانية.

واليوم أظرح الخيارات والبدائل التي اختارتها الكويت وما يمكن أن تختاره مستقبلاً.

الخيار الأول: الوحدة العربية، وهذه سقطت منذ اللحظة الأولى للغزو حيث تشتت الرفاق وانقسموا بين مؤيد للغزو ورافض له ومحجم عن إبداء رأيه. ورغم المرارة الكبيرة التي ابتلعناها وعدم إيماني بمقولة (عفا الله عما سلف)، لكن يبقى أمران هامين: الأول - يقع على جامعة الدول العربية بأن عليها واجباً كبيراً وعبئاً ثقيلاً في تطوير ميثاقها ليتلاءم مع ما حدث بعد غزو الكويت. لقد كانت هناك حرمانات بين الدول العربية بعضها البعض لكنها

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٣/١/٣.

ضاعت وانتهكت، فما موقف الجامعة من ذلك؟ بل إنني أستطيع أن أؤكد بأن جميع قوانينها تحتاج إلى إعادة صياغة، وإن كنت أشك في إمكانية عمل أي شيء مثمر هذه الأيام أمام الضياع الذي تعيشه الأمة العربية لكن الواجب يحتم علينا إجراء المحاولة.

الأمر الثاني، أننا يجب أن نكون فريق عمل دبلوماسي كويتي رفيع المستوى للتعرف على الأسباب التي أدت بالدول العربية التي ساندت العراق موقفها هذا من الكويت، خاصة إن هذه الدول كانت تحظى بالكثير من الدعم والصدقة والرعاية من الكويت وأهلها، ويجب ألا نترك الأمر هكذا، قد تكون هناك أخطاء ولم ننتبه إليها، ورغم أن البعض يعزو هذا إلى أنها مواقف القيادات في تلك الدول دون الشعوب لكنني أستطيع أن أؤكد أن شعوب هذه الدول ما لم يساند منها حكامها، فإنها وقفت موقف الشماتة والاستحسان من الغزو، ولا يثينا هذا عن التعلم من أخطائنا حتى لا نتكرر سواء مع هذه الدول أو الدول الصديقة الأخرى.

الخيار الثاني: ظهر أثناء الإعداد لمعركة التحرير، وكان حتمياً أمام الضياع العربي فتمت المشاورات بين دول مجلس التعاون الخليجي من جهة والشقيقتين العربيتين، مصر وسوريا، بعد أن أعلننا موقفهما الصلب والواضح من الغزو العراقي، واستعدادهما لبذل أقصى جهديهما لتحرير الكويت، كانت الصيغة الجديدة في صورة (إعلان دمشق) بينوده المطورة إيذاناً بالدخول لعصر جديد للتعاون بين الدول العربية مع بعضهما البعض، وارتاحت جميع الدول الموقعة عليه، وانفقت على جميع بنوده وسارت عجلة التحرير، وتطورت المفاهيم إلى صيغة أخرى، وأظهرت بعض الدول تحفظات على بعض البنود وتعثرت تنفيذ اتفاق (إعلان دمشق) طوال الفترة الماضية وجاءت تصريحات وزير خارجية مصر بأن إعلان دمشق يترنح، ثم أعلن وزير الإعلام السوري وفاته،

وقبل أن أناقش إعلان دمشق لي ملاحظة عابرة، أعتقد بأن طريقة مناقشاتنا لأمرنا كعرب تحتاج إلى الكثير من التعديل، فبدلاً من الرفض الكلي أو القبول الكلي، فإن هذا الأسلوب أصبح غير مقبول، بل علينا المصارحة وقبول ما يمكن الاتفاق عليه وإعلانه رسمياً، وفي نفس الوقت إعلان ما اختلف عليه وتأجيله للدراسة، ووضع حلول أو صيغ تقرب ما اختلف فيه تتناسب مع الجميع، وبهذه الطريقة سيعرف المواطن ما يجري من أمور خلف الأبواب المغلقة بدلاً من تركه فريسة للقيل والقال وكثرة السؤال، وهذه هي السياسة الصريحة والمعلنة والعملية بدلاً من كلمات المجاملة وتقبيل الخشوم وترك النار تحت الرماد حتى تنفجر.

إعلان دمشق قوة إضافية

لو طرح (إعلان دمشق) بالطريقة السابقة سيظهر بصورة جديدة تتلاءم مع الجميع ويتناسب مع مصالحها، حتى إذا لم توافق عليه إحدى الدول لأسباب خاصة بها فلا يجب أن يكون ذلك سبباً في إلغائه؛ لأننا في عصر التجمعات الكبيرة، ولا مكان للصغار فيه، ولذلك فإن الجميع سيسعى للانضمام إليه، وبالتالي فإن (إعلان دمشق) قوة إضافية ودعم لأمن الخليج.

ولو أن بعض الزملاء يرى غير ذلك بحجة أنه طالما وقعنا اتفاقيات أمنية مع (الثلاثة الكبار) والبقية تأتي، فلا داعي للسير في (إعلان دمشق) إلا أنني أعتقد بأن هذه الاتفاقية غير كافية، وإن (إعلان دمشق) سيكون متمماً للأسباب الآتية:

١ - إن قوة الخليج من قوة مصر وسوريا وقوتها من قوة الخليج وهما عمقان إستراتيجيان لدول الخليج لما يمثلانه من ثقل اقتصادي وسكاني وسياسي وعسكري وجغرافي.

٢ - إن مجنون بغداد أراد قبل الغزو أن يستغل مصر لصالحه أو على الأقل سعى إلى تحييدها بضمها إلى (الاتحاد العربي) لعلمه الكامل بأن مصر تمثل ثقلًا هاماً، ومفتاحاً ضرورياً للحرب والسلام بمنطقة الخليج، وقد بذل طاغية بغداد جهداً جباراً ومكثفاً أثناء الغزو لمحاولة تحييدها إن لم يمكن ضم مصر إليه، ولكنه فشل في ذلك وكذلك خاطب ود سوريا حكاماً وشعباً.

٣ - إن وقفة مصر كانت ضرورية بل حيوية لإنجاح تحرير الكويت، فقناة السويس لعبت دوراً خطيراً في هذا الموضوع، وحاولت بغداد إغلاقها أكثر من مرة بإرسالها بواخر ضخمة تحمل كميات كبيرة من الإسمنت؛ لإغراقها في عرض القناة لوقف عبور حاملات الطائرات التي كان لها دور كبير في التحرير، وأيضاً قاموا ببيث الألغام في الممرات المائية لعرقلة الإبحار بها.

٤ - لقد تحملت الشقيقتان الكثير من الأعباء المالية والخسائر كنتيجة مباشرة لحرب الخليج، فتوقفت حركة الملاحة وانحسرت السياحة، وتوقف تحويلات العاملين بالخليج، وواجه مواطنو الدولتين وضعاً مأساوياً لإعادة أبنائهما من برائن جنود الاحتلال، إضافة إلى ذلك الركود الاقتصادي الذي أصاب اقتصادهما نتيجة عودة أبنائهما من دول الخليج، ووقف تصدير إنتاجهما لدول العالم عامة ودول الخليج خاصة.

٥ - أثناء الغزو كانت مصر تتفاوض مع البنك الدولي لجدولة الديون، وكانت تمر بضائقة خانقة كادت تؤدي إلى انفجارات اجتماعية خطيرة، وبرغم هذا لم نتلق من أي مسؤول اجتمعنا معه أو قابلناه طلباً بالتصريح أو التلميح عن الوضع الاقتصادي في مصر وما يهدد ذلك، إلى أن

اجتمعت دول الخليج وقررت التنازل عن ديونها لمصر وسوريا، وكانت هذه بادزة من دول الخليج ليست بناء على طلب أي منهما. وهذا بطبيعة الحال هو الأسلوب الذي يجب أن يسود في العلاقات بين دول (ميثاق دمشق).

٦ - في أثناء الغزو حاولت أبواق دعاية بغداد ونعلم جميعاً كيف كانت تنفق هذه الأجهزة بسخاء كبير جداً محاولة إغراء البعض بالانضمام إلى المسيرة، ورغم ذلك فلم نلق من المسؤولين الحكوميين وشعب الدولتين إلا القليل القليل من فئة أطلقت على نفسها بالمعارضة المصرية السورية.

٧ - أثناء الغزو فتحت الدولتان أبوابهما الإعلامية والتعليمية والعسكرية والصحية وغير ذلك لأبناء وطننا الحبيب دون تحفظ أو مغالاة ولكن بكل الحب والتقدير.

٨ - كانت الدبلوماسية المصرية والسورية سندا قويا في كل المحافل الدولية للقضية الكويتية.

٩ - لم تبخل الدولتان بأبنائهما للدخول مع قوات التحالف، وأرسلتا قوة كبيرة الحجم، وعلى أعلى المستويات التدريبية والكفاءة القتالية في ميدان المعركة وكانت كما وصفها الجنرال (شوارسكوف) عند حسن ظن الجميع من الكفاءة والتدريب، خاصة أنهما اختصا بمنطقة وعرة احتاجت إلى تدريب خاص، وامتزج الدم المصري مع الكويتي لتحرير الكويت كما امتزج سابقاً على شاطئ قناة السويس والجولان.

١٠ - إن أبواق بغداد اليوم تصرف الملايين موجهة إلى شعبي مصر وسوريا، وتقول لهم الكثير عن أهل الخليج «بأنهم ليسوا أهل وفاء، فعندما كانوا في الورطة طلبوا النجدة، أما اليوم فأداروا لكم ظهر المجن. وبأنهم

ليسوا أهل نخوة، فاقتصادكم يتردى يوماً بعد يوم وهم في غيهم يعمهون. إن المليارات الخليجية تنفق على اللهو والملاهي الليلية وشعبكم لا يجد كسرة الخبز.. وإنهم مستعدون لدفع المليارات وتوقيع الاتفاقيات مع الغرب والشرق، أما أنتم فالفتات لكم لتعيشوا دائماً على مائدة اللثام لتسألوا إلحافاً.. والكثير.. الكثير. لقد اشتروا عدداً من الأقلام الرخيصة وبدأت تلقى هذه الدعاوى آذاناً صاغية من فئات الشعبين العربيين، ولعلي لا أدعي بأن هناك في الرأي العام المصري والسوري نتيجة لأخطاء البعض، وإن لم نسارع نحن لرأب الصدع سنجني ثماراً مرة؛ لأن الثقة بدأت تهتز والمصدقية تفتقد في كثير من المحافل بين هاتين الدولتين وبين دول الخليج.

مقترحات

الأمر جدٌ خطير، ويجب أن نأخذ الأمور مأخذ الجد وأن نحاول دون ملل أو كلل أن نعيد خطوط الاتصال، ولعلي أقدم بعض الاقتراحات:

١ - إن الترابط بين الشقيقتين يجب أن يكون عملاً إستراتيجياً وغير مرتبط بحدث أو أحداث في مصر وسوريا.

٢ - إن صندوق التنمية الخليجي ضاع كما يبدو وسط الزحام ولم يعرف طريقة إلى توفير الإمكانيات الاقتصادية للدولتين. بل اكتفى بما تقدمه كل دولة من دول الخليج للشقيقتين.

٣ - إن الاقتصاد هو عصب الحياة، ومردوده سيشعر به المواطن في كلا الوطنين، ولذلك يجب التركيز على هذا الجانب بدعم المشاريع الاقتصادية فيهما، وبصورة سريعة قبل أن يتمكن الإعلام المعادي من الترسخ في قلوب وعقول أبنائهما لأن استقرارهما استقرار للخليج وأهله.

٤ - تحديث التعليم في هذين القطرين ، وتتمنى أن يكون الجندي المصري والسوري والمدرس والطبيب والصانع كلهم على مستوى ممتاز من استيعابه للتقنية، وهذا هو أهم استثمار للوطن العربي فمهما حدثت خلافات بين الحكومات سيبقى المواطن هو حجر الزاوية ويستطيع أن يميز بين الغث والسمين، (وبين الرخيص والثمين) ..

٥ - تدعيم الاتصالات والمواصلات بين هذه الأقطار ليزداد التقارب بين أقطار هذه البلاد مع دول الخليج .

٦ - الجيش العربي المصري - السوري في الخليج هو خط الدفاع الأول - كان وسيظل - لحماية العرب ولحماية الخليج، ويجب أن يكون معلوما لإيران بأن هذه القوة ليست موجهة لها ولا ضدها، ولن تتدخل في شؤونها الداخلية أو الخارجية، بل هي إضافة إلى قوتها رغم التصريحات المؤسفة للرئيس (رافسنجاني) بأن «على الخليج وأهله أن يسبحوا في بحار من الدماء؛ ليصلوا إلى جزرهم..» هل هذا معقول؟! أكاد أرى النهاية المحتومة للخليج وتحويله إلى ثكنة غربية لرجاله وسلاحه وعتاده، ونحن شعوب المنطقة سندفع الثمن غاليا وهم يجرون إيران كما جروا الاتحاد السوفياتي بقوته وجبروته لسباق التسلح على حساب التنمية، وكانت النتيجة أن أعلن الاتحاد السوفياتي إفلاسه، وأصبح يعيش الآن على تلقي المعونات...

أرجو من الإخوة في إيران أن يفوتوا الفرصة على الحاقدين على الإسلام والمسلمين ونكون جديرين بما قاله رسول الله ﷺ في وصف المؤمن بأنه «كيس فطن» و«المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه» و«أوصاني جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» ..

إن رأس الفتنة يُطل علينا فاقبلوها يرحمكم الله، بدل الدخول إلى منزلق ضيق مظلم لانعرف له نهاية ولا مصيراً.

وفي النهاية أقول بأن إعادة إحياء (إعلان دمشق) ضرورة حيوية للدول الموقعة عليه، وبعد إستراتيجي للدول العربية، وصورة جديدة للعمل الجاد المخلص بما يتوافق ومقتضيات العصر.

وفي المقالة القادمة سأكتب عن الخيار الثالث وهو الكويت والغرب الذي فرض نفسه على الكويت والخليج، من أوسع الأبواب ومن حيث لا يدرون.

ندعو الله عز وجل أن يهدينا إلى ما يحبه ويرضاه. وأن يحفظ أمتنا ويرعاها.

في الهموم الكويتية الخليجية العربية « ٣ من ٣ » (*)



في المقاتلين السابقين تعرضت للمصاعب التي يواجهها صانعو القرارات الكويتية وعلاقتنا مع إيران، وأيضاً تحدثت عن إعلان دمشق هل هو قرار ظالم أم مظلوم!؟

وفي هذه المقالة سأتحدث عن الخيار الثالث: وهو العلاقات الكويتية الغربية.. وقد فرضت علينا فرضاً وكانت مسألة حياة أو موت، بل أقول بأنها كانت إنقاذاً لأرواح كاد يزهقها الاحتلال العراقي الغاشم الذي فرض علينا أموراً كنا دائماً نسعى أن نعيش بعيداً عنها، ولكننا وجدنا أنفسنا مدفوعين في طريق واحد وذو اتجاه واحد وهو ضرورة توقيع اتفاقية أمنية مع أميركا وإنجلترا وفرنسا وحسبما أعلنه وزير الدفاع الكويتي هناك تفكير لتوقيع اتفاقيات مماثلة مع كل من روسيا والصين.

ولن أتحدث عن الجهد الكبير والضخم الذي بذلته دول التحالف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية على جميع الأصعدة السياسية والعسكرية والإعلامية لتحرير الكويت، وهذا فضل لن ننساه وسيدكره التاريخ والأجيال القادمة مهما قيل عن الأسباب والمسببات، وتوضيحاً لبعض الأفلام وبعض

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٣/١/٢٤

الدول الإسلامية والعربية وغيرهم ممن انبروا لموضوع جلب القوات الأجنبية إلى مياه الخليج، ولن أطيل فيها فقد سبقني إخوة أعزاء وكتبوا فيها، لكن أعود لما قبل الثاني من أغسطس المشؤوم وأسأل الجميع هل طلبنا مثل هذه القوات رغم التهديدات من الجيران الأعزاء؟ بل إننا كنا نبالغ في رفض مثل هذا التفكير ونعيب على دول كبرى في المنطقة وقعت اتفاقيات صداقة سواء مع الاتحاد السوفياتي السابق، أو مع أميركا، وكنا نشجب وننظر بعين ناقدة إلى إخواننا الذين يقومون بمثل هذه الأعمال. والآن فإن حجم التبادل التجاري بين الغرب وإيران يفوق حجمه مع دول الخليج، واليوم: من اضطرنا لجلب هذه القوات - أصدقاء أمس - والخليج اليوم مدعو قبل الغد بأن يحمي نفسه أمام بحار الدماء التي يجب أن نسبح فيها حتى نصل إلى حقوقنا..!! هل نتظر حتى تتكرر المأساة مرة ثانية ثم ندعوهم ليخلصونا من بين أنياب الأسد؟ أم نأخذ الحيطة والحذر، ونأخذ الأمور مأخذ الجد، وكل كلمة تقال يجب ألا تمر مرور الكرام بل علينا أن نحللها ونضع لها الاحتمالات حتى لانفاجأ بالأحداث!!.

إذا كان البعض يتخذ من وجود هذه القوات ذريعة لشن حرب على دول الخليج فإنه يدفع نفسه إلى المصيدة ويخطيء خطأ فادحاً؛ فلن يسمح الغرب بأن يتحول الخليج إلى مناطق لهيمنة الآخرين مهما كلفهم ذلك.. ولكن كما يبدو يمكننا أن نقدم لهم الأسباب لكي تترسخ أقدامهم وقواتهم في الخليج على طبق من ذهب. هل هي لعنة وغضب من الله على المسلمين أم ماذا؟! ماذا كان ينتظر الإخوان والأصدقاء من أهل الخليج هل كانوا ينتظرون أن تقدم لهم رقابنا وأموالنا ونساؤنا حرثا لهم رهن إشارتهم إرضاء لطغيانهم.. إنني أدعو الله أن يلهمنا البصيرة وطريق الحق لتتبعه بدلا من حمامات الدماء التي يمكن أن تغرق فيها.

هذه هي الأسباب التي دعت الخليج وأهله أن يترقبوا أبواب الغرب، وهي ليست خافية على أحد وليست جديدة ولكن لاداعي أن نكابر وأن نتخذ من ذلك شماعة نعلق خطايانا القادمة عليها.

ماذا نريد من الحلفاء؟

وننتقل إلى نقطة هامة، ماذا نريد من الحلفاء أميركا وإنجلترا وفرنسا؟ نحن نعلم نواياكم ومقدار ما تكبذتموه من أهوال ومشاق ومدى الجهد الضخم والتضحيات الكبيرة التي بذلتموها في جميع المجالات العسكرية والإعلامية والسياسية والاقتصادية والإنسانية وأعطيتم هذا الطاغية الفرصة تلو الفرصة، ولكن سكرة الغرور لعبت برأسه وأعمته عن الطريق الصحيح.

والجميع دون استثناء شاكرون لكم مقدرين كل هذه التضحيات.

نحن نعلم بأن العلاقات بين الدول تقوم على دعامين: الصداقات وهي ليست دائماً والمصالح المشتركة وهي التي يجب أن نرسخها لتدوم الصداقات برغم عدم وجود صداقات دائمة ولا خصومات دائمة.

وطاغية بغداد وزمرته لا يملون طرق هذه الأبواب وإني أتوقع أن يقوم بعد تولي (الرئيس بيل كلينتون) بالإفراج عن بعض أسرانا كبادرة حسن نية دفعاً للإدارة الأميركية الجديدة لإعادة حساباتها، أيضاً هو لا يكف عن إرساله مبعوثيه وأصدقاءه إلى الإدارة الجديدة متعهداً بتقديم فروض الولاء والطاعة في سبيل كسر طوق الحصار والتقرب إليهم مرة أخرى لإقامة مصالح بينهم وبين العراق، إن الاقتصاد والتنمية هي المجالات التي يتنافس فيها الشرق والغرب، وثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن صناعة القنابل الذرية والصواريخ ذات الرؤوس النووية ليست أهم من صنع رغيف الخبز وتقديم الرفاهية للإنسان.

مجالات لتوثيق العلاقات

لذلك فإنني أقترح على الكويت ودول الخليج أن تسعى لتوطيد عرى المصالح بينها وبين دول التحالف الغربي فإذا أردنا أن نسير سير الشركاء لا التابعين فإنني أقترح أن توثق علاقتنا في المجالات الآتية:

١ - **المجالات الاقتصادية:** يجب الاستفادة من بترول الخليج بنقل التكنولوجيا الحديثة إلى أرض الخليج خاصة في مجالات تصنيع البترول والزراعة واستصلاح الأراضي وإنشاء مؤسسات مالية واقتصادية في المواد الغذائية والصناعات الإلكترونية وغيرها من المجالات التي تهتم الخليج وأهله وتعتبر صناعة استراتيجية أثناء السلم والحرب. ويجب أن يعلم الغرب أننا شركاء في المصير الواحد وإن ربطاً اقتصادياً أصبح مصيرياً، ويجب أن نعطي الحق لدخول أسواقهم كما نعطيهم الحق في الاستفادة من خيراتنا، ويجب عليهم عدم وضع العراقيل للاستفادة من الأسواق الأوروبية الغربية والشرقية مادامنا أصبحنا شركاء. وهذا يتطلب أن تكون خططنا في الدول الخليجية وكلمتنا واحدة، وأن نسق سوياً بدلاً من أن نتنافس. وعلى الغرب أن يرفع حاجز الخوف منا ورد فعل البريطانيين عندما اشترينا جزءاً من شركة BP وإصدار قوانين ضد حصولنا على النصيب الأكبر يجب ألا يتكرر. فكلنا الآن أمام تحد واحد هو التنمية المستدامة، ويجب أن نطمئن الغرب منا حتى لا يستعمل (سلاح ضريبة الكربون) تحت ستار المحافظة على البيئة، ومساعدة الدول النامية في مجال التنمية من أجل تحجيم دور البترول العربي في التنمية الغربية. فليكن واضحاً أن تقدم وازدهار شعوب منطقتنا هو في صالح الدول الغربية، وتأخر هذه الشعوب وتبديد ثرواتها أو وضع العراقيل لنموها سيؤدي إلى إلحاق الضرر بالجميع، خاصة أننا أمام مرحلة التشكيك في النوايا.

٢ - المجالات السياسية: يجب توظيف الاقتصاد لخدمة السياسة في جميع المحافل الدولية والاستفادة من الحقوق الاقتصادية لدول الخليج في استعادة الحقوق العربية والإسلامية، والعمل بكل ما نملك لتوظيف هذه القوة الهائلة لخدمتنا وخدمة أمتنا ولا ندع القول القائل «دعونا وشأننا كفانا ما حدث لنا» لا يجب أن تكون هذه الصورة مترسخة في عقولنا، وقلوبنا بل علينا أن نستعيد توازننا وأماننا فرصة كبيرة لتوظيف مقدراتنا لخدمة مصالحنا. والغرب بدأ يعرف المأساة الحقيقية الشاغلة المستنزفة لثروات الدول العربية، ألا وهي قضية الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، فبدون إيجاد حل سلمي لهذه القضية سيشعر العرب بأن الدول الغربية لا تريد لنا البقاء وتريد لإسرائيل السيطرة حيث إنها كانت الأداة لسيطرة الغرب علينا. أما الآن فالأبواب مفتوحة والقلوب مفتوحة للتعاون العربي الغربي. ولذلك فالتخلص من هذه القضية المعيقة للتفاهم بيننا يجب أن تحل، ومؤتمر السلام ما هو إلا بداية الطريق وعسى أن تستمر الإدارة الأميركية الجديدة بالاستمرار بأخذ المبادرة وإجبار إسرائيل على التنازل وقبول السلام معنا مقابل الأرض، ودون ذلك لن تصفى النفوس العربية وستبقى جمرة الخلاف متقدة، وسيشتعل الخلاف في المستقبل عندما تهب رياح جديدة لا يوجهها التفاهم والتعاون والمشاركة بين الغرب والعرب حول موضوع المأساة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي لها.

٣ - المجالات التعليمية: إن اول التحالف الغربي في قمة الهرم التكنولوجي والعلمي وعلينا أن نستفيد من هذا التقدم وأن يكون هناك ترابط عضوي بين مؤسساتنا التعليمية والبحثية وبين هذه الدول، وتسخير هذه العلاقات بتخريج كفاءات علمية ممتازة نستطيع بها أن نواجه القرن الحادي والعشرين؛ لأن التعليم هو صمام الأمان لمستقبل هذا الوطن،

فكل شيء قد يزول وقد خضنا هذه التجربة فبين يوم وليلة حاول الطاغية إخفاء دولة الكويت، وكنت أرقب أبناءنا ذوي التحصيل العلمي لم يجدوا صعوبة في الالتحاق بالجامعات في مصر والإمارات والسعودية حتى جنيف ولندن. . أما هؤلاء الذين لا رصيد لهم سوى المال وجدوا أنفسهم حيارى وفي موقف صعب، إذن فالتعليم هو أمن الوطن والدعامة الكبيرة التي يجب أن نعتد عليها ويكون كل فرد من أبناء الكويت قوة إيمانية علمية متحركة لديه المقدره على استيعاب تكنولوجيا العصر يدافع عن أرضه ووطنه بإمكانات غير متوفرة للطغاة والطامعين .

وفي هذا المجال أيضاً علينا أن نتعاقد مع الغرب على إنشاء مراكز تدريب مستمرة على أعلى مستوى من الكفاءة والقدرة بها أحدث التكنولوجيا المتطورة؛ بحيث تقوم بتدريب أبنائنا من فترة لأخرى وإطلاعهم على أحدث إنجازات العلم قبل أن يفوتنا الجيل الخامس من الحاسب الآلي .

٤ - المجالات العسكرية: إن متطلباتنا واضحة وبسيطة وأنتم في الغرب قطعاً بحسب وضعنا في المنطقة ولديكم الآن الاحتمالات المتوقعة لغدر الغادرين، وأيضاً استعداداتهم وقوتهم وكل التفاصيل الممكنة في هذا الخصوص، والمفروض أن لدينا خيارات كثيرة هي الآن تحت أيدي أولى الأمر في الكويت، وبالتالي فإننا باختصار شديد فإن أولوياتنا تتمحور حول الإنسان الكويتي تعليماً واستيعاباً لأحدث أنواع التكنولوجيا وتدريباً بصورة مستمرة للتعرف على الجديد والحديث في مجال الأسلحة وهي كل يوم في شأن جديد .

الاهتمام بالإنسان

أي أن اهتمامنا يجب أن ينصب على الإنسان لكي يستطيع أن يطوع الآلة ويستخدمها الاستخدام الأمثل، وأذكر حرب ٧٣ غيرت المفاهيم العسكرية تماماً، فبعد أن كانت المدرعات هي سيدة المعركة هزمتها الإنسان البسيط الذي يحمل على كتفه صاروخاً مضاداً، وانحسر دورها في هذه المعركة في الأيام الأولى على الأقل.. أيضاً رغم بساطة سلاح الماء لفتح الثغرات في المانع الترابي، إلا أن الإنسان الذي استخدمه أحسن استخدامه وأعطاه النتيجة المطلوبة، أي أن الإنسان هو محور العملية التعليمية والتدريبية، وبعد ذلك يأتي السلاح الذي يمكن أن يطوعه لإرادته، المهم أن تبقى أرض وبحر وسماء الكويت تحت السيطرة والحماية. بعون الله وتوفيقه. ويقولون بأن عهد استعمال القوة في قهر الشعوب ونشر المبادئ قد انتهى، وأصبحنا ندق باب عصر جديد وهو عصر العالم الجديد. ماذا يعني هذا العصر، وما هي عناصر بقائه، وكيف يمكن أن نحول القوات العسكرية لفرض السلم تحت قيادة الأمم المتحدة، كما حدث في الصومال أو لتحرير المظلوم من بين مخالب الظالم، كما حدث في الكويت، كلها معطيات جديدة لم يستوعبها الإنسان حتى الآن. ولكن كل التوجهات والدلائل تدل على أن الإنسان بعد أن أصبح قادراً على تدمير الأرض التي يعيشها ألف مرة بما لديه من قوة تدميرية. فإنه عاد إلى رشده، ولعل هذا الرشد يستمر ويأتي اليوم الذي يكون الخلاف فيه بين الناس عن أحسن طريق للوصول إلى السلام بدلاً من الحرب والقتل والدمار.

وهذا العالم الجديد يجب أن يكون لنا مكان فيه، حتى يتحقق القضاء على أسلحة الدمار، وأن نتعرف على البناء وعزة الإنسان وكرامته، ونشر

رسالة الإسلام في السلام؛ لأن الإنسانية كلها في حاجة إلى رسالة السلام والطمأنينة والاستقرار.

فبدون قبول العيش بهذه الصورة لا يمكننا أن نعيش العالم، فهذه الرقعة من الأرض صغيرة جداً، والإنسان بطاقته الحديثة يجب أن يتحمل إعادة الاستقرار والطمأنينة لشعوبها، وأن يعيش الشرق مع الغرب والشمال مع الجنوب بهدف رخاء الإنسان وتقدمه وازدهاره. وتجربة الكويت المريرة من الاحتلال وتجاوب العالم بهذه الصورة الفريدة لفرض الحق والمبادئ، يجب أن توعينا جميعاً بأنه لا مكان لمروجي الهيمنة والسيطرة والحروب، ولا يمكن أن يستأثر أي فريق بحقه دون حقوق الآخرين، فبالسلام والمحبة ستمكن من العيش، ومن دون ذلك فستقع علينا لعنة الدمار والفناء، وعسى أن نعي الدروس قبل فوات الآوان.

لكن يبقى سؤال هام: من يدفع الثمن...؟؟ نحن أهل الخليج والعرب والمسلمون، فلو أنفقنا هذه الأموال على تحسين أحوال المسلمين لن يبقى جائع ولا مريض ولا جاهل في ديار الإسلام، ولكن الديكتاتورية تحت أسماء كثيرة، وزمرة الشر الذين يسولون له سوء عمله، والغباء وما يحتويه قاموس اللغة من ألفاظ، هي السبب وراء ذلك، وأدعو الله ألا يكون المستقبل كذلك.

ورغم تكاليف هذا الخيار الباهظة مالياً ونفسياً واجتماعياً واقتصادياً إلا أنه قدر محتوم علينا في الكويت وأهل الخليج، ويبقى أملاً يبعث في نفوسنا الأمن والطمأنينة.



عواصف التغيير تهب على الخليج

العواصف والأعاصير قادمة .. فلنحدد
شواطئ الرسو قبل أن تتحطم سفينة الخليج

في البداية أحب أن أعتذر عن عدم كتابة مقالتي الأسبوعي «كل أحد» بسبب انشغالي وتواجدي خارج الكويت الحبيبة، واليوم والأحداث تتسارع أعود لأكتب هذه المقالة لألتقي معك أخي المواطن نتبادل الرأي والمشورة.

وقد كانت السرعة الكبيرة التي تمر بها الأحداث دافعاً كبيراً للتفاعل معها لدرجة أنك إذا بدأت التفكير في حدث معين جذبتك أحداث أخرى، المهم أن نرتب أولوياتنا، وبمناسبة الأولويات سعدت كثيراً بحدثين هامين حدثا بالكويت: الأول عقد ندوة بأحد الفنادق عن «الكويت والسياسة الخارجية» رعتها القبس، وأيضاً شاركت بحضور الاجتماع الأسبوعي لديوانية نواب الضاحية وتركزت حول السياسة الخارجية والنفطية.

وسعدت كثيراً أن سياستنا الخارجية والإعلامية احتلت نصيباً من تفكيرنا على المستوى الشعبي دون بقية الهموم؛ حتى يمكن أن نتبين الخطأ

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٣/٢/٢١

لأنها هي بوصلة الكويت والتي يمكن أن تسير بها وسط الخليجان والصخور بأمان وثقة .

وبادىء ذي بدء، ومنذ الغزو الغادر على الكويت، وطاغية بغداد وزمرته يراهنون على عامل الزمن... إما أن تضيع القضية في زوايا النسيان... أو تتحول القضية إلى قضية مساومات تضيع فيها الحقوق، أو أن يمل العالم القضية ويتحول تدريجياً في صف الأقوى والأكثر صلابة، ولعلي أذكر بأن القضية الفلسطينية وما حدث ويحدث فيها كانت ماثلة أمام هذا المقامر، ولو رجعنا إلى الوراء قليلاً لتذكرنا كل هذه المواقف، وقد حاولت في جميع كتاباتي أن أثير الانتباه إلى هذه النقطة الجوهرية بأن عامل الوقت لن يكون في صالحنا إن لم نستغل الفرص المواتية أحسن استغلال لحساب قضيتنا، ولكننا مع الأسف شغلنا آلامنا الداخلية ومعالجتنا التي لم تنته بعد بين مزايدات البعض ومبالغة الآخرين، أيضاً تصورنا خطأ أن الغرب كاف لحمايتنا وتراجعنا كثيراً عن أصدقائنا، ولعل تصريح الجنرال (هور) في مصر من أن الولايات المتحدة ستقوم بتخفيض حاد في ميزانية دفاعها هو خير دليل على ذلك، بل إن كثيراً من الأصوات الجادة تدعو إلى الانكفاء الذاتي على النفس، والاكتماء بمعاهدة حسن الجوار الخليجي، وهذه في ظني هي من أخطر الدعاوي التي تواجهنا اليوم، فالكويت بحكم موقعها الجغرافي وقله سكانها وثروتها النفطية لا تستطيع أن تحمي نفسها، ولا أن تقيم علاقات منفردة، بل إنني أؤكد بأنها مطمع للجميع، ودرس الغزو خير شاهد على ذلك؛ فبدون علاقات طيبة وقوية متميزة مع جميع دول العالم ما كانت هذه الوقفة الربانية لتحرير الكويت، وهذا هو كما يقولون «مربط الفرس» بأن حماية الكويت لن تأتي إلا بسياسة خارجية وإعلامية ممتازة، وعلاقات وطيدة مع جميع الدول، وهنا يأتي كيف نوظف هذه العلاقات لصالح الكويت.

إعلان دمشق

قضيتان حدثتا في الفترة الأخيرة لهما دلالات هامة الأولى، الحركة السياسية النشطة التي جرت على أعلى المستويات في منطقة الشرق الأوسط، وكانت القاهرة مركز الالتقاء والمشاورات، لكن أخطرها التصاريح التي تطرق إليها كل من (الرئيس حافظ الأسد والرئيس حسني مبارك) بعد اجتماعهما المفاجيء عن رأيهما في إعلان دمشق بأن الكرة في ملعب دول الخليج، ومع الرئيسين الحق كل الحق، فالمفروض أن نعرف ما الأسباب التي أدت حتى الآن إلى عرقلة تنفيذه وخروجه إلى حيز الوجود؟ خاصة وأن إشاعات كثيرة تقول بأن دولة كبيرة ستعلن إنهاء إعلان دمشق. وكما سبق وأن ذكرت في إحدى مقالاتي يجب علينا جميعاً في منطقة الخليج العربي أن نعي بأن الخسارة في المرة القادمة ستكون أشد وطأة علينا، وقد نخسر كل شيء، ويومها لن ينفع الندم، وأنا أستطيع أن أؤكد بل أجزم بأن هناك تحولا في موقف الشعب المصري وصحفه ولمزات وهمسات في الإدارة المصرية تجاه الخليج، ولا يمكن أن يلومهم أحد؛ فالمواقف منذ الأزمة حتى الآن تتناقض مع بعضها البعض، ونحن من حولها لاهون، المواطن الذي وقف معنا يريد أن نعيد إليه الثقة من أن كل كلمة قيلت أثناء الأزمة ملزمة لنا جميعاً، ولم تكن مجرد مواقف أملتها علينا الأزمة وانفض المولد من حولنا.

عودة إلى تصريح (الرئيس حسني مبارك) الذي قال «بأن هناك رسائل كثيرة تسلمها من القيادة العراقية وندرس الآن أين المصلحة؟ هل يستطيع أحد أن يلوم مصر؟ لا.. وألف لا!!! ولكن يجب أن نلوم أنفسنا»..

والمتتبع للأحداث العالمية يرى الآن الحركة السريعة التي يتحرك بها الجميع، نائب وزير خارجية روسيا في زيارة رسمية للعراق وكذلك (رمزي كلارك) المسؤول الأميركي السابق والمعروف بمواقفه المتعاطفة مع العراق

ولقائه ومباحثاته مع صدام، والإدارة الأميركية الجديدة بصدد توجهات جديدة تحيد عن الطريق الأمثل، وتراجعها عن وعودها أثناء الحملة الانتخابية تجاه (البوسنة والهرسك) يجب ألا يغيب عن بالنا.

الإدارة التركية تحث الإدارة الأميركية بتخفيف الحصار ورفع جزائيا عن العراق. فرنسا تطالب مجلس الأمن بتخفيف الحصار، ياسر عرفات بين القاهرة وبغداد وعمان - جامعة الدول العربية تسعى لإعادة التضامن العربي، وهذا من صميم مسؤولياتها وسبب استمرار بقائها - أين الخليج بصفة عامة؟ وأين الكويت بصفة خاصة؟ صاحبة القضية الرئيسية والخاسر الأكيد إن فاتها القطار؟!!

محاوور سياستنا الخارجية

وحتى أوجز فإنني أعتقد بأن محاوور سياستنا الخارجية يجب أن ترتكز على الآتي:

أولاً: الجبهة الداخلية فهي الحصن الحصين للكويت عليها أن تتماسك وتنحي الخلافات جانباً ولا تضع الكثير من الوقت في تافه الأمور والمعارك الجانبية والمهاترات الشخصية، إضافة إلى ذلك يجب أن يكون لدى كتابنا ومفكرينا الحصافة والكياسة عند التعرض لدول العالم، وأن نتعامل من منطلق أن بلدنا صغير في حجمه وفي قدراته، وإن خسارة صديق هو إضافة للعدو المتربص بنا.

ثانياً: على المستوى الخليجي تطوير العمل الخليجي وتسخير الآلة الخليجية من ثروات لخدمة قضاياها السياسية وتطوير العمل العسكري الخليجي، ليكون أداة فعالة في المستقبل القريب مهما كلفنا من ثمن مادي فهو قليل إذا ما قارناه بنتائجه الإيجابية أو السلبية.

تطوير الدور الإيراني والعلاقات معه ليكون معنا وليس ضدنا؛ لأنها جارة شقيقة للخليج العربي فلا بد من التعامل مع هذه الحقيقة، وهي ذات قوة استراتيجية لا يستهان بها، بشرط عدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل طرف.

أما عن العراق فإنه قادم لا محالة، وجار سوء ليس لنا فيه خيار، فعلينا أن نهيب أنفسنا لنوع من العلاقات بيننا «بين أهل العراق وآلة تحكم العراق» وألا نغفل ولو للحظة واحدة عن كل تحركاته وأحاديثه، وألا نحسن الظن به أو برجاله، وهذه هي الحقيقة المرة التي يجب أن نعرفها جيداً.

ثالثاً: على المستوى العربي فإنني أعتقد بأن (إعلان دمشق) هو الوسيلة والأداة الفعالة التي يجب أن نتمسك به ونظوره، ومن الغريب فإن الجهات المسؤولة تتحدث عنه مرة بالقدح وأخرى بالمدح، والمواطن العربي لا يعرف الكثير عنه لماذا لا يطرح الموضوع للنقاش وتتخذ فيه قراراً واضحاً بناء على رغبة شعبية سياسية؟ وتتصارع جميعاً بقلوب وعقول مفتوحة بدلاً من الشك والحيرة التي يعيشها المواطن العربي في كل مكان، والشائعات التي يروجها المغرضون حوله؟! هل سنتظر إلى أن تعلن مصر وسوريا إنهاء المشروع أم كما يشاع من أن الخليج يريد أن يدفن الإعلان دون ضجة...؟

رابعاً: عالمياً على المستوى السياسي لا بد من ترسيخ قواعد العلاقات السياسية والدبلوماسية بالعالم أجمع، إضافة إلى تدعيم العلاقات الثنائية مع الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا وفرنسا وروسيا.

بطبيعة الحال نقدر ما تقوم به الوفود من تحرك على مستوى المبعوثين إلى الدول المختلفة، هذا لا يكفي، فالتحرك يجب أن يكون على جميع المستويات وخاصة على المستويات الشعبية، مجلس الأمة يجب أن يبدأ بمد الجسور مع البرلمانات المختلفة في الدول التي نتوقع منها المساعدة بدلاً من

تشيت الجهود الحكومية والشعبية وهذه بطبيعة الحال الصورة الوحيدة التي تظهر الكويت بوحدة متماسكة وصلبة.

العواصف والأعاصير قادمة وقبل أن ينسكب اللبن ويفوت الوقت، وتنحطم سفينة الخليج نتيجة خطأ في بوصلتها وعدم مقدرتها على تحمل الأنواء، يجب علينا أن نتبين إلى أين تسير السفينة؟ وأين شواطئ رسوها واخلجان طرقها؟



الفراغ الأمني الخليجي*

الهاجس الأمني هو الشغل الشاغل الآن للعالم أجمع فلأول مرة يعيش العالم الآن تحت حضانة قوة واحدة بعد الحرب العالمية الثانية وهي مرحلة القلق والمخاض الجديد، والمتتبع للأحداث يزداد خوفاً يوماً بعد يوم على عالمنا الإسلامي والعربي والخليجي. والكويت هي جزء من الحلقات الثلاث، ما يصيب إحداها سينعكس عليها سلباً أو إيجاباً، ومن سخرية القدر أن يقع العالم الإسلامي في دائرة الدول النامية والتي تنبأ لها الرئيس نيكسون في كتابه «انتصار بلا حروب» بأنها ستكون مسرحاً للحرب الثالثة نظراً لثرائها بالمواد الخام ووفرة مائها وخصوبة أراضيها وكثرة أبنائها واستراتيجية جغرافيتها للسيطرة على مقاديرها.

لا أعرف هل هي مجرد صدفة أم تخطيط محكم بأن يعيش العالم اليوم هذه الفوضى خاصة العالم الإسلامي فالبوسنة والهرسك تنتهك الأعراض والحقوق فيها، وتسلب الأرض والديار والعالم أجمع مغمض عينيه وكأنه لا يراها، هذا العالم الذي سيحتفل بعد سبعة أعوام بدخول القرن الواحد والعشرين بعد أن حقق إنجازات لم تتمكن المسيرة البشرية من تحقيقها على مدى مسيرتها السابقة، والمفروض أنها جميعاً لإسعاد الإنسان، والإنسان وحده، لكنها وللأسف الشديد لطخت هذا الثوب الجميل والوجه

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ٢١/٣/١٩٩٣.

المشرق بالانتهاك الصارخ للإنسانية وللبشرية على رقعة بسيطة من أرض أعلن أهلها أكثر من مرة أنهم علمانيون وكل ذنبهم أنهم مسلمون وهم لا يعلمون عن الإسلام شيئاً. لكم سقطت كل المقولات أمام الهمجية والوحشية التي يعامل بها الإنسان على تلك الأرض وهي البوسنة والهرسك، الجميع دون استثناء يساهم في المذبحة بين مؤيد للموقف ومرسل للمرتزقة السلاح، ومغرقل لإصدار قرارات داخل أروقة مجلس الأمن، ومساهم في تقطيع أوصال البلد المسكين الذي لا مجير له ولا ملجأ له من الله إلا إليه، والشيء بالشيء يذكر لأن هذه المأساة دامية ومفجعة وحتى نرى كيف تعامل هذه القضية فقد حوكم جنديان صربيان كمجرمي حرب، واعترفا بأن كل واحد منهما اغتصب ست عشرة امرأة مسلمة بوسنية وبناء على تعليمات من قائده الصربي وقاما بذبح ثمانية مسلمين كذبح الشاة ومثلا الجريمة أمام القضاة وكل ذلك بناء على تعليمات من قيادته الصربية التي دربتهما على هذه الأعمال الوحشية لإنهاء الوجود الإسلامي، وإفناء المسلمين من البوسنة والهرسك. . لن أعلق سوى أنني سردت الوقائع والباقي لك أيها الأخ العزيز.

وإذا حدث حادث في أي مكان في العالم كان الاتهام الأول موجهاً لمسلم مسكين ضحية لهذه الأحداث، على المستوى العربي توتر بين مصر والسودان - مجاعة في الصومال - انهيار الاتحاد العربي وتجميد الاتحاد الغربي - ليبيا محاصرة - إلى غير ذلك من الأحداث المحزنة، على المستوى الخليجي توتر كامل بين العراق والكويت، وآخر بين إيران والإمارات والله أعلم بما يستجد على جميع الساحات. فتوقفت التنمية وبدأت رؤوس الأموال في الهرب وتسابق في المنطقة سباق محموم لامتلاك السلاح ووسائل التدمير، والذي سيكون فوق طاقة استيعاب هذه الدول ولكنها تحاول قدر استطاعتها امتلاك أكبر قدر من هذه الأسلحة لبث الطمأنينة في قلوب أهل الخليج، والسؤال المطروح أين الخليج من هذه الأحداث؟

كنا نتصور بعد أحداث الخليج وغزو الكويت بأن دول الخليج ستخرج
بإستراتيجية واضحة ومحددة تجاه هذا الموضوع ومع الأسف الشديد نجده يقدم
خطوة ويتراجع خطوتين حائراً لا يعرف في أي الطريق يسير؟ فبعد تحرير الكويت
كلفت قيادات الخليج السلطان قابوس بتقديم تصور لأمن الخليج، وتم تقديم
مشروع متكامل في هذا الصدد. مصيره الآن بين أدراج المكاتب ولم يحظ بالتأييد
أو الخروج إلى حيز الوجود. ما الأسباب وراء ذلك؟

نفس الشيء بالنسبة لإعلان دمشق ألحت عليه دول منطقة الخليج أثناء الغزو
العراقي للكويت وخرج إلى حيز الوجود إلا أنه تعثر هو الآخر وأصبح (يا فظة) يعلق
وقت الأزمات ويرفع إلى حيز الوجود.. البعض يقول إنه لم يناقش وغامض. إذا
كان الأمر كذلك فليناقش ويتخذ فيه قرار واضح.. البعض الآخر في دولتنا الحبيبة
نسي حجم الكويت وكيف تم الاجتياح وبصر على أننا دولة كبيرة العدد والعدة
والمساحة.. يجب ألا ننسى ولا يغيب عن بالنا حجمنا الحقيقي، ولا أنسى كلمة
أحد أعضاء وفد من وفود الكونغرس الأميركي عند زيارته للكويت بعد التحرير (بأن
العالم أجمع وقف معكم لتحرير أرضكم وهذه الوقفة لم تتكرر على مدى التاريخ
ولن تتكرر مرة أخرى إذا لم تستوعبوا الدرس جيداً، وكان وقتها بعض التصرفات
الهوجاء تحدثت على أرضنا).

دولتنا صغيرة ولا تحتمل الكثير مما يقال عنها خارج حدودها لا نريد
أن نعيش العزلة، نفرضها نحن بأنفسنا على وطننا. الخليج الآن يعاني من
فراغ أمني يغري الكثيرين بالمحاولات لملئته، البعض يتصور أن الملاذ
والملاجأ هو في اتفاقيات ثنائية بين الدول الكبرى، وهذه قد تسد فراغاً لوقت
مؤقت ولكنها ليست الحل المثالي، فالدولة القوية هي دائما التي تفرض
إستراتيجيتها على الدولة الضعيفة والمصلحة هي التي تحكم إستراتيجيات
وصداقات الدول الكبرى، فقد تكون إستراتيجيتها في هذه اللحظة هي

الاتفاق معنا ثم تغيير مصلحتها بعد ذلك إلى ما لانتحب الدول الصغيرة أو ترضاه لكنها مضطرة إلى الانقياد وابتلاع السم عن تراض بينهم، مثال على ذلك التوتر الموجود الآن بين أميركا من جهة وأوروبا من جهة أخرى بسبب اتفاقيات الجات ألم تكن أميركا حليفة ومازالت لأوروبا؟ ولكن أين مصلحة كل منهم؟ لذلك فإن البحث يجب أن يكون في اتجاه الدول التي مصالحها تتوافق مع مصالحنا وإستراتيجيتها نفس إستراتيجيتنا وبدون عناء كثير في البحث عن هذه الدول فهي محصورة في دائرتين:

الأولى: الخليج ودوله.

الثانية: المنطقة العربية وأقطارها.

فمصالح وإستراتيجيات هاتين الدائرتين تكاد تكون واحد، وحرب الخليج أثبتت ذلك وبالتالي فإن السعي إلى تدعيم التعاون والاتفاق بما يكفل مصلحة دول هاتين الدائرتين هما الضمان الحقيقي والمستقبلي لأمن منطقة الخليج والأمة العربية، ولكن المواطن سيسأل أليس لدينا مجلس التعاون الخليجي وجامعة الدول العربية، أليسا كافيين لتغطية المطلوب؟ وإذا كانا كذلك فما تفسير ما حدث في حرب الخليج؟ السؤال الثاني يدل على فشل النظام العربي، وعدم صلابة الاتحاد الخليجي، وأيضاً من أبرز نتائج حرب الخليج ضرورة خروجنا بصيغة جديدة تكون لنا ملجأً ومنجى من الطواغيت التي تظهر على الساحة بين الحين والحين ولنجاح هذا فإننا نحتاج للآتي:

١ - المصارحة القلبية لأن أسلوبنا كدول عربية نتحدث بثلاث لغات، لغة ميكروفونات، وما خلف الكواليس، وما تخفي الصدور، وهي الأخطر، وهذا هو السبب الرئيسي وراء الترددي الذي نعيشه فلو تحدثنا لغة واحدة ما أصابتنا تلك الكوارث ولكننا نفضل دائماً لغة المجاملة..

ونعقد بأن ما حدث لإعلان دمشق كان بسبب ذلك، تحدثنا لغة العواطف الجياشة وكانت ومازالت الجروح عميقة. وبعد أن هدأت النفوس بدأنا نختار كلمات رقيقة واعتذارات كثيرة.

٢ - الأمن الاقتصادي هو العمود الفقري للأمن العسكري، وكلاهما يسخر لخدمة الآخر، فاقتصاد بدون أمن قومي يحميه ويدافع عنه هو اقتصاد هش لا يمكن الاعتماد عليه، وأمن بدون اقتصاد قوي يسانده ويغذيه بالتكنولوجيا الحديثة والرجال الأشداء الأقوياء المسلحين بإيمان قوي وعزيمة قتالية صادقة، بدون هذا فلن يكون هناك أمن قوي نستطيع الاعتماد عليه، ومثال بسيط في جمهورية مصر العربية أثارت إدارة القوات المسلحة والشرطة ضعف البنية الجسدية للمتقدمين للقوات المسلحة والشرطة، وأن نسبة المقبولين لديهما ضعيفة جدا مما حدا بالحكومة بالبدء فوراً (بالتأمين الصحي) على خمسة ملايين طفل مصري منذ السنوات الأولى، والمشروع سيتكلف حوالي ٥٠٠ مليون دولار من أين ستمكن مصر من توفير العناصر البشرية القادرة على حمل السلاح بكفاءة مثالية، إذا لم يكن لديها المال الوفير لتوفير الرعاية الصحية وبالتالي الاقتصاد القوي؟

نقطة أخرى من دروس حرب الخليج إن طاغية بغداد أثناء الغزو عطف على معزوفة توزيع الثروة، وهي ما أثارت حماس رجل الشارع في كثير من البلدان التي ساندتنا، فهل لنا اليوم أن نساند هذه الدول لنخرجها من أزمتها؟ وهذا في رأيي أحسن استثمار لدول الخليج مهما قيل من تحفظات على هذه النقطة والخوف منها. أنا أقول دائماً دول عربية قوية اقتصادياً هي آمنة عسكرياً وسياسياً. . لاتدعوا التطرف يسيطر على مصر فأحد أسبابه التداعي الاقتصادي!

٣ - تطوير ميثاق وآليات مجلس التعاون الخليجي وبما أسفرت عنه دروس حرب الخليج ليكون أكثر فاعلية اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وهذا يحتاج إلى نقلة نوعية تعتمد كلياً على المشاركة الشعبية وإيمان شعوب المنطقة بأن مصيرها واحد، ويجب أن تتلاحم وتتفاعل بصورة جيدة مع الأبعاد الأمنية التي بدأت كثير من المخاطر تهددها.

٤ - السعي الحثيث نحو إحياء إعلان دمشق في أقرب فرصة ممكنة، واتخاذ الإجراءات الكفيلة لإخراجه إلى حيز الوجود ووضع موضع التنفيذ.

٥ - إن استقرار المنطقة لن يتم إلا إذا احترمت جميع الدول مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل دول المنطقة واحترام سيادتها، وليس مطلوباً أن تنصب كل دولة من نفسها الولاية على الأخرى تحت أي ذريعة كانت. فشعوب المنطقة قد بلغت رشداً وكفيلة باختيار أساليب حكمها وقيادتها.

٦ - إن الدول الكبرى وبخاصة أميركا عليها دور هام الآن، عليها أن تعلم أن العنف السائد في المنطقة ما هو إلا رفض لما يجري على الساحة العربية بسبب تدليلها الزائد وغير المقبول لطفلها المدلل «إسرائيل» وعليها ألا تكيل بمكاليين، ومهما تسلحت إسرائيل بالقنابل النووية وتركها الحبل لها على الغارب فلن تستقر المنطقة إلا بعد أن تنال فلسطين حقها المسلوب فيها ويعيش الفلسطينيون بكامل حقوقهم على تراب أرضهم.

أيضاً يجب ألا تتصور الدول الكبرى بأن إسرائيل ستكون رجلها القوي في الشرق الأوسط فهي أن استطاعت تحييد الحكومات فإن الشعوب باقية، ولن ترضى بالذل والمهانة مهما طال الزمن وسيكون الانفجار عنيفاً ومدوياً لأن شعوب المنطقة بها غضب مكتوم يغلي في الصدور إلى حد الانفجار، وأستشهد بشهادة مستشار الأمن القومي الأميركي (براين جينكر) حيث قال

إنه ومواطنوه كانوا الهدف الرئيسي من الإرهاب بسبب مواقف الولايات المتحدة غير العادلة في كثير من المشاكل العالمية. وعلى إسرائيل أن تعي أن أمن المنطقة كل لا يتجزأ وأن العنف الحالي الذي يسود المنطقة خاصة دولة أمنة مثل مصر هو نتيجة تعنتها وصلفها. إن من مصلحتها اليوم العيش في سلام داخل حدود أمنة بدلاً من تصعيدها للمواقف وإثارة الغضب والحقد عليها، فالتاريخ لن يكون في صالحها إذا لم تنتهز الفرصة المواتية لها الآن، فالإسلام عاش في الأندلس ثمانية قرون وخرج منها صفر اليدين!!

٧ - نأتي إلى أحد العناصر الهامة والفاعلة في أمن الخليج ألا وهي إيران الجارة المسلمة ونقول لها إن إبداء حسن النية تجاه العرب ضرورة إسلامية لنمو جسور الصداقة وتقوية دعائمها وأركانها خاصة مع الشقيقة مصر، فكلاهما يمثل قوة إسلامية كبيرة وتمثلان قطبي قوة يجب إضافتها بعضها لبعض، ولعل دول الخليج تأخذ على عاتقها مع الشقيقة سوريا لإصلاح ذات البين والتئام الجراح بيننا جميعاً، وأدعو الإخوة في إيران إلى الحذر الشديد والاطلاع على ما يذاع ويكتب عنها ومحاولة الصاق التهم بها من محاولة اقتنائها للأسلحة النووية والأسلحة التقليدية وغير التقليدية والهيمنة على الخليج باحتلالها جزر الإمارات العربية وغير ذلك وكأن في الأمر شيئاً يدبر لتكون هي في دائرة الأحداث في الجولة القادمة.

إنني على ثقة من حكمة حكام إيران وصدق هويتهم وإن الأمر الآن يختلف عن ذي قبل ويحتاج إلى كثير من إعادة الحسابات قبل الإقدام على أية خطوة تخطوها.

ندعو الله أن يوفقنا جميعاً ويهدينا إلى الصواب إنه نعم المولى ونعم النصير.

الجزء الثالث

قضايا الوطن العربي





التعليم في مصر والأمن القومي العربي (*)

في يوم الخميس الموافق ٣١ ديسمبر ١٩٩٢ كتبت في استراحة الخميس بجريدة الوطن أدعو إلى تبني إنشاء ٣٠٠٠ مدرسة بجمهورية مصر العربية عام ١٩٩٣. واتصل بي العديد من أبناء الكويت الكرام واستفسروا عن الطريقة وكيف نسير بهذا المشروع إلى حيز التنفيذ؟ وحتى يتعرف القارئ الكريم على العلاقات الوطيدة والمتينة بين الكويت ومصر العربية، والتي تمتد جذورها عبر التاريخ، والتي يجب أن نحرص على تقويتها وتدعيمها ليزداد التواصل بين الشعبين.

رأيت أن أكتب وأستعرض ما شرح الله به صدري في هذا المجال داعياً الله سبحانه وتعالى للتوفيق والتأييد.

في إحدى الليالي أثناء فترة الغزو حضر أحد الإخوة المصريين لزيارتي، وكانت الساعة بعد الثانية عشرة مساءً، وطلبت منه أن يصحبني إلى أحد المقاهي بحي شعبي في القاهرة، وهي ليست عادتي أبداً والحمد لله، ولم يفهم صديقي السبب ولا الهدف من ذلك، وذهبنا إلى (حي بولاق) أحد أشهر الأحياء الشعبية في القاهرة، وجلسنا على مقهى يغص بالرواد، وحسب رواية صديقي المصري بأنها أحد الأماكن التي تخرج منها النكتة المصرية

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٧/١/١٩٩٣.

اللاذعة، وهي أمضى سلاح يستخدمه الشعب المصري لمحاربة من يريد. وأخذنا مكاننا بين الرواد وسط ضجيج غريب من الضحك على القفشات المصرية خفيفة الظل، وسحابة الدخان تغطي لاعبي الطاولة والدومينو والشطرنج، وساقى المقهى باصطلاحاته الغريبة التي لا يفهمها إلا معدّ المشروبات، وفي هذا الجو بين أولاد البلد دقت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل في التلفزيون المصري، وساد صمت عميق في المكان، وتوقفت الحركة وكان على رؤوسهم الطير، وظهر المذيع بصوته الأجلج الرخيم؛ ليذيع الأنباء، وكانت كالعادة عن الكويت، وظهر صدام بخيلاته كالتاوس يرفع ريشه متباها ليكشف عن أقدر ما فيه، وأخذ الحماس أحدهم وخلع نعله وقذف التلفزيون، وبدأنا نسمع ألفاظا وتعليقات وشتائم موجهة إلى هذا الأحمق المغرور، وانتهت نشرة الأخبار، وتركنا المقهى والكل يناقش ما مصير الكويت؟ وعدت أنا وصاحبي إلى حيث إقامتي، وشكرت الله وحمدته أن قرار الصمود مع الكويت ليس فقط رئاسياً بل شعبياً أيضاً، من رجل الشارع البسيط ابن البلد الشجاع المقدم الفهلوي، والذي لا يعرف أين تقع الكويت ولم يزر الكويت قط.

وأدرك صاحبي سر إصراري على الذهاب إلى هذا المكان؛ لأرى وأسمع بأمر عيني وأذني الشعور العفوي من هؤلاء الرجال في أكثر المناطق شعبية بالقاهرة.

ومرت الأيام ودارت الحرب وتحررت الكويت وعدنا بحمد الله إلى الكويت نسابق الزمن للبناء والتشييد وجمع الشتات والأشتات، إلى أن عادت الحياة الطبيعية إلى الكويت بفضل من الله العظيم والشرفاء في كل أنحاء العالم.

ثم كان زلزال مصر بخسائره الجسيمة البشرية والمادية، وسارع أهل

الخير من أبناء بلدي يهرولون ساعين لمصر يضمدون الجراح ويمدون يد العون لإغاثة المنكوبين، وكانت وقفة صدق مع الأخوة هناك؛ فجزاهم الله خير الجزاء.

بصمات مصر

وفي أثناء رحلتي إلى الإمارات العربية المتحدة مؤخرا للمشاركة في أعمال مؤتمر الصليب الأحمر التقيت مع رئيس الصليب الأحمر المصري، الذي أطلعنا على الحجم الكبير للخسائر في مصر، ويمكن تخيل ذلك إذا ما علمنا بأن ٣٠٠٠ مدرسة حتى الآن في حاجة إلى إعادة بناء. وانتهى المؤتمر، وعدت إلى الكويت واسترجعت ذاكرتي لأعوام خلت عشت معها في حوار الكويت الضيقة، ومصادر الماء بها نادرة وغير صحية، والحياة صعبة ليس بها أي نوع من أنواع الرفاهية بل حتى المعيشة الهنية. وفي ذلك الوقت كانت البعثات المصرية في التعليم والطب والهندسة تصل إلينا لتعلمنا وتداوينا وتنشئ الطرق، وغير ذلك من أساسيات الحياة، ولم يكن أفرادها متأفين أو غاضبين أو حائقين، ولم يكن لدينا من المغريات ما هو متوفر الآن. وأذكر في هذا الصدد العديد من الأطباء والأساتذة الذين توفاهم الله، وكيف تركوا بيننا علما نافعا وحفظوا لنا صحتنا وصحة الجيل الجديد. وفي وقتنا الحاضر من منا لم يتعلم في مصر؟ ومن منا لم يتلق التعليم هو أو ابنه أو حفيده على يد معلم مصري؟، من منا لم يعالج عند طبيب مصري؟، من منا لم يستشر مهندسا مصرية أو لديه عامل أو سائق مصري؟! إلى غير ذلك، وفي النهاية وجدت أن الحياة المصرية تركت بصماتها على الحياة في الكويت والخليج، ودخلت كل بيت. لقد رأيتهم في أفغانستان والسودان وملاوي والصومال والجزائر والمغرب وأخيرا في البوسنة والهرسك، وهذا هو عطاء مصر وقدرها في التاريخ.

ومنذ أن أفاء الله علينا بالنعم وهم يعملون معنا يبذلون كل جهد ممكن لإسعادنا وإسعاد أبنائنا، إننا استفدنا منهم لأننا في حاجة إليهم، وليس صحيحا ما يقال غير ذلك، وعلينا أن نتقي الله في كلماتنا لكي لا يساء لوجه الكويت المشرق والخير، وأرجو أن نلغي من قواميسنا كلمات كثيرة كلمة مترابطة لا تنفصل كالاسترزاق والمرزقة إلى آخر هذه الكلمات الدخيلة علينا، والتي ترد إلينا على أنها جحود وتتنافى مع إسلامنا وعروبتنا وعالميتنا.

أقول أتت هذه العمالة الفنية المدربة إلينا بعد أن أنفقت عليهم مصر، الغالي والنفيس في مؤسساتها التعليمية والتدريبية، حضروا إلينا وقد دفع ضريبة تعليمهم ذوو الجلاليب الزرقاء في قراهم ونجوعهم، والعمل في مصانعهم، إنهم لم يتعلموا دون إنفاق سخى، كان وما زال على حساب كثير من الخدمات التي تقدم للمواطن المصري، بل أيضا على حساب جودة التعليم المصري، ورغم ذلك جاهدت مصر وتجاهد حتى الآن لتخريج أبنائها من جامعاتها ومعاهدها لسد حاجة شقيقاتها من الدول العربية والإسلامية، يساهمون في صنع الحضارة على أرض الخليج، والشعب المصري صابر شامخ مكافح...

واليوم ومصر تمر بضائقتها المالية الخانقة نتيجة حروب ظالمة فرضت عليها دفاعا عن أمتها، فهل نتركها للانفجارات الاجتماعية والتطرف والانحراف بسبب الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وتدخل أيد خفية تحركها على أرض الكنانة، والتي إن تركت ستقع مصر في دوامة لا يعلم مداها إلا الله، وستصاب الدول العربية لا محالة بنفس داء التطرف.

ولذلك فإنني أطلق هنا دعوة لشعوب دول الخليج جميعا، بأن استقرار مصر - استقرار لنا وقوة مصر قوة لنا، إننا كشعوب في هذه المنطقة يجب علينا أن نتجه إلى شعب مصر العربية ونجوعه وكفورته، نقول لهم «شيدوا

مدارسكم إنا معكم مشيدون، ولن نقول لكم كما يقول الحاقدون احفروا بأظافركم إنا ههنا شامتون» إن المواطن البسيط في أقصى بقعة من جمهورية مصر العربية دفع ضريبة من دمه لتعليم إنسان ذهب إلى أرض الخليج فهل آن الأوان أن نرد له الجميل؟! .

فرض وواجب

إنني أقدم هذه الدعوة ليست فقط كرد جميل من شعوبنا الى شعب مصر نتيجة حادث عابر، أو فورة عاطفية، بل إنني أعتبرها فرضا وواجبا على كل خليجي قادر على العطاء. إن ما تحتاجه مصر إعادة بناء ٣٠٠٠ مدرسة فهل لا يوجد بين رجالات الخليج ثلاثة آلاف محسن ورجل خير ليبنى كل واحد منا مدرسة بتكاليف لا تزيد عن ١٥٠٠٠٠ دولار، أو يشترك كل اثنين أو ثلاثة معا لبناء مدرسة .

إنني على يقين أن لدينا الآلاف من رجالات الخليج يسارعون في الخيرات. . إننا نسعى لتقديم هدية متواضعة لكل رجل وامرأة وشاب وشابة إلى أهلنا وذوينا بمصر، ونرسل إليهم رسالة بأننا معكم نبني صروح العلم سويا، العلم الذي فرضه الإسلام في أول سورة نزلت في القرآن الكريم، فكان ثورة على الجهل إلى العلم، وعلى الظلم إلى الحق، ودعوة في سبيل إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وبه تحيا الأمم قوية نابضة بالحياة. والعلم هو نفسه الذي تحاربنا به إسرائيل، ويضمن به علينا الغرب والشرق، إنه الأمن القومي لأمتنا والصدقة الجارية لأبنائنا، فهل من مستثمر فنستثمر معه؟

ليكن عام ١٩٩٣ عام الخير وبناء دور العلم في مصر متواصين بأهلها

خيراً، كما أوصانا رسولنا الكريم ﷺ بأهل مصر، بأن لنا بها صهرا وبأن جنودها خير جنود الأرض وأنهم في رباط دائم إلى يوم القيامة.

إنني أدعو الإخوة في صحفنا، بل ووسائل إعلامنا أن تسخر الأرقام في سبيل هذه الدعوة بالكويت والخليج؛ ليكون درسا للحاقدين. إن زارع الخير لا يحصد إلا خيرا وإن هذا الاستثمار هو الباقي لنا ولأمتنا.

وعلى شعوبنا ألا تلقي بكل شيء إلى الحكومات، فقد جادت الحكومات بما سمحت به ميزانياتها وارتباطاتها، ولكن ماذا قدم الشعب الخليجي عن طريقه وليس عن طريق الحكومات؟ لن أتحدث عن المؤسسات اليهودية في أميركا والغرب وما تقوم به نحو أبناء عمومتهم في إسرائيل لجمع المليارات في أيام قليلة كل عام.. لن أتحدث عن المليارات التي رصدتها ألمانيا الغربية لدفع عجلة التقدم في ألمانيا الشرقية.

وحتى لا يهمس الشيطان في نفس أحد بأننا وقفنا مع طاغية بغداد وساندناه وماذا كانت النتيجة؟ بأموالنا غزانا. ولن أقول لهم سوى إن مصر على مر التاريخ لم تكن غازية ولا مهددة ولا متوعدة لأشقائها بل مساندة داعمة لهم مدافعة عنهم حتى في عسرتها وأثناء سنوات مقاطعتها، وهذا هو جوهر الخلاف؛ فإن شعب مصر دائما هو الحاكم، فإن ابتلي بحاكم ظالم أو طاغية وقف الشعب مع بعضه بعضا لأنه على ثقة بأن هذا الظالم لا محالة ذاهب والشعب هو الباقي، وقد يتصور البعض غير ذلك، لكنها إحدى ميزاته وأصالته وعمق جذوره في التاريخ. إن الغرب والشرق يعلم تماما بأن مصر هي مفتاح الدول العربية والإسلامية، وهم لا يريدونها كذلك بل منهوكة القوى ضعيفة.. مريضة تغوص في أعماق الجهل والجهالة لتترعرع فيها وتزدهر نباتات شيطانية تسيء إلينا وإلى إسلامنا ونعيش الشتات من حولها.

وأقترح في هذا الخصوص الآتي:

(١) أن تتولى (كونا) نقل ما ورد من أفكار في هذا المجال وتبثها في أنحاء الخليج والترويج لها ومساندتها والإبقاء عليها حية إلى أن تحقق أغراضها.

(٢) أن تشكل لجنة شعبية على مستوى كل بلد من بلاد الخليج تتولى كتابة أسماء المتبرعين الراغبين في هذه المساهمة وهم كثرة بحمد الله وتقوم هذه اللجان بطلب البيانات اللازمة من مصر عن المواقع المتوفرة.

(٣) أن تكون حصة شعب الكويت منها ألف مدرسة، وتوزع البقية على الإخوة في الخليج، وإني على ثقة من أن الإخوة في اللجنة الشعبية الكويتية والهيئة الخيرية الإسلامية وبيت الزكاة وجميع المؤسسات الخيرية والشعبية سيقع عليهم مسؤولية كبيرة هم أهل لها كما كانوا وما زالوا، وأيديهم البيضاء شاهدة على ذلك في جميع بقاع الأرض. وسيكون يوم سعادة لنا جميعا أن نزر مصر في العام القادم لنجد أسماء إخوة من بلدنا العزيز محفورة على مدارس مصر غير مباهين ولا مفاخرين، ولكن شاكرين الله أن مكنتنا لنساهم في أعمال الخير والمعرفة.

أدعو الله ألا تكون هذه الدعوة مجرد حبر على ورق، أو كلمات تكتب ما تلبث أن تموت، لأنني على يقين من الرغبة الصادقة لدى الجميع للمساهمة في مثل هذه الأعمال مصداقا لقوله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾. البقرة.

والله يهدينا جميعا إلى الخير والعطاء والسعي إليه، فالساعي في الخير كفاعله. والله ولي النعمة والتوفيق.



لكي تبقى مصر فوق الرعب رغم العنف (*)

شعور غريب شعرت به في زيارتي الأخيرة إلى مصر.. فقد تعودت بأن أشعر بالطمأنينة وراحة البال عندما أزور مصر.. فلقد صادف أن كنت فيها في حربي ٦٧ و٧٣ وكذلك عندما غزا هدام العراق ومفرق العرب بلدي الحبيب الكويت حيث كنت أحضر مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية.. ومع كل ما صاحب الحربين من منع تجول.. والتعقيم.. وصفارات الإنذار.. ومع كل احتمالات الغارات الإسرائيلية على القاهرة وصعودنا ونزولنا من غرف الفندق إلى المخابيء، ومع كل ما كنت أراه من مظاهر تشديد الأمن كانت الحالة مطمئنة.. والنفوس مستقرة.. والقلوب عامرة بالتصميم وبروح التضحية والعطاء..

هذه المرة شعرت بغير ذلك.. فمظاهر الأمن مختلفة.. أنواع مختلفة من البوليس.. شرطة.. حرس.. وضباط أمن.. و.. و.. وغير ذلك من التسميات، بجانب المنتشرين من رجال المخابرات بلباسهم المدني.. بالإضافة إلى خلو الشوارع المكتظة: بقصر النيل.. وسليمان باشا وميادين العتبة.. والأزهر.. والحسين والتي كانت تعكس حياة القاهرة العامرة الصاخبة.. وحتى الفندق الذي عادة تراه مكتظاً بالبشر محليين وخليجيين وسواحا من الدول العربية والغربية والشرقية.. كان هادئاً نسبياً ولأنني من

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١١/٤/١٩٩٣.

رواد فندق هيلتون النيل منذ عام ١٩٦٣، وأستطيع أن ألاحظ التغيير،
فالشعور هذه المرة كان غريباً.. حراس الفندق بأجهزة اللاسلكي عند
المدخل المقابل لميدان التحرير، والحبل المربوط على المدخل ليجبرك على
الدخول والخروج من منطقة ضيقة للتفتيش، والتعرف على الإرهابيين
وحاملي حقائب الموت. كل هذا يجعلك تشعر شعوراً غير عادي.. وحتى
الهمس بين منتظري الأتوبيس والخوف، وما تراه مرتسماً على وجوههم حتى
المصري الفلاح والعامل البسيط.. يشعر بأن هناك شيئاً غير عادي..

وحتى بين المسؤولين تلاحظ عدم الارتياح لأن من أسوأ الحالات التي
يعيشها الإنسان هو القلق رغم أننا متأكدون من تفاهة ما يحدث رغم تكراره
وبصورة مختلفة وفي أماكن شتى.. ميادين.. مؤسسات.. الآثار.. القرى
وحتى المقاهي، الممتدى الأساسي للشعب المصري.. رغم كل هذه
الأحداث فإنها لا تساوي حوادث تقع في جزء بسيط من شوارع وحواري
وأزقة نيويورك.. وخاصة (مانهاتن) بالذات مع ذلك تجد أن الأمر غير
مريح.. بالنسبة للمسؤول لأنه مسؤول عن الأمن والأمان والطمأنينة.. ومن
دونها لن يكون استقرار لأي بلد مهما كبر أو صغير..

فالسؤال إذن.. ماذا يحدث في مصر.. بلد الأمن والأمان عبر
العصور والتاريخ؟.. ولولا ذلك لما شاهدنا هذه الآثار والتراث العظيم باقياً
كبقاء النيل الخالد عبر هذه العصور..

أعتقد بأن ما يحدث في مصر أكبر من مصر، بل هو جزء من حلقة
إرهاب كبيرة يراد به اتهام الإسلام والمسلمين، ويراد به ضرب قلب العروبة
والإسلام.. مصر؛ لأنهم لو استطاعوا ذلك لتمكنوا من تحقيق أهدافهم في
ضرب الإسلام.. إن ما تسمعه عن الكثيرين من مفكري الغرب.. ورجال
دينهم.. ومن أحبار اليهود خاصة بأن الصراع القادم للغرب بعد أن انتهت

الشيوعية.. هو مع الإسلام.. وسوف أتعرض لذلك في المقالين القادمين
بشيء من التفصيل..

فخ الغواية

فالمطلوب الآن هو رأس الإسلام، ولأن المسلمين أصبحوا لاهين عن
الإسلام، وانغمسوا في المشاحنات والتطاحن وجمع المال، حتى إن الفئات
الحائرة من شباب الدول الإسلامية أصبحوا ضائعين.. ويبحثون عن
الفرج.. فلا مال لديهم ليعيشوا كالبشر، ولا مباديء تحميهم من الزلل
وتحقيق الطمأنينة النفسية من الفرع الكبير الذي يسيطر على حياتهم..

هذا الشباب لا يلام، إذا اتجه مع الشيطان.. والشيطان لهم
بالمرصاد.. لأن هذا هو وعد الشيطان لربه عندما طرده إلى الأرض..
وهدهد بآن يغويهم.. فباسم التطرف الديني زين لهم الحياة.. وباسم
الإسلام أخذوا يثورون على كل شيء.. وخاصة الانحلال الغربي الكبير
الذي بدأ يغزوهم بمخدراته.. وإباحيته.. وبفسقه.. وبفجوره.. فهم إذن
يقعون في فخ الغواية الشيطانية لسببين: السبب الأول هو الحرمان والسبب
الثاني هو الخوف على ما تبقى لهم من مباديء..

إذن اللجوء والهجرة إلى عالم العنف باسم الدين والانصياع لأوامر
المستغلين لهذا الدين العظيم هو الطريق الوحيد المفتوح أمامهم.. وعلينا
الاهتمام باحتوائهم معيشياً وروحياً وعلى حاملي رسالة الإسلام توجيههم إلى
الطريق الصحيح.

وإذا كنا لا نستطيع أن نوفر الخبز والحياة الكريمة بسبب ضيق اليد وسوء
الحال وقلة المال على الأقل، دعونا لا نتركهم ينزلقون في مزلق أصحاب
المصالح الخاصة.. للباسي لباس الدين والمتظاهرين به..

ولذلك إن نشر الفكر الإسلامي وإيجاد مرجع ديني تطمئن إليه النفس مما تشعر من ظلم وحرمان، وجهة تستطيع أن تقف أمام الحاكم إذا ظلم، وتكون هذه الجهة أرفع من سيطرة وبطش الحاكم والتسلط عليه هو من أوجب الواجبات.

دور الأزهر

هذه الجهة المرجعية التي يمكن الاحتكام إليها بعيداً عن المحاكم والقوانين الوضعية هي المفقودة في عالمنا الإسلامي، فالكل أصبح يفتي.. والكل أصبح المفسر والفقهاء.. والكل أطلق على نفسه المرجع والمفتي.. أو أمير الجماعة.. يدينون له بالولاء والطاعة العمياء هذا الدور يمكن أن يقوم به الأزهر الشريف.. فقد كان هذا أساس إنشائه.. ولكنه أصبح الآن أضعف من أن يتولى هذه المسؤولية.. ومن دون إحياء هذا الدور للأزهر بأسلوب يشارك المسلمون فيه ويرجعون إلى حكمه ومحكمته ورجاحة رأيه لا يمكن أن تطمئن النفوس عند اللجوء إليه.

فتطوير الأزهر وإعطاؤه الدور البارز عن طريق مشاركة جميع المسلمين فيه بشكل أو بآخر يمكن أن تضعه على بداية الطريق الصحيح..

فليعط الأزهر الاستقلالية.. ويشارك فيه علماء الدين وهؤلاء أغلبهم من خريجي الأزهر وهم منتشرون في الدول الإسلامية المختلفة، وليكن للأزهر مجلس أمناء يوجه الفكر والعمل الإسلامي ويكون المرجع الأخير الذي يتقبل المسلمون رأيه وحكمه.. فلنعط مصر هذه الاستقلالية للأزهر.. هذا الدور للأزهر هو المطلوب لينقذنا من الضياع الفكري والوجداني والروحي، ومن التشتت والتنازع الذي نعيشه، وأرجو من مصر وهي تعيش حالة الرعب الحالية أن تخرج نفسها والمسلمين الحائرين والمتفككين روحياً من هذه الأزمة التي نعيشها.

وإنني على يقين لو أننا استطعنا أن نخترق حاجز الرعب والخوف المسيطر على المسلمين وهم يجابهون هذه الهجمة الشرسة من الفئات المناهضة لهم عن طريقة تقوية النفس المسلمة وإدخال الطمأنينة إليها.. وخلق الثقة بين النفوس المضطربة والضائعة.. وبين رجال فكرها المخلصين ستتلاشى بهذا حواجز الإرهاب والتطرف..

ولو أننا عملنا ذلك، نكون قد بدأنا الخطوات الصائبة تجاه الخلاص من هذا الجو المرعب، والانطلاق للوقوف في وجه الطغيان الظالم المستهدف للإسلام والمسلمين.

فمصر إذن عليها الدور الكبير، وما خلاصها من هذه الحقبة الحرجة إلا خلاص لجميع الدول الإسلامية المستهدفة من هذه المؤامرات التي تدبر لها.. والتي تحاول زجها في صراع بين فئاتها وبعد إضعافها.. الخلاص منها والهيمنة عليها..

وأنا على يقين بأن مصر ستظل أكبر من الخوف ومن الرعب الذي يعكر صفاء طابعها.. وكل ما أتمناه أن ننتبه إلى جوهر الأشياء بدلا من القشور.. وعلينا أن نتكاتف جميعاً حتى نتمكن من الخروج من المأزق المفروض علينا، وأن نركب الأمواج العاتية بدلا من أن نغرق في بحارها، ولنقود سفينة الإسلام إلى بر السلام والطمأنينة والاستقرار.. حتى تستقر نفوس شعوبنا وتتحطم مآرب ومؤامرات من هم يعملون ضده..

تلك إحدى النقاط الهامة التي لم يتعرض لها من كتبوا في هذا المجال وهي عن الأزهر ولنا فيها عودة أخرى..
والله موفق لما يحبه ويرضاه..



الأزهر والمرجعية الإسلامية (١ من ٢)*

منذ نشر مقالة «لكي تبقى مصر فوق الرعب رغم العنف» يوم الأحد الموافق ١١ إبريل ١٩٩٣، اتصل بعض الزملاء للاستفسار عن دور الأزهر في المرحلة القادمة، وكان لنا لقاء طويل ومناقشات كثيرة سواء مع الإخوة العرب المقيمين أو مع الكويتيين، وفي البداية وحتى نؤصل الموضوع فإننا يجب أن نتفق على بعض الحقائق التي تواجهنا اليوم في عالمنا العربي والإسلامي، أولى هذه الحقائق: أن رأس الإسلام مطلوبة الآن، وأن الجميع يساهم في تقديم القرابين والبخور لحفل ذبح الضحية، وأقصد بالجميع هنا إضافة إلى أعداء الإسلام التقليديين، أننا في العالم العربي والإسلامي، مسلمين وغير مسلمين بقصد وبدون قصد نسهل مهمة الجزائريين للإجهاد على الضحية، وإذا كان أعداء الإسلام يكيّدون له كيذا فمعهم العذر فهم في معركة حياة أو موت، أن يكونوا أو لا يكونوا هم يحاربون شبحا لا يعرفون أبعاده فأنصاره في زيادة وهذه الزيادة إما زيادة تناسلية أو زيادة نوعية لمن يدخلون في دين الله أفواجا، هذا الرعب الذي يسيطر عليهم يؤرقهم، فقد اخترق هذا الدين الحجب والنفوس والمجتمعات والأسر، وكان اختيارا عفويا من الشعوب بعد المد العلماني والصهيوني واليهودي والصلبي والحرب التي شنوها وأقاموها عليه خارج دياره وفي دياره من قتل وصلب

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٣/٥/٢ .

وتشريد لأصحابه، إلا أنك تندهش أن تجد إنسانا مثل (روجيه جارودي)، و(موريس بوكاي).. وغيرهما كثيرون يسلمون لله دون أن يعرض عليهم أحد الإسلام ودون أن يحاورهم أحد لكن شاء الله أن يهديهم، ويفسر البعض هذا بأنه ترف فكري عند الغربيين وأنا أوافقه على ذلك، فالغرب اليوم يعيش حالة من الترف المادي وهم أيضا في حاجة إلى ترف روحي بعد أن سئموا الخواء الروحي، فالإنسان يحتاج إلى غذاء روحي فيجد في الإسلام ضالته وهدهد وليسمة المتغربون ما شاءوا.

لقد استمعت (لروجيه جارودي) مؤخرا بالقاهرة وهو يتحدث عن الإرهاب والإسلام وعن الغزو الفكري وعن مكائد الملحدين للإسلام بعد أن تاهوا في الأرض وقطعت أوصالهم، يبحثون عن عدو جديد لهم بعد أن فشلت مهمتهم، وبالمناسبة فإن (روجيه جارودي) كتب كتابا رائعا عن وعود الإسلام تنبأ فيه بما حدث للاتحاد السوفياتي وحوارييه بهذه النهاية، كان ذلك منذ عشر سنوات تقريبا، وأطلقوا عليه المخرف العجوز الذي يبحث عن دور له، وها هي نبوءته تتحقق فقد جاءت من مفكر ومنظر عاش أفكارهم واستطاع أن ينفذ إلى الأعماق ودرس الإسلام فكانت رؤيته أكثر وضوحاً وشمولاً.

العالم العربي بعد ٥ سنوات

الحقيقة الثانية: أن انهيار الاتحاد السوفياتي أسقط من حساب الولايات المتحدة الأميركية عدوا تقليديا ظل يحاربه ويشحذ همم الشعب الأميركي وحلفائه ضده على مدى خمسة وأربعين عاما، أقول سقطت فجأة دون استعداد منه فكان لا بد من خلق عدو آخر لتهيئة النفوس وتجهيز الجيوش، ووضع استراتيجية لمجابهته ومحاولة إعداد الشعوب له ويجري ما يجري

داخل الغرب وعالمنا العربي والإسلامي استعداداً للمواجهة الحاسمة بينهم وبين الإسلام، وحتى يتعرف القارئ عما سيجري لعالمنا العربي في خلال الخمس سنوات القادمة، سأورد ما نشرته وكالات الأنباء عن الاجتماع الأخير بين (إسحاق رابين والرئيس الأميركي بيل كلينتون)، وفيما يلي نص ما أذاعته وكالات الأنباء:

بعد زيارة إسحاق رابين الأخيرة للولايات المتحدة الأميركية يمكن القول بأن الصورة قد اكتملت واتضحت معالمها، من وجهة نظر الطرفين وتصورهما لشرق أوسط جديد تكون فيه إسرائيل وثيقة الصلة بأميركا على أساس اتفاقية أمنية تنص على الوجود الرمزي العسكري الأميركي، وتحويل ميناء حيفا إلى قاعدة للأسطول السادس الأميركي، ويتبع ذلك التعاون في مجالات الأبحاث العلمية والتكنولوجية والمدنية والعسكرية، وحتى لا يترك الطرفان أي مجال لإساءة تفسير معنى الشريك الكامل الذي وصفت به الإدارة الأميركية في عملية التفاوض بين إسرائيل والعرب، واتفق رابين وكلينتون على التشاور، قبل أن تقدم الإدارة الأميركية أية مقترحات إلى مائدة المفاوضات بين العرب وإسرائيل، على أن تخدم هذه المقترحات اتفاقهما الاستراتيجي حول مستقبل منطقة الشرق الأوسط.

أما الاتفاقيات الأميركية الجديدة فهي «تم الاتفاق على تطوير التحالف الاستراتيجي العسكري الذي وقع بين البلدين قبل خمس سنوات لتحويل إسرائيل من موقفها الاستراتيجي التقليدي إلى حليف وشريك يلائم المرحلة الجديدة، حيث تتجه أميركا استراتيجياً نحو المنطقة وتوسيع هذا التعاون ليشمل تحويل إسرائيل إلى مخزن للسلاح وتحويل موانئها إلى مراس للأساطيل الحربية الأميركية لمواجهة الطوارئ أو أي عدوان، كما حدث إبان حرب الخليج بعد أن رحلوا من الشرق الأقصى، هل الأمر يحتاج إلى

كثير من التفاصيل بعد إذاعة هذا القليل من الكثير الذي لم ينشر. ؟ أم أن الأمر يحتاج إلى بعض الحكماء لكي يقرأوا ويعوا. .

في النظام العالمي الجديد ذي القطب الواحد، لن تستطيع أميركا أن تسيطر على أمن العالم، وبالتالي فإنني أتوقع بأنها ستوكل عنها بعضا من رجالها، ففي الشرق الأوسط، على سبيل المثال، الدولة التي كانت مرشحة لذلك خاصة بعد حرب الخليج هي مصر بعد انحسار الدور الإسرائيلي، فقد لقي الدور المصري السوري قبولا من جميع دول المنطقة، ورأت إسرائيل أنها لا يمكن أن تترك الأمر هكذا، ولن تقبل بأن يكون دورها تقليديا بل يجب أن يكون استراتيجيا تحالفيا مع مقتضيات المرحلة وضرورياتها، لذلك نعيش جميعا المأساة المروعة التي تعيشها ديار الإسلام، والحملة الخطيرة والرياح العاتية التي تهب عليها، وكما يبدو فإن إسرائيل اعتمدها لتكون الوصية على الإسلام والمسلمين بعد تبرئتها من (دم المسيح)، ولم تكن أبدا من قبيل المصادفة أن يتم تفجير المركز التجاري الدولي بنيويورك قبل وصول إسحق رابين، بل أراد أن يسلم الدليل المادي على هذا الإرهاب الإسلامي وبأنه انتقل في عقر ديار الأميركيان ويهددهم فهل يمكن لأمركا وأهلها أن تبقى مكتوفة الأيدي.

ثانيا: إن الصراع العقائدي صراع أزلي منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها، وأخذ صورا كثيرة مرة صراع بين الخير والشر بين آدم وإبليس ليغريه بأن يأكل من الشجرة المحرمة، ومرة بين قابيل وهابيل ومرة أخرى بين الرسل والأنبياء الذين اصطفاهم الله وبين شعوبهم يحاولون أن ينيروا لهم الطرق ويهدوهم سواء السبيل. ونحن جميعا نعلم المعاناة التي لقيها الرسل والأنبياء ومن بعدهم المصلحون في سبيل تبليغ رسالتهم وما صاحب ذلك من إيذاء نفسي وروحي وجسدي. وهو صراع تشهده نهاية القرن العشرين

ومطلع القرن الواحد والعشرين، وسيكون بين الإسلام من جانب وبقية الملل والنحل من جانب آخر.

رابعا: إن الإسلام وهو خاتم الرسالات السماوية كان أكثر الأديان تعرضا للإيذاء والمحاربة سواء كان ذلك حين نزوله إلى العرب متمثلا في إيذاء صاحب الرسالة ﷺ أو أصحابه، واتخذت الحرب صورا مختلفة بين التشكيك في أهلية الرسول تارة، وبين صحة القرآن تارة أخرى، وفي كل مرة كنا نرى فيها براهين من عند رب العالمين تدحض ما يقدمون من أفكار، وشاء رب العزة أن تكون معجزة سيدنا محمد القرآن الكريم بلغة عربية ليعجز به العرب ويبقى خالدا يتحدى من يريد التحدي، لكن الصراع ضد الإسلام يشهد تحالفا من الجميع ضده، عبر الأجيال وهذا الصراع يأخذ موجات يصل فيها المد إلى أقصاه ثم تنحسر الموجة إلى أدناها ولكنه عاش هذه الأجواء السقيمة يقاوم وحده دون معين ويخرج في كل مرة منتصرا مؤزرا من عند الله وفي كثير من الأحيان خذله أصحابه، ولكن وعد الله قائم بقوله سبحانه «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون». وقوله: «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد».

وحتى يعلم القارئ ما يتعرض له العالم من الغزو الفكري وخاصة العالم العربي والإسلامي لإبعاده عن قيمه الاجتماعية والدينية والأخلاقية، سأذكر ما قاله (روجيه جارودي) في محاضراته بالقاهرة بهذا الخصوص «إنها المرحلة الأولى من تغريب العالم العربي والإسلامي وإبهاره بالمنجزات الغربية وبعد ذلك يسهل الفتك بالضحية»، ويقول جارودي إن التلفزيون الفرنسي يعمل ٢٥٠ ألف ساعة إرسال في السنة منها ٢٥ ألف ساعة سنويا فقط فرنسية الإنتاج والباقي أميركي وهي عن مسلسلات العنف وتغيير المجتمع إلى العادات الأميركية وتقع كل ثانية حادثة سرقة وكل ٣ ساعات

جريمة قتل وكل أربع ساعات جريمة اغتصاب، ويقول جارودي رغم أن الشعب الفرنسي لديه تحصين ضد هذا الشيء إلا أن ملامح التغيير بدأت تظهر واضحة في أرجاء المجتمع، فجزء كبير من السلوك الإجرامي داخل المجتمعات أصبح نتيجة حتمية لمسلسلات الرعب والفرع المنتجة غرباً وإدخال الكثير من أنماط الحياة الغربية البعيدة كل البعد عن تقاليدنا وحياتنا العربية والإسلامية هي نتيجة أخرى لكثير مما يث في هذا الزائر الثقيل الذي لو أحسننا استخدامه لكان إضافة جديدة تساهم في نقل المجتمع إلى مشارف القرن الحادي والعشرين.

ذلك قليل من كثير يحاك ضد الإسلام وأهله في ديارهم على المستوى العقائدي والثقافي، ناهيك عن إغراقهم في مشاكلهم الاقتصادية والأمنية والسياسية والاجتماعية بخلق نزاعات هنا وهناك، والقصد من ذلك إنهاك هذه القوة المتنامية وتحويلها إلى جثة مريضة يسهل الفتك بها، بل لعلها تتجرع السم تخلصاً من حياتها وما تقاسيه من مشكلات.

هذا عن الحرب العقيدية الواقعة الآن والمؤامرات التي تحاك ضد الإسلام. وكما سبق وأن قلت في إحدى مقالاتي بأن إسرائيل قامت على عقيدة، إن هذه هي أرضهم مستندين في ذلك زورا وبهتانا بالتوراة، ويعلمون تماماً أثر العقيدة في الفرد وكيف أنها ترسخ فيه البذل والتضحية والفداء ليفوز بالآخرة، وتعلم أثرها في الفرد المسلم وكيف بنى الإسلام دولته، وهي تطلق على هؤلاء الشباب بأنهم الأصوليون لبث الرعب في قلوب الشعوب والأمم غير المسلمة.. ولذلك فإنها حرب حضارات قد تمتد آلاف السنين وتضيق أجيال وراء أجيال دون حسم المعركة.. وهي أيضاً تحاول محاربة المؤسسة المسؤولة عن الإسلام لإضعافها وبث الفرقة بينها، ونجد تلك الحرب قائمة في واحدة من أهم هذه المؤسسات التي حملت وما زالت

تحمل رسالة الإسلام ألا وهو الأزهر الشريف.. سوف لا أذكر شيئاً عن الجوانب الاقتصادية أو المواجهة الأمنية المرعبة الواقعة الآن فقد سبق أن كتبت فيها ولكن سأقصر حديثي في المقالة القادمة عما تطلبه هذه المواجهة منا نحن المسلمين من إجراءات نحمي بها أنفسنا وليس الإسلام، فالإسلام كفيل بحماية نفسه وكفيل أيضاً بأن يحمي من يحتمي به. فما هو دور الأزهر الشريف وعلمائه في حفظ الأمة وكيانها من التفكك والضياع والإغراق في حمامات الدم.

وإلى اللقاء في المقالة القادمة.



الأزهر والمرجعية الإسلامية (٢ من ٢) (*)

في مقالي السابقة تعرضت باختصار شديد لما يحاك ضد الإسلام خارج دياره وداخلها من أهله ومن غير أهله، وما تتعرض له أهم مؤسسة علمية إسلامية وهي الأزهر الشريف، وطرحت سؤالاً هاماً.. كيف يمكن أن نواجه هذا الخطر الداهم على إسلامنا؟.

للإجابة على هذا السؤال فإننا يجب أن نصلح ذات بيننا حسب الرؤية الإسلامية، ورغم سهولة الإجابة إلا أنها كما يقولون السهل الممتنع، فالمتأمل لديار الإسلام يجد ظاهرتين:

الأولى: انعدام الثقة بين الشباب المسلم وبعض علماء الشريعة الإسلامية، وإطلاقهم عليهم «مفتو السلطة».

الثانية: انحراف في الفكر بين هؤلاء الشباب وهي نتيجة طبيعية للظاهرة الأولى، فلقد تلقفتهم الأيدي وبثت فيهم ما أرادت من أفكار هي أبعد ما تكون عن الإسلام وتعاليمه مما دعا عدداً من مفكرينا وعلمائنا مثل الشيخ الغزالي والدكتور يوسف القرضاوي والدكتور أحمد أبو المجد والدكتور عبدالعزيز كامل رحمه الله.. وغيرهم كثيرون، يصدرون كتباً قيمة في هذا المجال ترصد تردياً فكرياً انتشر بين هؤلاء الشباب، فعلى سبيل

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ٩/مايو/١٩٩٣ .

المثال أصدر الشيخ الغزالي كتابه «هموم داعية» ولم يكن الشيخ الجليل ليضيع وقته في مثل هذه الأمور إلا بعد أن ملأ قلبه الفزع والهلع على أبنائه الشباب الممتمئين حماسا وقوة وهو يراهم ينزلقون إلى منزلق خطير.

إنهم يتركون الهموم الحقيقية للأمة الإسلامية ويشيرون توافه الأمور ويحولونها إلى قضية القضايا تصوروا منهم بحسن نية أن هذه القضية هي بداية الإسلام الصحيح، وما معركة النقاب في الكويت إلا مثال آخر، وأورد قصصا كثيرة أقل ما يقال فيها أنها ملهاة للأمة عن الخطر الداهم المطبق عليها، ونفس الشيء أثاره الدكتور القرضاوي والدكتور أحمد كمال أبو المجد في مقالاتهما وكتبهما، ورأينا ذلك في محاولة الإعلام المصري آنذاك للتصدي للمشكلة في ندوة الرأي. وهذه الظاهرة في حد ذاتها تدعو للتأمل في هموم هذه الأمة التي لا تملك من أمر قوتها شيئا، وبالتالي فلا تملك من أمر قرارها خلاصا ولا منفذا، أقول هذه الموجة التي اجتاحت الأمة الإسلامية من أقصاها إلى أدناها حسب وصف الشيخ الغزالي فكان يجابه بنفس الأسئلة في كل الأماكن التي زارها ويلتقي فيها بهؤلاء الشباب.. ما معنى هذه الظاهرة وانتشارها وبث هذه الأفكار التي تدعو إلى الفتنة وتكفير بعضنا البعض؟ أنا أؤكد كما كتبت سابقا أن هؤلاء الشباب مخترقون من قبل المخابرات الإسرائيلية وكل من يخشى المد الإسلامي، يغذونهم بهذه الأفكار الهدامة التي لا تخدم لا الإسلام ولا المسلمين. واقرأوا إن شئتم الإسرائيليات، وما فيها من تعاليم واضحة لشق الصفوف جميعا إسلامية وغير إسلامية.

منارة علمية

إذن أمام هذا التمزق النفسي الداخلي بين المسلمين لا بد من وجود

جهة مرجعية إسلامية يرتضيها علماء الأمة الإسلامية وشعوبها، والجهة الوحيدة المهيأة والمرشحة في نظري هي الأزهر الشريف، وإذا رجعنا إلى الوراء سنرى بأن الهدف الذي من أجله أنشئ الأزهر هو أن يكون منارة علمية مرجعية إسلامية للمسلمين في شتى أنحاء العالم، وقد كان الأزهر على مر العصور كذلك. كان حصنا إسلاميا منيعا يقف في وجه الطغاة والظالمين فالإمام الليثي «وهو إمام أهل السنة» و«العز بن عبدالسلام» سلطان العلماء، كانا مع غيرهما ملاذا لكل ضعف أو مستضعف في الأرض حتى يأخذوا له الحق. وكانوا ملجأ علميا وسياسيا لديار الإسلام أمام الغزاة وكان رجال الأزهر قادة ثورتهم ضد غزو نابليون وحتى اليوم إلى تحرير أفغانستان، أما مكانته العلمية فلقد تميز الأزهر عن بقية الجامعات الإسلامية بل والعالمية، بأن منارته العلمية من أقدمها وكان وما زال يؤمها طلاب العلم والدين من أقصاها إلى أقصاها (ماليزيا، الهند، باكستان، تايلند، أفريقيا..). وغيرهم حتى المستشرقون في دراساتهم يلجئون للأزهر الشريف كما نجد من خريجيه من يعتلي أعلى المناصب الإدارية بل رئاسة بعض الدول، وقام على عاتق أبنائه إمداد العالم أجمع بخيرة علماء العالم الإسلامي في الدين الإسلامي، وأذكر حادثة حدثت في العصر الحديث أن الرئيس ضياء الحق رحمه الله، خرج لاستقبال شيخ الجامع الأزهر في المطار وخالف بذلك قواعد البروتوكول، وعندما سأله المغرضون أجاب بثقة بأن كل دولة في العالم لها رئيس بينما لا يوجد إلا أزهر واحد في العالم وشيخ واحد وهو رمز للعالم الإسلامي فحق علي أن أقره في شخص شيخه الجليل.

إذن فلدينا جهة كبرى لديها المؤهلات العلمية والروحية والعقائدية والقبول الشعبي والعلمي محليا وإقليميا وعالميا، هذه الجهة هي الأزهر الشريف.. نريد أزهرًا مستقلا استقلالًا كاملا لا وصاية عليه، وأزهرًا لكل المسلمين مرجعا شعبيا وعموميا.. هذه الدعوة ليست بدعة ولا جديدة،

فالنظام البابوي في المسيحية متأصل، وفي اليهودية نفس الشيء وفي الإسلام في المذهب الشيعي، وهي ليست دعوة لإقامة دولة كهنوتية أو دولة دينية، فالإسلام رفض الكهنوت وعبادة المادة، وعلى مر العصور الإسلامية ووقت أن كان الأزهر قويا يقود الثورات ضد نابليون والإنجليز وضد الطغاة، ويوم كان شيخه يرجى رجاؤه لدى الحكام والمحكومين لم تكن في ذلك الوقت في مصر دولة دينية بل دولة مدنية يحكمها حكم مدني، ولكن كان لعلماء الإسلام المستتيرين وقتها متمثلا بالأزهر رأي في مجرى الأمور التي تهم مواطنيه، ولذلك فإن شيوخه أعرضوا عن الحياة الدنيا ولم يكونوا من حاشية السلطان ولكن كانوا حكماء للشعب.. ولذلك كان أبنائه امتدادا له ولم يشهد هذا التصنيف الذي نراه اليوم لعلمائه إلا بعد تسييسه ومحاولة طمس هويته «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون» / سورة الصف.

فالأزهر بعالميته هذه يحتاج إلى إعادة نظر مرة أخرى في هيكلته، ولعل أولى الخطوات هي تشكيل مجلس أمناء عالمي من الدول الإسلامية على أن يكون العلماء الممثلون لكل دولة منتخبين من قبل علماء تلك الدولة، والدور الحكومي في هذا المجال هو مجرد إعلان الأسماء، ويكون شيخ الأزهر الشريف أيضا منتخبا من قبل مجلس الأمناء، ومن بين علماء مصر تكريما لدور مصر وعلمائها الذين أحسنوا ضيافته ومساندته ومؤازرته.

بهذا التصور ستكون لدينا جهة مرجعية للشعوب والحكومات الإسلامية وغير الإسلامية، فلو تدارست الحكومات هذا الاقتراح سنقضي على عنصر خطير من عناصر الفتنة والافتتال الدائر اليوم في أهم بقعة من أرض الأمة الإسلامية، والمواجهة الدموية بين أبناء بلد شقيق حبيب هو مصر، سنصلح المسار، سيعطي الأزهر المنتخب المعتمد مجلس أمناءه من الشعوب رأيه

فيما يجري، وسيكون هناك السمع والطاعة والعاقبة على من افتري... إن الخوف من الإسلام ومن مرجعية الأزهر لا محل لها، فإسلام العقل والحق والموعظة الحسنة يمكن أن يقدم الكثير والكثير من الحلول ويستطيع أتباعه أن يقفوا سدا منيعا في وجه محاولات شق الصفوف. إن أبناءه لا يطلبون إلا أشياء بسيطة هي عدالة التوزيع، والبعد عن الهوى، وقطع دائرة الفساد والتسلط من قبل أية فئة مهما كانت مبرراتها وحججها، وهم في المقابل على استعداد أن يقبلوا كل شيء مهما كانت الحياة الاقتصادية أو الاجتماعية أو الضغوط السياسية صعبة، فكل شيء يهون لديهم إذا تحققت تلك المطالب البسيطة، هل هذه المطالب حقا بسيطة أم مستحيلة؟؟

لا تدعوها تسقط

تبقى نقطتان أساسيتان:

الاولى: التمويل المالي.

الثانية: لماذا الحديث عن الأزهر الشريف ومصر...؟

وهل يعتبر ذلك تدخلا في شؤون مصر ونحن في الكويت في غنى

عنه؟

أما عن الأولى فالثابت أن الذين أقاموا الأزهر ومن جاءوا بعدهم كانوا أكثر إدراكا لدوره وكانت نظرتهم أكثر بعدا وشمولية، فخصصوا له الوقف ليغنيهم عن السؤال لدرجة أن بغلة شيخ الأزهر كان لها وقف خاص بها، ورغم أن المغرضين يتندرون بهذا كمادة للفكاهة والسخرية إلا أن مدلولها أعمق بكثير، فهم كانوا يريدون أزهارا قويا يقول كلمة الحق في وجه سلطان جائر دون خوف أو وجل، وعلى السلطان السمع والطاعة. فالأزهر بما لديه

الآن من وقف يستطيع أن يكون لديه ما يكفيه ولا فضل لأحد عليه . ولعل التاريخ يعيد نفسه، ففي الأسبوع الماضي عقدت ندوة بالكويت عن استثمار الوقف وعليه يمكن الاستفادة منه للتغلب على الكثير من مشاكل المسلمين .

أما النقطة الثانية وهي الحديث عن الأزهر ومصر بأنها هموم داخلية مصرية وهذا قول قاصر وخاطيء . فالיום يخططون لوأد مصر عن طريق الإسلام وإحداث الواقعة بينهما وإغراقها في حمامات الدم «لا قدر الله» فإذا سقطت تداعت بقية الأعضاء، وما حدث للخليج في الآونة الأخيرة كان بسبب تغيب مصر، والنظام العراقي لم يغز الكويت إلا بعد أن تصور واهما أن مصر انحازت له في الاتحاد العربي، فعلينا جميعا واجب مقدس للدفاع عنها ومساندتها والوقوف بجانبها إلى أن تخرج من مأزقها، فهي القلب بالنسبة للأمة العربية وإحدى منارات العالم الإسلامي، والدفاع عنها هو الدفاع عن الخليج، وسقوطها سقوط لنا جميعا، فلا تدعوها تسقط وعلى كل منا أن يساهم بما يجود، بالقلم أو بالمال أو بالنفس فهي وطن كل عربي مسلم مخلص . . والبعد الاستراتيجي لنا جميعا، والدفاع عنها دفاع عن أوطاننا .

فإذا أحجمنا عن الرأي والمشورة التي ندعو الله أن تكون مخلصه لوجهه، وإذا لم نطرق المشكلة من جذورها سيستمر هذا المسلسل الدموي والعنف والاختراق، ولن يكون هناك فائز بيننا، بل الكل خاسر، والفائز هو إسرائيل وأعداء الإسلام. لعل كلماتي البسيطة ورؤيتي المتواضعة تلقى في القلوب مكانا وفي العقول مستقرا .

وفي النهاية أقول بأن الأزهر قيمة إسلامية فهل لنا أن نحافظ عليها وننميها ونفوت الفرصة على أعداء الأمة الإسلامية؟! .

والله يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه . .



جنوب لبنان وهروب أمة (*)

في آخر مقالة لي في الوطن ذكرت بأنني سأتوقف مرحلياً عن الكتابة
لحين عودتي من إجازتي الخاصة .

ويشاء القدر أن أكون في لبنان ساعة الاجتياح الإسرائيلي الهمجي
للبنان الشقيق، ولكن قررت إلغاء قراري بعدم الكتابة لأن هذا حدث هام
لأشارك الأمة أحزانها، وكانت هذه الأيام هي نفس الأيام السوداء التي
عشناها بالكويت أثناء الغزو العراقي الغاشم في الثاني من أغسطس ١٩٩٠
وكان القدر مكتوب عليّ أن أرى نفس المناظر والمشاعر الإنسانية التي كتبت
عنها في جريدة الوطن ليوم الغدر العراقي بنفس التفاصيل للإخوة اللبنانيين .
تملكني شعور نفسي غريب وأنا أرى هذه الآلاف المؤلفة تغادر الأرض
والبيت، تحاول التمسك بالحياة وتستغيث برب العباد، بعد أن تخلى عنها
الإخوة والأصدقاء . . فهذا كهل لا يقوى على الحركة يحاول أن ينجو
بنفسه، وهذه أم تحمل وليدها بعد أن فقدت ابنها منتحبة ضاقت عليها الدنيا
بما رحبت . . وهؤلاء يستخدمون الدواب وآخرون سيراً على الأقدام وآخرون
حشروا في سيارات يسارعون إلى النجاة هرباً من أهوال الحرب الدامية،
والتي وقودها الناس والحجارة . . هل هو الهروب الكبير للأمة العربية أمام
هذه الهجمة الصهيونية ممثلة في جنوب لبنان؟! تلك المشاعر والأحاسيس

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ٨/٨/١٩٩٣ .

عشتها بنفسى حيث قررت الذهاب إلى صيدا لأرى هروب أمة أمام عدوها بعد أن هانت عليها نفسها فهانت على عدوها، أمة عاجزة عن الخروج بقرار حاسم.. أمة تعيش التحدي وتقبله بالخذلان والضعف والاستكانة من شراذم العالم.. سأترك هذه المشاعر النفسية والقلبية الحزينة جانباً لأكتب عما أراه في موقع الأحداث حيث تحولت إلى مراسل صحفي يعيش يومه في معركة فرضها عدو من طرف واحد.

أعتقد بل أكاد أجزم بأن ما حدث في جنوب لبنان كان مخططاً له بين كل من إسرائيل وأميركا.. فالجولة الأخيرة من مباحثات السلام الإسرائيلية العربية قد فشلت في إحراز تقدم حقيقي، والعرب رغم قبولهم بالفتات وتمسكهم فقط بأقل القليل، وتقديمهم لكل التنازلات المطلوبة بناء على طلب إسرائيل وأميركا، وإعلانها المستمر سواء على لسان وزير الخارجية أو أي من المسؤولين بأن القضية أخذت وقتاً طويلاً أو أسيدانا في أميركا أصابهم الملل (والقرف) فلديهم الكثير من المشاكل العالمية، وأن الجانب العربي وأعود فأقول الجانب العربي فقط عليه أن يدرك هذا ويظهر حسن النية لأن هذه هي آخر محطة لقطار السلام وكما يبدو...!! فكان هناك من الجانب العربي بعض التوقف ليس للمطالبة بشيء، ولكن ليأخذوا أنفاسهم التي تقطعت من الجري وراء قطار التنازلات وقطار السلام، إلا أن هذا أيضاً فسر خطأ فكيف التوقف.. علينا الذهاب راكعين ساجدين نسبح بحمدهم..

فكان الدرس القاسي للجميع العرب وغير العرب بأن هذا هو الوضع الذي يمكن أن يحدث، وهذه بروفة فقط لأحوالكم، إذا لم توقعوا صامتين طائعين، ألم تكن هذه هي تصريحات وزير الخارجية الأميركية «وارن كريستوفر» في القاهرة بعد لقائه مع الرئيس مبارك وأيضاً تصريحات رئيس الوزراء الإسرائيلي.. بل إن رئيس الأركان الإسرائيلي ذهب إلى أبعد من

ذلك وقال بأن أمن شمال إسرائيل وأرضه في الجنوب والشريط الحدودي للبنان هو مسؤولية إسرائيل..!!

الآن بعد أن تم المراد حضر «وارن كريستوفر» إلى المنطقة ومعه الأوراق المطلوبة ونحن شاكرون له تفضله بالقدوم ليحمينا ويمد مظلته علينا، هل من مشاكس فأؤدبه..؟ هل من عاص فأزجره..؟.. النتيجة سوف تعلن قريباً بقبول ما يقدم إلينا سواء أكان فتاتاً أو زبالة.. هذا هو الواقع القادم إلينا ولكن دعونا أيضاً نستعرض ما الأسباب التي أوصلتنا إلى ذلك وهل من مخرج...؟؟؟

أولاً: إن من اليقين بأن البيت العربي وصل إلى حالة يرثى لها من الضعف والمهانة، فالأمة تعيش حالة التمزق النفسي والعضوي، فهي متناحرة متقاتلة مع بعضها البعض. لننظر إلى الخريطة العربية لو أردنا أن نحصل على إجماع لأي شيء، لن نحصل إلا على أن يُقاتل بعضنا البعض على لا شيء.

ثانياً: «الجامعة العربية في ظل الظروف أصبحت لا تمثل كياناً يمكن أن يكون له دور فعال، ولعل جميع هذه الأحداث تجعلها تسرع في تغيير ميثاقها مما يتلاءم مع الأحداث الجارية الآن والنظام العالمي الجديد».

ثالثاً: إذا كان هناك من يقول بأن الحرب الباردة قد انتهت فإنه يعيش في وهم.. الحرب الباردة على أشدها وقائمة، والشرق الأوسط مقسم إلى معسكرين: الأول الدول التي تركب قطار السلام، والثانية المتخلفة عنه تنتمي إلى الأصولية والإرهاب، ولهذه اعتباراتها، والأخرى لها اعتباراتها والمعنى في بطن الشاعر.

رابعاً: إن الخطأ الجسيم الذي سبق أن ذكرته في أكثر من مقالة، والذي وقعت فيه الولايات المتحدة الأميركية ومستمرة فيه، هو التحالف الاستراتيجي

مع إسرائيل وضمان تفوقها العسكري، بل إن إدارة الرئيس الأميركي بيل كلينتون ذهبت إلى أبعد من ذلك.. فشكّلت لجنة من أميركا وإسرائيل للتعاون في الأبحاث في المجالات العسكرية.. هذا التفوق غير المحدود والذي يقابله الشح المفروض على الجانب العربي، أدى إلى الإخلال بالتوازن مما جعل إسرائيل تشعر بالقوة متفردة ومتأكدة من عدم وجود من يرفع ولا حاجبه في وجهها، فطغت وبعثت وطفقت تعيث في الأرض فساداً دون رادع أو زاجر.

خامساً: كل التصريحات التي صدرت عن الإدارة الأميركية أثناء الغزو الإسرائيلي ألقت اللوم على المقاومة اللبنانية وعلى حزب الله وكأنها بهذا تقول نعم أنا موافقة على ما يحدث..

سادساً: إسرائيل ترسل رسالة إلى سوريا تقول فيها بأن وجودك في لبنان مرتبط بوجودي إن عدتم عدنا، وتريد أن تسحب منها ورقة المقاومة الفلسطينية واللبنانية في الجولة القادمة، التي استخدمتها سوريا إلى حد ما،

سابعاً: إسرائيل بهذا الموقف تؤكد على دورها في الشرق الأوسط شرطي المنطقة دون منازع، وبالتالي فإن الاحتياطات الأمنية والمياه والسوق الشرق أوسطية يجب أن تخضع للشروط القادمة وتضع أوضاعاً جديدة للتفاوض من جديد.. فلبنان لها قرارها رقم ٤٢٥ منذ أحد عشر عاماً ويأجتماع مجلس الأمن المفروض والمفروض أن تنسحب إسرائيل من لبنان الآن.. الوضع أصبح مختلفاً وعلينا أن نتفاوض على الجديد فالسلام الإسرائيلي يحتاج إلى هذه الأرض..؟؟

ثامناً: إن أميركا في الفترة الأخيرة اهتزت صورتها أمام العالم فلم تعد الدولة ذات السيادة والنفوذ. وكما يبدو وكما يتنبأ «بول كنيدي» و«روجيه جارودي» وغيرهم بأن نجم أميركا قد أفل، وأن الحرب القادمة هي حرب حضارات، ولعل المستهدف الآن هو الإسلام.. ولذلك فهي أمام تراجعها في

البوسنة والهرسك، وإخفاؤها في كثير من المشكلات العالمية خاصة مع اليابان وكوريا الشمالية؛ فإنها تريد أن تحفظ بعضاً من ماء وجهها أمام العالم في الشرق الأوسط بنجاح مباحثات السلام الواعي والتي ستكون نتيجته وبالا على المنطقة؛ بإغراقها في التطرف وسعى شعوب المنطقة لتحرير أراضيها، وقد يؤدي هذا إلى سقوط أنظمة كثيرة، ولن تنعم المنطقة بالاستقرار.

هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فإن أميركا ستصبح العدو الأول لشعوب المنطقة لأنها فقدت مصداقيتها مع العرب، وانحازت إلى الباطل الإسرائيلي كلية وسينعكس ذلك على الأنظمة الحاكمة المتعاونة معها، وأميركا تعلم تماماً أهمية المنطقة من الناحية الاستراتيجية في الموقع الجغرافي والطاقة... إن الأوضاع الجديدة بهذا الانحياز الأميركي ستحول المنطقة إلى مستودع للبارود قد تمر عليها فترة انهزام لشعوب المنطقة، لكنها لن تطول؛ لذلك فإن على أميركا أن تعيد النظر في مخططاتها ومقدراتها في المنطقة، وتقف كما تدعي مع الحق حتى تتحسن صورتها أمام شعوب العالم الأخرى.

أما عن لبنان العربي القوي المتسامح الذي استطاع أن يعيش طوال هذه الفترة بكل الحب والصدق مع طوائفه الدينية والحزبية، وكان مثالا للديموقراطية والحرية إلى أن خططت له القوى العالمية، وأرادت إحراقه وتدميره لكنه خرج صلباً قوياً يللم جراحه صامداً أمام هذه الرياح العاتية، ولعل جميع الدول العربية تقف معهم وقفة رجل واحد ليستعيد موقعه بين أشقائه، ليؤدي دوره المرتقب منه عربياً حراً مفوئاً الفرصة على أعدائه وأعداء أمته.



اختطاف أمتنا إلى أين؟*

لم أكن أتوقع أن أعاود الكتابة في المقالات الأسبوعية بعد إجازة الصيف.. والأمة تعيش هذه المأساة التي في نظري سيتغير مسارها للسنوات القادمة.. وستقصر ظهرها الأحداث الجسام التي ستعرضها.. خاصة وأن الدمار الذي أصابها أخيراً هو تحطم البوصلة التي كانت تتوجه بها ومعها على استقامة..

فلا غرابة في ذلك، فلقد عشنا السنوات الطويلة، ومنذ تسعين عاماً بالتقريب عندما بدأت خطط الاستعمار الإنجليزي والفرنسي في الدول العربية تغرس الإسفين بين شعوب هذه الأمة، وتضع بداية التفرقة والتشردم وعصر الدويلات، وعصر الخلافات العربية تحت مسميات عديدة، ووفق معاهدات مختلفة قسمت على أساسها المنطقة العربية لتظل بصورة أبدية متفرقة ومشتتة.. وما اتفاقية التقسيم للدولة الفلسطينية إلا آخر هذه المحاولات، ولولا خصوصية هذه الاتفاقية ودخول عنصر غريب «اليهود» تحقيقاً لوعدهم بلفور لليهود في أرض فلسطين لما شعر العرب بأن هذه الأمة العربية الإسلامية قد وضع لها المستعمر الغربي إسفيناً تشتتها وفرقتها.

وعشنا كل هذه السنين نأمل في إعادة الوضع، وناديننا بشعارات

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٣/٩/٢٦ .

الوحدة.. . وكان هذه الشعارات إنما استهدفت زيادة في هذه التفرقة.. . لأنه بعد التشتت وخلق الكيانات العربية وظهور الزعامات ومراكز القوى كان من المستحيل العودة إلى الأصل.. . والشعارات التي كنا ننادي بها والبعض منا اعتقد فيها حقاً كانت تزيد من أحلام هذه الأمة.. . وتقلل فرص تحقيقها.

واختلفنا وتنازعنا وتقاتلنا على الحدود والنفوذ، ولكن لا زالت روح هذه الأمة تبعث فيها الحياة.. . وأصبحت القضية الفلسطينية هي الإطار الذي تتفق عليه لأنه نزاع مع الغير.. . كل كان ينادي بحلها، والبعض دفع ثمناً غالباً من دم الشباب والثروات.. . ومع أن البعض من العرب والمسلمين يدعون أن تحرير القدس كان يمر في بغداد، أو كما كان يبرر الجانب الإيراني حربه مع العراق.. . وهدام العراق غش العالم العربي والإسلامي بأن تحرير القدس يمر في الكويت.. . وكانت المأساة التي عشناها والتي لا زلنا نعيشها في الكويت، ولا زالت القدس غير محررة ولا أعتقد أنها ستحرر وفق اتفاق غزة أريحا أولاً.

والمؤسف أن بعض أهل فلسطين أخذوا من القضية تجارة رائجة وجمعوا ثروات بالملايين، حتى إن إحدى الإحصائيات التي كانت تتكلم عن أصحاب الثروة في الكويت أيام الغزو وجدوا أن عدد الفلسطينيين من أصحاب الملايين في الكويت أكثر من الكويتيين أصحاب الملايين، وكانت إحصائية غريبة للكثير منا.. . ولكن هذه هي الحقيقة.. . فقد أثرى الكثيرون من القضية.. . وسمعنا عن أغنى ثورة في العالم، وتكلمنا عن المنظمة الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني، وعن أموالها الطائلة وأرصدها وعقاراتها في باريس ولندن وأميركا، وعن استثماراتها الطويلة.. . وكنا نكذب على أنفسنا بأن لا خلاص للقضية إلا على يد مسؤولي المنظمة.

وبدأت تتغير الأمور، وما حدث في الأردن من صراع على النفوذ بينها

وبين السلطة.. وما حدث في لبنان للدرجة التي احتلت لبنان ولا زالت محتلة بسبب المنظمة، وأصحاب الشعارات والمدعين بالقضية الفلسطينية... ورأينا مواقف المنظمة من الكويت الدولة التي أعطت لهم أكثر من أي دولة أخرى.. فزعماءها كانوا في الكويت.. وأعلنت ثورتهم من الكويت.. وزعيمها كان مهندساً مقاولاً في الكويت، وكفيله بوسيف لا زال يتذكر أيامه.

كل ذلك قبلنا فيه على أمل أنها أخطاء وسوء حسابات.. وعدم وقوف الأمة مع القضية.. خلافات بين الزعامات.. وغير ذلك من الأعداء كما نعطيها للمنظمة رافضين أن نحطم آمال الأمة في استرجاع فلسطين وعلى أمل أن يكون ذلك أملاً في عودة الوحدة لصفوف هذه الأمة.. وكنا نحلم.. ويحق للإنسان المظلوم على الأقل أن يحلم.. ولكن حتى هذا الحلم الذي كنا نلجأ إليه.. انقلب فجأة إلى كابوس أيقظنا من سبات عميق، ومن عالم الخداع.. والكذب والمراعاة.. والضحك على الذقون.. ووجدنا حقيقة ما يضمه أصحاب القضية وتجارها.. واكتشفنا أن المرحوم السادات كان أشرف منهم وأكثر إيماناً بالقضية وزعيم مصر أكثر الدول العربية عطاء وتضحية للقضية.. كان هذا الزعيم على حق وأغلب الدول العربية كانوا على باطل؛ لأنهم رفضوا أن يسمعوا كلام هذا الإنسان الذي أعطى للقضية الفلسطينية الكثير.. وأعطاهم في (اتفاقية كامب ديفيد) أضعاف الفتات التي قبلوها أخيراً تحت عذر إشهار الدولة الفلسطينية ولو على شبر واحد من ترابها، وحتى مطالبة أبو رقية الذي نادى بمبدأ «خذ وطالب».. واتهمناه زوراً بأنه عميل للغرب، ثبت أنه على حق، ويا ليتنا سمعنا كلامه ولم ندخل معه في مزايدات كاذبة لكننا حصلنا على أكثر مما أعطتنا اتفاقية غزة أريحا أولاً.

إن ما يسمى بالاتفاق الأخير الذي رأيناه وهو يوقع أمام العالم وبإخراج

متقن حقق أخطر أنواع الذل ونحن نشاهد أراجوز القضية «الختيار» وهو يحترق شوقاً لمصافحة راين.. في حين الأخير يتردد.. لبعض الوقت.. غير مصدق أنه سيحصل على كل هذا بهذه السهولة وأمام العالم كشهود عيان.. والأكثر مذلة صورة يد الأراجوز «الختيار» المتلهف لمصافحة عدو آخر.. بيريز، الأخير يتردد بصورة تلفزيونية.. ليؤكد بأنه لم يمد يده إلا لخاطر عيون المشاهدين..

والكاميرا تسجل للعالم هذه المواقف المشينة والذليلة للأمة العربية التي تمثلت في هؤلاء الأشخاص مع الأسف.. وأنهى العالم فيلم القضية العربية الإسرائيلية والكل أصبح سعيداً لهذه الزيجة الشيطانية، وأخذوا يعلنون بأن النقوط لهذا الزواج المأساوي سيكون بالملايين تراوحت ما بين ٩٠ مليون دولار نقداً إلى ٢ مليار دولار على عشر سنوات كلها وعود بطبيعة الحال، وهي لا تختلف عن وعد بلفور، ولكن هذه المرة وعد بإعطاء الشعب اليهودي وطناً في جميع الدول العربية، وعلى الدول العربية أن ترضى بذلك.. وغير هذا معناه الدمار والتشتيت وزيادة في الإذلال.. فلقد أعطى الإسرائيليون الدرس للعرب في ضربهم للبنان وهم يعبرون بهذه المسرحية الدرامية، مؤكدين بأنه إما القبول والخضوع لشروطها.. وإما الدمار والويل والثبور لنا..

هكذا انتهى الفيلم (المسخرة) الذي كتب السيناريو له «هرتزل» وأعدده للسينما «بلفور» وأخرجه الغرب للعالم، وكان مساعد المخرج فيه الروس. وهو ما تبقى من اسم الاتحاد السوفياتي، وقد أذيع الفصل الأخير للمسلسل على الهواء...!!

أي أن العالم كله استراح بالنهاية السعيدة تماماً كالأفلام العربية. وذهب الممثلون بما حصلوا عليه من غنائم، وخرج المشاهدون من السينما

وهم ما بين مذهول أو مصروع، لكنهم مكتفون بأن القضية قد انتهت رغم المآسي وأن العالم العربي سيكون على خير. . وتحقق للغرب واليهود ما أرادوا وما كانوا ينادون به منذ زمن طويل. . لماذا لا نجمع عبقرية اليهود وإمكانياتهم الفنية الكبيرة وثروة العرب وخيراتهم وسوق الغرب والشرق. . ويتحقق حلم إسرائيل. . لا أن يحكموا دولتهم من النيل إلى الفرات فقط. . بل العالم كله شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً. . والنظام الدولي الجديد الذي تحكمه الولايات المتحدة سيكون خير ميدان لمثل هذه العملية.

سنعيش هذا العالم الجديد. . وسنرى سطوع نجم الصهيونية وستتحقق أحلامهم وسنعيش كما يريدونها لنا. . وكما ذكرت في عدة مناسبات. . مصيرنا لا يختلف كثيراً عن مصير الهنود الحمر في الولايات المتحدة. .

كل هذا يحدث بصورة مذهلة. . وكل هذا من الصعب استيعابه بهذه العجالة. . وأصبح الإنسان لا يعرف ماذا يكتب لأننا نعيش هذه الأيام زلزلاً تتصدع فيه كل مقومات أمتنا. . ونعيش عصراً غريباً أصابنا بالذهول. . ونحتاج لبعض الوقت حتى نستطيع الوقوف على أرجلنا لنرى بصورة متوازنة. . ولكن عند استرجاع الأحداث التي مرت على الأمة منذ عشرين سنة تقريباً يؤكد بأن العملية كلها تسير وفق خطة محكمة يقودها الصهيونيون وبدعم من أصحاب المصالح في الغرب والشرق. . ولقد وضع لبعض الزعماء العرب، ولكل فرد عربي دور خاص يتحتم علينا أن نلعبه. . وبأننا لاعبون. . وهم أقل الناس رؤية لأنفسهم.

دعونا نهديء من روعنا فوفاة قضيتنا قد تمت. . وعلينا ألا نطيل أيام العزاء. . وجلسوس الأربعين. . وبعد ذلك الذكرى السنوية، وغيرها من الممارسات التي تعودنا عليها دائماً عندما يتوفى الله أحد أفراد عائلتنا.

بل على عكس ذلك دعونا نحاول خلق الحياة من الفتات الباقية

ودعونا، خاصة نحن دول الخليج العربي نعيد حساباتنا لأن اللعبة أصبحت على الثروة النفطية العربية والكل سيحاول سرقتها بصورة أو بأخرى.. فلنحذر اليهود أو سماسرتهم من بين صفوفنا، وأن نأخذ الحذر ونتابع طائرة الأمة المخطوفة ونتأكد من أنها لن تتحطم إلى الأبد.. ودعونا نرصد المسار لعلها تهبط على أرض يمكن أن نتفاوض مع الخاطفين لاستعادة أمتنا.. وإذا حصلنا على الطائرة فنحن المخطوفون، ولا شروط للمخطوف إلا أن ينفذ بجلده، وأما الخاطفون فسيكونون أصحاب القرار.. وسيعاودون خطفها مرات ومرات.. فهؤلاء الخاطفون ليسوا إرهابيين أسوة بدولة الإرهاب إسرائيل التي استطاعت أن تقنع العالم بأنها هي الجنة وهم الملائكة ولا يمكن أن تخطيء الملائكة رغم كل ما يقومون به من إرهاب ليس لفلسطين أو للأمة العربية أو الإسلامية فحسب.. بل لكل ملة وشعب لا يدين بدينهم وعقيدتهم الفاسدة.



الدول العربية وأولوياتها*

بعد إعلان اتفاق غزة أريحا الهزيل وجدت نفسي أعيش حالة من الغضب مثل تلك الأيام التي هتك هدام العراق جدار الثقة بين الكويت والعراق.. ففضية فلسطين كانت قضية كل كويتي حكاماً ومحكومين، كنا جميعاً نعيشها بالقلب والعقل فنفديها بالنفس والمال لدرجة أن سمو ولي العهد الشيخ سعد العبدالله عرض حياته للخطر يوم أن ذهب للإفراج عن رئيسها ياسر عرفات وهو محاضر بالأردن، وأعطاه ملبسه، وكان من بين الوفد الذي ذهب إلى العاصمة الأردنية آنذاك.. حتى في ساعات العسرة في الكويت ووقت محتتها لم يغفل حضرة صاحب سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أن يناشد الرئيس بوش بالسعي لإيجاد حل عادل ومنصف للشعب الفلسطيني، وغيرها الكثير من المواقف التي لم تبخل بها الكويت على مساندة ودعم القضية، وأنا لا أقول ولا أسرد هذا للتفاخر أو للتباهي أو للتباكي وإن كان هذا حقنا، ولكن إيماناً من الجميع بعادلة القضية وإخلاصاً ووفاء لأولى القبليتين وثالث الحرمين وخوفاً من السيطرة اليهودية من الفرات إلى النيل.. هذه القضية التي عشت فيها بقلبي ووجداني وعقلي أدافع عنها في المحافل الدولية.. فجأة وبدون مقدمات نصحو على أبناء الاتفاق المشؤوم، ووجدت نفسي أكتب المقالة السابقة تعبيراً عن غضب جامع

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٠/٣/١٩٩٣

تملكني . . ولكن لم يأت هذا الاتفاق من فراغ بل كانت له مقدمات . فعندما غزا هدام العراق الكويت ومنذ اللحظات الأولى لهذه الجريمة الكبرى أيقنت أن الأمر أكبر من مجرد غزو لبلد عربي من جارة عربية، ساعتها أدركت أن توقيع الصلح مع إسرائيل سيتم على أشلاء الكويت، فلم يجدوا إلا هدام العراق لتمهيد الجو وإغرائه بالإقدام على فعلته، ولم يكتفوا بذلك بل أوحوا إلى وجه الشؤم ورفاقه في منظمة التحرير الفلسطينية بالاندفاع الجارف نحو تأييد العراق قولاً وفعلاً علانية وجهاراً نهاراً، وكان الأولى به وبرفاقه أن يقفوا على الحياد إن لم ينحازوا إلى الحق، فدولتهم محتلة ويجهادون لتحريرها، ولكن كما يبدو بأن جهادهم للتحرير اتخذ طرقاتاً أخرى فكانت لتحرير الدينار الكويتي والحصول على جزء من الكعكة لعلها تكون كبيرة وذات مذاق مستساغ إلا أنها كانت مرة مرارة العلقم وهم يتجرعون مرارة الكأس وسوء نيتهم . . أيضاً من بين ثمار الغزو الذي جنته المنظمة وقف الدعم المالي الذي لم تبخل الكويت به طوال الفترة الماضية قبل الغزو فظهرت المنظمة بعد التحرير عاجزة عن استيفاء متطلبات أبنائها، وهذا ما أشك فيه كثيراً فلدى الكثير من أبناء الشعب الفلسطيني من يملكون الملايين، ورؤوس الأموال الطائلة بل أن أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية من أغنى الأغنياء على المستوى العالمي، والذي لو تبرع كل واحد منهم بالقليل لاستطاع أن يكفي أبناء شعبه الكثير، ولذلك فإنني أستبعد مثل هذا السبب ولكن السبب الأكبر وراء اللهاث للتقاط الفتات هو نفس سلوك رئيس وأعضاء المنظمة .

هل تذكرون الانقلاب الذي وقع ضد (غورباتشوف) من كان أول المؤيدين له كان عرفات، إذن هو يسعى إلى الكرسي وبأي وسيلة كانت، حتى ولو كان ذلك على حساب قضية شعبه ووطنه . . لقد وجد المناضلون خريجو الأشاوس أن سجادة الحكم تسحب من تحت أقدامهم، ومجموعة

أخرى تهيأ للحكم والأضواء سلطت على المجموعة الجديدة وانطوت صفحة منظمة التحرير الفلسطينية. ولم تعد تستثار ولا ذكر لها في أي محفل دولي فطعن أولادها وسارعت تلهث وراء ما يقدم لها حتى يبقى صاحب القبلات في الأضواء يمد يده ليقبل يد راين والآخر يزدرية ويقول له إنه على وضوء خوفاً من النجاسة وأن ينقض وضوءه. أقول انتهكوا حقوق إخوتهم وخانوهم واتفقوا من وراء ظهورهم.

وللوصول إلى هذه اللحظة كان لابد أن يدخل العرب المفاوضات بالشروط الآتية:

إخراج العراق وللأبد من الساحة، ومكافأة صدام ببقائه في الحكم حتى اليوم...

وأيضاً أن يدخل العرب وهم في أضعف حالاتهم، فالجميع في حالة تشردم عالمي والكل يسعى وراء لقمة ومستعد أن يتحالف مع الشيطان في سبيل البقاء على كرسي الحكم... أيضاً أن يدخل العرب المفاوضات، وليس أمامهم خيار آخر (فشمشون) لديه مئات القنابل الذرية والنوية وترسانته غنية بأسلحة الدمار الشامل ولن تمس، بل إنها لم تكن مجالاً للمناقشة أو البحث لكي يجاب لها كل شيء، فعلى سبيل المثال من بين ما أذيع بأن المنظمة سوف تغير من ميثاقها، وتلغي كل ما يمس إسرائيل، والغاء الكفاح المسلح المشروع الذي شرعه القانون الدولي، في مقابل ذلك لم تطالب المنظمة إلغاء شعار إسرائيل الموجود في كل مكان من أن أرضها تمتد من الفرات إلى النيل. كان الأجدر أن تطالب المنظمة فقط بإلغاء هذا الشعار وتحديد جغرافية إسرائيل، ولكن الأشاوس راضون، المهم أن يظهروا في البيت الأبيض، وأن يقبل زعيم المنظمة رئيس وزراء إسرائيل... إنها مهانة ولعلي استعير تعليق الرئيس (كارتر) في استغرابه على هذا الموقف من المنظمة فقال

«لقد عرضنا في اتفاقية كامب ديفيد حكماً ذاتياً كاملاً على كل الأراضي (وكررها) وكتبها بيغن بخط يده، والآن يقبلون حكماً ذاتياً محدوداً على رقعة بسيطة من الأرض، أي مهانة هذه.. ١٩١٩! لن أتحدث أكثر من ذلك في هذا الموضوع، ولن أكون فلسطينياً أكثر من الفلسطينيين أنفسهم، فهم أدرى بشعاب قضيتهم. فقط أردت أن أذكرهم فإن الذكرى تنفع المؤمنين، وللأسف الشديد اضطررتني مواقف المنظمة أن أقول هذا الكلام وهو شعور الجميع بالكويت، ولكن علينا نحن الدول العربية والتي ستدفع الثمن غالياً لهذا الاتفاق أن نناقش مستقبل المنطقة بصورة واقعية، فلقد وقعت الواقعة وليس لوقعتها كاذبة، وهناك بعض النقاط والتي أحب أن أضعها أمام الجميع حكماً ومحكوماً:

أولاً: لعلنا جميعاً لاحظنا ما صاحب هذا الاتفاق من ضجة إعلامية صاحبتها دعوة عالمية تبنتها الولايات المتحدة الأميركية لإعادة إعمار المناطق الفلسطينية تحت الحكم الذاتي، وطبعاً طالبت جميع دول العالم بالإسهام في هذا الموضوع وعلى رأسهم الدول الخليجية، وحسناً فعلت الكويت بموقفها الواضح ضد مكافأة المعتدي وضد استغلال الدول الخليجية ولا تساهم في مباركة هذا الصلح المنفرد.

فإسرائيل وقعت على الاتفاقية وعينها على المياه والنفط والسوق الاستهلاكية.

فهي تريد التطبيع وبأقصى سرعة ممكنة مع الدول العربية.. فالدول الخليجية لن تعصي أمراً لولي الأمر بتسخير مواردها من نفط وأموال وأسواق استهلاكية لخدمة (شعب الله المختار من اليهود).. السؤال هنا هل سيتحول الإخوة الفلسطينيون إلى رأس الحربة لاختراق الدول العربية بشركات إسرائيلية تحت مسميات عربية، لتدور العجلة بأقصى سرعة ممكنة خاصة

أمام هذا الجيل الذي لم يتخط بعد الحاجز النفسي مع عدو الأمم؟.. إن إسرائيل وأحبابها يروجون لمقولة أن يتحول قطاع غزة إلى هونغ كونغ الشرق الأوسط، وأنا لا أستبعد ذلك بأموال خليجية لتبقى أسيرة إسرائيل، فلا يستطيع أصحاب الأموال التحكم فيها، ولكنها تبقى مسيرة ومسخرة لخدمة (شعب الله المختار!!).

ثانياً: إنني في إحدى زياراتي لدولة عربية شقيقة استمعت لأول مرة عن موضوع (السوق الشرق أوسطية) ولمكانة هذا الشخص أيقنت أن هناك أمراً آخر بإنهاء ما يسمى بالهوية العربية، ولعل دور الجامعة العربية أخذ الآن في التقلص يوماً بعد يوم، وسينتهي تماماً بعد أن تنتهي مهمة التطبيع، وإقامة علاقات كاملة مع دولة إسرائيل، ثم تغرق بعد ذلك في الديون وعدم المقدرة على الإيفاء بمتطلباتها المالية؛ لتحل نفسها بنفسها ويصبح وجودها عبئاً كبيراً على الدول فتنتهي من وجودها.

بل إن خطوات إذابة الهوية العربية قد بدأت بالفعل ففي محاضرة «لمارتن إنديك» أمام مجلس الأمن القومي، أشار إلى ضرورة وجود (خارطة جديدة للشرق الأوسط) واقترح أن ينتمي المغرب العربي إلى أوروبا، والدول الخليجية إلى آسيا، ومصر إلى أفريقيا، واقترح قيام (سوق شرق أوسطية) تضم إسرائيل ومصر والسعودية ودول الكومنولث المستقلة حديثاً، ومن الواضح هو إذابة القومية العربية وإنهاء وجودها وتشتيت الوجود العربي.

فهل نحن على استعداد أن نواجه مثل هذه الخطط التي يجري الإعداد لها على نار هادئة؟ أم مازلنا نغط في نوم عميق وننتظر ما سيصل إلينا من أفكار وهبات..؟!.

ثالثاً: إن إسرائيل بترسانتها الرهيبة من أسلحة الدمار الشامل من نووية وجرثومية وكيميائية، ستظل خطراً يهدد المنطقة بأسرها، وهنا يجب أن تستغل

الدول العربية الفرصة على التفاوض والضغط بنزع الأسلحة التدميرية الشاملة كاملة من المنطقة نظير رفع المقاطعة عنها، وتطالب أميركا والدول الغربية بمساندة هذه المطالب ودعمها تعزيزاً للسلام إن كانت صادقة .

رابعاً: إن الدول العربية مدعوة اليوم قبل أي وقت مضى أن تعض بالبنان على قوميتها، فهي مهددة في أرزاقها ويجب ألا تفرط في ذرة تراب أو حق من حقوقها، هي مدعوة اليوم أن تغير من النظام الأساسي للجامعة، وأن تضرب بيد من حديد على من تسول له نفسه ضرب تضامننا .

من كل ما سبق ومن غيره أيضاً فإن جامعة الدول العربية عليها أن تغير من أولوياتها سياسياً واقتصادياً وإعلامياً وتعليمياً، لتحمي أبناء أمتها وإنها للحظات هامة وخطيرة لن يرحم التاريخ فيها أحداً يتعاس عن نصرته أمة أو يتهاون في حق من حقوقها، هذه كلمات بسيطة لكن الصورة أكثر إيظلاماً مما نعرض له بالكتابة، فأنا أخشى أن نتحول جميعاً إلى عمال بالسخرة لدى اليهود فإمبراطوريتهم تتحقق الآن على مرأى وسماع منا جميعاً كما ذكرت في مقالتي السابقة فقد تملك الشرق الأوسط من الفرات إلى النيل . . رأيت هذا يوم كتبت عن اجتياح إسرائيل لجنوب لبنان، واخترت له عنوان «اجتياح لبنان وهروب أمة» وفعلاً نحن الآن في حالة هروب نفسي وروحي وجسدي ولا نعلم ماذا يخبىء لنا القدر. ولكن الله لطيف بعباده . . .

على الدول العربية أن تحدد مفهوماً جديداً للأمن الاستراتيجي من هذا العدو الآن لأنني أتوقع أن يظهر مفهوم جديد لتحديد العدو، وستقع معارك حدودية داخل دول المنطقة يتحدد بعدها من هو العدو؟؟؟؟

والحديث موصول في هذا المجال إن شاء الله .



من هو العدو القادم؟! (*)

بعد توقيع اتفاقية غزة - أريحا بين الفلسطينيين وإسرائيل.. انبرت إسرائيل والدول الغربية تحمل دعوى بأن صراع الشرق الأوسط قد انتهى إلى غير رجعة.. والإذاعات والصحف لا تترك مجالاً إلا وتكتب في هذا الموضوع بل تذهب إلى أبعد من ذلك وتبشرنا بقرب دخول المنطقة عصر الرخاء، ويرسمون لنا صوراً وردية للمستقبل.. وكثير من أبناء العرب وللأسف الشديد وبعض من كتابنا ومفكرينا سرعان ما انخرطوا في هذا التيار، وهم بذلك يخالفون ضمائرهم ويذنبون في حق أوطانهم وأبنائهم ومستقبل بلادهم.. الواقع غير ذلك تماماً، فإذا كانت المواجهة العسكرية قد انحسرت لفترة ما لا نستطيع تقديرها في الوقت الراهن إلا أن الصراعات القادمة في المنطقة ستكون أكثر شراسة وحامية الوطيس.. وللأسف الشديد إن الجانب الإسرائيلي مدرك لهذه الحقيقة تماماً، فالصراع لم يكن على قطعة أرض أو مذهب ولكنه صراع حضارات.. صراع بين الحق والباطل.. صراع بين الخير والشر.. ولذلك فإنني أعتقد بأن الأمر لم يعد أكثر من هدنة مؤقتة، ستضع إسرائيل غزة والضفة الغربية وأموال العرب أسيرة لها حتى إذا ما أزفت الأزفة استطاعت أن تتد المولود بالخنق أو القتل والشواهد على ذلك كثيرة:

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٠/١٠/١٩٩٣

أولاً: لو أن إسرائيل كانت مؤمنة بالاتفاقية لأعلنت على الفور إلغاء شعارها من «الفرات إلى النيل» بشعار حدود الأرض الجديدة التي تم تخصيصها.. لكنها لم تتنازل عن ذلك.. فليس من حق أحد اتخاذ هذا القرار.. ولكنها قسمت ذلك إلى مرحلتين.. الأولى تم تحقيق الاستيلاء الاقتصادي والأمني والسياسي والتعليمي.. والإعلامي.. في هذه المرحلة وعلى أيدي هذا الجيل، المرحلة الثانية هي الاستيلاء على بقية أرض إسرائيل الموعودة في الجيل القادم بعد أن تمت هيمنتها اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً.

ثانياً: إن المنطقة منذ فترة طويلة وهي تحت الحظر من إنتاج جميع أسلحة الدمار الشامل وغير الشامل بينما تعص مخازن إسرائيل عن آخرها بتلك الأسلحة دون أن يذكر أحد عن ذلك الشيء بل ذهب وزير خارجيتهم بالقول بأن إسرائيل أصبحت حارس المنطقة ضد أي عدوان خارجي أو داخلي أو أية نزاعات إقليمية.. البعض يشير إلى موقفها من حرب الخليج وهذا وهم لماذا تدخل إسرائيل هذه الحرب المجنونة؟.. الآخرون يحاربون معركتها دون إراقة قطرة دماء واحدة من أحد أبنائها.. لقد خرجت إسرائيل من هذه الحرب الرابع الوحيد.

ثالثاً: إن تفتيت الأمة العربية إلى جزر في محيط العالم وتذويب الهوية العربية وإلغائها هدف كبير هام على جميع المستويات كما ذكرت في المقالة السابقة.

رابعاً: وهو العنصر الهام الذي ختمت به مقالتي السابقة بضرورة وضع استراتيجية أمنية جديدة.. وطرحنا سؤالاً أرجو أن يطرحه كل واحد منا على نفسه ونجمع الإجابة.. والسؤال هو: من هو العدو القادم..؟!؟!.

إذا طرحنا هذا السؤال الآن بالكويت أو الإمارات أو قطر أو المملكة العربية السعودية أو اليمن أو عمان سنحصل على إجابات مختلفة من كل

قطة عربي . . ونفس الشيء إذا طرحناه على دول المغرب العربي أو المشرق العربي فالحد الأدنى من التضامن بين دولنا قد انهار، وانعدام الثقة بين بعضها البعض قد ساد، والخلافات هي الصورة السائدة بيننا جميعا .

ما حدث لمنطقة الشرق الأوسط بعد اتفاق غزة أريحا هو نفس ما حدث لأميركا بعد سقوط وانهار الاتحاد السوفياتي . . !! لقد ظهر سؤال هام في أميركا من هو العدو . .؟! الجميع أجمع بضرورة تبني فكرة معينة حتى تشد همة المواطن العادي وتجعله دائما في حالة استنفار واستعداد لمواجهة هذا العدو . . البعض اجتهد وشرح الإسلام والدول الإسلامية ليكونا العدو الأول، والغريب أن هذا ما تنبأ به المنجم (نوستردامس) منذ ٤٠٠ عام ومكتوب في كتابه المنشور، والفيلم الذي أنتج بهذا الخصوص . . وظهرت بوادر كثيرة في تلك الآونة من انتهاك للحريات الإسلامية والتعدي عليها وإظهار الإسلام والمسلمين بأنهم العدو الأول للحضارة الغربية التي يجب القضاء عليهم، ولم تكن لتخطيء العين آنذاك فيما يحدث . . واستشعر الجميع بالخطر وأعتقد بأن اتفاق غزة - أريحا حلقة من حلقات ضرب الدول العربية والإسلامية داخليا واقتصاديا وأمنيا وسياسيا وإعلاميا . .

لذلك فإن الدول العربية بعد أن وضعت استراتيجيتها العسكرية والاقتصادية والإعلامية بأن إسرائيل هي العدو نجد أن هذه الاستراتيجية الآن تحتاج إلى إعادة نظر بحسب قول البعض، بل إن هناك وللأسف الشديد بعض الكتاب يروجون لمقولة (لقد زال الخطر الأكبر وانتهت الحرب في المنطقة)، ويبشرون بسوق شرق أوسطية متخذين الاتفاق الفلسطيني ذريعة للدخول منها إلى كل ما يهم البيت العربي . . هذا السؤال كان المفروض أن نجيب عليه ونضع له الخطط والبدائل ساعة قبلنا القرار «٢٤٢» والقرار «٣٣٨» ففي القرارين اعتراف واضح وصريح بإسرائيل . . حتى أضعف

الإيمان كان المفروض أن نتدارس هذا الأمر بعد اتفاقية كامب ديفيد لأن رياح التغيير هبت على المنطقة وخرجت أكبر قوة عربية من المعركة، أو على الأقل تم تحييدها.. وبالتالي كان المفروض أن نعد العدة ولكن نحن العرب دائما أفعالنا عبارة عن ردود فعل للأحداث، ونعيش الماضي نلطم الخدود ونشق الجيوب أما المستقبل فلا مكان له بيننا.. أنا متأكد ومتيقن بأن إسرائيل لديها الخطط البديلة لهذه اللحظة، ولذلك فإنها تتحدث دائما وكلها استعداد ومهياة لاستقبال الأحداث.. إنها تعرف موطىء قدميها.. أما نحن!!؟

واستكمالا لسلسلة التنازلات أتوقع أن تزداد النزاعات الحدودية بين الدول العربية لتزداد الهوة وتكفر البقية الباقية بالعروبة في الفترة القادمة؛ فعلينا أن نكون أكثر إدراكا بأن إسرائيل متربصة بنا، بل وستكون العامل المساعد لإشعال نار الحرب، وتأجيج أوارها وشغل العرب بالفتن والوقية.. الحرب القادمة ستدخلها إسرائيل للاستيلاء على كل المصادر الاقتصادية من مياه ونفط وصناعة، ثم تصدر كل هذه المواد إلى الشرق الأوسط في سوقه الاستهلاكية لتبقى دائما هذه الدول تستهلك ما يقدم لها، وتصبح جثة هامدة تشكو كساد إنتاجها وسوء توزيعه.. فصادرات إسرائيل بلغت في العام الماضي ١١,٤ بليون دولار بينما بلغت صادرات أكبر دولة عربية وهي مصر ٣,٢ بليون دولار أكثر من نصفها بترول والجزء الأكبر من النصف الثاني للسياحة..

والأموال التي فرضت على الـ ٤٥ دولة كجباية من أميركا وإسرائيل على تلك الدول ستذهب إلى إسرائيل فسوف تقوم جميع أجهزتها بكل الأعمال داخل القطاع وأريحا، ويزداد الاقتصاد الإسرائيلي انتعاشاً.. تمهيدا للضم النهائي ساعة الصفر.. والبطالة تنخر عظام القطاع وأهله لاهون في ملذاتهم

أو محاربة بعضهم البعض تحت دعاوى كثيرة ليهتز استقرارها وتنشغل بتافه الأمور بدلا من تنميتها.. القوة الاقتصادية ستكون مجال صراع على الأرزاق.. إسرائيل لديها خططها وتعلم جيدا ماذا تريد ومن هو عدوها..؟؟

بينما أظن أن جميع الدول العربية دون استثناء ليس لديها إجابة على هذا السؤال.. ودون اجتهاد كثير أو معاناة في التفكير فإن إسرائيل ستبقى كذلك العدو الأول والأخير للعرب والمسلمين..؟

إن الدعوة لإنشاء سوق شرق أوسطية هي دعوة لتكريس إسرائيل باقتصادها وأمنها وثقافتها داخل الوطني العربي.. هل ستبقى إسرائيل داخل الوطن العربي وهي نتاج الغرب المختلف في التقاليد والعادات والثقافات والتفكير عن دولنا ذات الثقافة الإسلامية والعربية.. من سيؤثر في من...؟! إسرائيل في العرب... أم العرب في إسرائيل؟! الصورة أكثر وضوحا لإسرائيل ولديها الدراسات والأبحاث على كيفية السيطرة على ما يواجهها.. وكيفيها إعلامها وبنها التلفزيوني الموجه إلينا ببرامجه الخاصة لينقل إلينا أنماطا وسلوكيات مختلفة.. وإذا كان النظام العربي قد سقط في بعض مواجهاته وآخرها الخليج.. فلا يجب أن يكون ذلك هو الفيصل بل علينا أن نتعرف على الأسباب التي أدت إلى ذلك ونتغلب عليها بالعقل والحكمة.

أدعو منظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية والباحثين والمفكرين إلى عقد لقاءات فكرية مستنيرة للبحث عن إجابة لهذا السؤال لوضع استراتيجية أمنية جديدة لدولنا العربية حتى نضمن مستقبلا أفضل إن كان هناك مستقبل لأبنائنا والأجيال القادمة!!!

الجزء الرابع

العالم الاسلامي
في
بحر لجن





المسلمون والغرب (١ من ٢)*

في إحدى أمسيات يوم من أيام الآحاد بالديوانية كنا مجموعة من الإخوة نجلس، وفجأة ساد صمت عميق على الجميع لحظة نشرة أخبار البوسنة والهرسك، ودار جدل كبير ونقاش ساخن ترك في النفس الأسى والحزن، وكأن جيلنا كان على موعد مع القدر أن يرى اختفاء دولة إسلامية صغيرة تريد أن تعيش كما تعيش بقية دول العالم، عضت على إسلامها بالنواجذ بعد أن فشل الحكم الديكتاتوري الشيوعي أن يزيلها من الوجود. . أوروبا بل أكاد أجزم أن العالم أجمع يساهم في الإزالة ممسكاً كل طرف بمعول من معاول الهدم، فالبعض من الدول الأوروبية وافق على استضافة الأطفال الصغار المسلمين من أبناء البوسنة والهرسك استضافتهم على ماذا؟ على تغيير دينهم وهم الأمل والينابيع الصافية. . والبعض الآخر يقوم بتهريب السلاح إلى الصرب تحت أعين العالم لاستكمال الإبادة، وهذا مندوب الأمم المتحدة يعلن صراحة أن الحصار على الصرب غير ذي جدوى، فالإمدادات البحرية والبرية من جميع دول العالم بالسلاح والغذاء والطاقة تسير حسب خطتها، بينما على الجانب الآخر في البوسنة الحصار يؤدي ثماره من منع وصول السلاح إلى المسلمين خوفاً من زيادة عدد القتلى. . قتلى من أي طرف من الصرب طبعاً. . ليس هذا فقط. بل إن المواد الغذائية والدوائية

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ٢٠/١٢/١٩٩٢.

لا تصل إليهم واليوم تذيع وكالات الأنباء عن تفشي الأمراض المعدية بينهم، والبعض الآخر يسوف في إصدار أي قرار يدين الصرب داخل مجلس الأمن وآخرون يغضون النظر عما يحدث معللين ذلك بأن هذا أمر داخلي. أين حقوق الإنسان؟! أين هيئة الأمم المتحدة؟! وما أشبه الليلة بالبارحة فكما ضاعت وسقطت الأندلس تضيع وتسقط البوسنة والهرسك ونحن من حولها مندھشون فاغرو الأفواه لانعرف ماذا نقدم، حتى كلمات الاستنكار خرجت من بعضنا على استحياء.. يحدث هذا في نهاية القرن العشرين، والجميع يرفعون شعارات فضفاضة توحى للإنسان بأننا أمام عالم جديد يتحدث عن الديمقراطية وحقوق الإنسان، ولكن كما يبدو فإنها الديمقراطية التي يريدونها وحقوق الإنسان للإنسان الذي يعتبرونه إنساناً!!

ثم يأتي تحدي الهندوس في هذا الوقت بالذات بهدم صرح إسلامي حضاري قديم هو مسجد بابري. لهو نوع آخر من أنواع إثارة الفتنة بين المسلمين والهندوس الذين عاشوا مئات السنين مع بعضهم البعض في تعاون وسلام.. ولكن هذه الحادثة لها مغزى ومعنى آخر، وخاصة أنه جاء في وقت والعالم كله يتحرش بالإسلام والمسلمين وقد أصبح مجالاً للتقاتل والتناحر. والضحية واحدة.

الأحداث توحى بأننا أمام مؤامرة كبرى تحاك ضد الإسلام، فلا مكان للإسلام ولا للمسلمين في أوروبا، ولن تسمح لهم بقيام دولة بينهم حتى ولو كانت مهترئة وهزيلة، وهم يعتبرونها حرباً مقدسة؛ فهم على علم كامل بأن الإسلام قد انتشر في جنوب شرق آسيا عن طريق التجارة الفردية، وهذا سر قوة الإسلام يدخل إلى القلب ويصدق العقل. كان المسلمون مثلاً للخلق الطيب والأمانة والصدق وحسن المعاملة، فكانوا قدوة؛ وانتشر عن طريقهم وامتد إلى الصين والأندلس وغير ذلك.

وأمر المكيدة هذا لا يحتاج إلى ذكاء ولا إلى بحث؛ فالأمور أصبحت واضحة بكل معانيها، وما لم ينجزه الصرب ستتكفل به الطبيعة في الفترة القادمة، فدرجات الحرارة ستصل إلى ٣٠ تحت الصفر وليس لديهم وقود ولا طعام ولا حتى مأوى، فمن لم يمت بالسيف سيموت بالبرد، ومنذ أيام قليلة كانت هناك ندوة أذاعتها محطة CNN وقد أجاب أحد الضيوف على مقدم البرنامج بأن الهدف من الحرب في البوسنة والهرسك هو إزالة الإسلام من هذه الدول، ولعلنا نتأمل قليلاً الاصطلاح الذي أطلقوه على هذه الحرب إنه «التطهير العرقي» وكلمة تطهير في القاموس الطبي تعني وجود ملوثات تحتاج إلى مواد مطهرة فتقتلها، لقد انتقوا اللفظ بعناية بالغة ليعلم من (كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) بأنهم يريدون الإجهاز عليهم.. الأمر لم يعد خافياً على أحد، بل إنهم يشكلون الآن محاكم التفتيش التي عاشتها الأندلس بعد سقوطها، وكان المسلمون هناك بين أمور ثلاثة، إما متمسك بدينه فهذا دمه مباح، وإما هارب من الجحيم إلى أقرب مكان فاراً بنفسه وأهله، ومن لم يستطع هذه أو تلك فعليه أن ينهي علاقته بالإسلام حتى اسمه لا بد وأن يغيره، وها نحن اليوم نشهد نفس المشاهد والأحداث على نفس الأيدي.. ولعلنا نذكر ما حدث في بلغاريا منذ أعوام ضد المسلمين الأتراك، كان مجرد الاسم كفيلاً بتعريض صاحبه للقتل أو للذبح كذبح الشاة، وتدخل حضرة صاحب السمو آنذاك بصفته رئيساً للمؤتمر الإسلامي بين بلغاريا وتركيا؛ لوقف المذبحة اللا إنسانية ضد المسلمين، وأتت الوساطة ثمارها في ذلك الوقت.

والمستبج للأحداث في العالم، سوف يجد أن هذه الموجة ليست قاصرة على بلد بعينه، أو قارة بذاتها. بل ظهرت هذه الموجة في فرنسا أيضاً، ضد بعض الطالبات المتحجبات - بلد الحرية والنور كما يطلقون عليها، وصورت وسائل الإعلام الأمر على أنه خطير، وأن ذلك سوف يؤدي إلى عواقب وخيمة بسبب عدة طالبات مسلمات يلبسن الحجاب، ثم يعود

ويتكرر الحادث في لندن.. وآخرها ما ظهر في ألمانيا من حرق بيوت ثلاثة من المهاجرين الأتراك.. ليس هذا فقط بل إن زعيماً كبيراً مثل (غورباتشوف) يعلن أن الأحداث في (أذربيجان) سببها الأصوليون الإسلاميون.. ويخرج علينا كاتب مثل (ريتشارد وست) ويكتب في صحيفة (الانسبكتور) عن الخطر القادم الذي يهدد الحضارة الغربية بعد اندحار الشيوعية إنه الإسلام، وتبريره لهذا ظهور الحجاب في الدول الغربية، بل إن خيوط المؤامرة مستمرة وتحاك في الظلام، فأى حادثة الآن تحدث في الشرق أو الغرب حتى في دولنا العربية الإسلامية نلصق التهمة فوراً إلى الأصولية الإسلامية، وهي في الغالب بأيد خفية لاتمت للإسلام من قريب أو بعيد؛ حتى إذا كانت بأيد إسلامية فهي فردية وتحدث يوماً في جميع أنحاء العالم.. بل أكاد أقول، بعد الهزيمة التي منيت بها الشيوعية في ديارهم وتحولت بلادها إلى دويلات يتجاذبها الشرق والغرب، بعد هذا أستطيع أن أقول إننا أمام مؤامرة كبرى طرفها الشرق مع الغرب وهدفها الإسلام في ديارهم ودياره.

وقبل أن أترك الغرب، أريد أن أستكمل بقية الصورة عنهم، فالجميع دون استثناء يقيمون الاتحادات لمواجهة الأحداث، فأوروبا تتحد وتستفتي شعوبها على ذلك، وأميركا تعقد اتفاقاً تجارياً مع كندا والمكسيك، والنمور السبعة تظهر على الساحة في شرق آسيا واليابان تهزم العالم باقتصادها، وتخضعه لقوتها، وألمانيا الغربية ترصد آلاف المليارات لاتحادها مع أبناء عموماتها في ألمانيا الشرقية لتعود ألمانيا الموحدة، والله وحده يعلم ماذا يحدث بعد هذا الاتحاد. بل إن أوروبا الغربية تخفض مساعداتها للدول النامية لدفعها لأوروبا الشرقية.. كل هذا من أجل ماذا وضد من؟! حتى إذا ظهرت خلافات مميتة مثل الخلاف التجاري الأخير بين أوروبا والولايات المتحدة، لم يرفع طرف ضد الآخر عقوبة، بل جلسوا إلى مائدة المفاوضات

لحل خلافاتهم دون تدخل من طرف آخر، ولم يتنازب بألفاظ بذيئة واتهامات غير صحيحة.

ألم تلاحظوا معي الوثيقة الأخيرة التي صدرت عن (بابا الفاتيكان) لتبرئة اليهود من دم سيدنا عيسى وافترائهم الشنيع على أمه مريم؟! والأولى بهذا التقارب الذي كان ينبغي أن يكون منهم بين المسيحية والإسلام لموقف الإسلام الجليل؛ من المسيحية ومن كلمة الله عيسى بن مريم ومن أمه البتول، ولكنها المؤامرة لاستكمال خيوطها.

إذن فالمؤامرة أن تتداعى علينا الأمم من الخارج وإثارة الفتن بين الأديان والعقائد والملل والنحل الأخرى من جانب، وضد الإسلام من جانب آخر، ثم تأتي في النهاية بتفجير ديار الإسلام من الداخل تحت دعاوى ظالمة.

هذه هي صورة الغرب والشرق وما يحدث فيهما.



المسلمون والغرب (٢ من ٢)

الموج عال والقراصنة متربصون وجميعنا في قارب واحد*

والآن ماذا عن المسلمين في كل أنحاء الأرض؟

الصورة ليست مشرقة بل لعلي أقول بأنها مظلمة، ولا أكون متشائماً إذا قلت إنها أكثر إظلاماً عن ذي قبل، وأكاد أرى حديث رسول الله ﷺ القائل «توشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا: أو من قلة نحن يا رسول الله؟. قال: لا. بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وليزرعنَّ الله من قلوب عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهن. قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟. قال: حب الدنيا وكراهية الموت».

المسلمون في كل بلاد الأرض في اقتتال واختلاف على كافة الأمور وتؤدي إلى حرب ضروس تزهق الأنفس والأرواح، إنها من صنع يد خفية تعمل بين ظهرانينا تغذي هذه الخلافات وتزكيها بنفس اللغة، بل وبنفس الأحاديث والآيات ونحن من حولهم في شتات. هذه القوى الخفية التي تشعل نار الفتنة والتأمر، تصور لكثير من الحكومات الإسلامية بضرورة تفوقها العسكري واقتناء أحدث أسلحة الدمار، والتي ما تلبث أن تصبح

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ٢١/١٢/١٩٩٢

قديمة بلغة العصر، فأكثر المجالات تقدماً هي المجالات العسكرية، ولكن على حساب الغذاء والدواء والتعليم والرفاهية لشعوب الدول الإسلامية. تتوقف خطط التنمية ونجد بعض الدول لديها المخزون الهائل من السلاح وشعبها تحت خط الفقر. وما رأيناه من الترسانة العدوانية الكبيرة في العراق أكبر دليل على استغلال قوت الشعب لقهره، والاعتداء على الجيران، وتدمير الاقتصاد، وإعطاء المجال للتدخل الخارجي، والذي مهما سمت أهدافه فلن يتضارب مع مصلحتها الخاصة بأي شكل من الأشكال. هل من مجيب؟ هل من عاقل؟ أم أننا نعيش في عالم مجنون يقودنا جميعاً إلى الهاوية؟! وسيثور سؤال هل من الضروري ألا نملك السلاح ولا نفق عليه هذه الأموال الطائلة؟ إن امتلاك القوة شيء ضروري بل أساسي ولكن هناك نقطتين: الأولى أن تكون هذه القوة قوة تعمير تبني ولا تهدم، تحمي ولا تهدد الآخرين - النقطة الثانية أن خريطة العالم الإسلامي توحى بأن معظم الاقتتال بين الدول الإسلامية مع بعضها البعض لتكون القطيعة والشكوك بين الدول بعضها البعض فانكسرت شوكة أهل الإسلام وأصبحوا لقمة سائغة للجميع وغناء كغناء السيل. كما حذرنا الرسول ﷺ.

الدول الإسلامية غائبة

إن العالم يمر اليوم بمخاض كبير، ولم تشكل ملامحه حتى الآن. ولم تظهر لنا نحن في الدول الإسلامية هذه الصورة، وكما هو واضح فلا مكان ولا دور للدول الإسلامية فيه، بل هي غائبة أو غيبوها ملهية في مشاكلها الداخلية، أو خلق مشاكل داخلية، وكأنها بدأت خارجية، إضافة إلى المشكلات الحدودية تحت دعاوي كثيرة. ولذلك وقبل أن تقع الواقعة ويصدر الحكم الذي لا نقض ولا إبرام فيه. فالعالم الإسلامي مدعو اليوم قبل الغد أن يسير في طريق واحد ذي اتجاه واحد وليس أمامه خيار آخر في

ذلك، وإلا فإننا سنتحول جميعاً كل على انفراد إلى (بوسنة ثانية) بصورة أو بأخرى، ونكون كالأسد الذي قابل جماعة من الثيران وأكلها واحداً بعد الآخر، بعد أن أفنع كل واحد بأن الباقي يتآمرون عليه.

إن الطوفان قادم ولن يفرق بين دولة وأخرى فإن لم تكن شواطئنا محمية بصخور إيمانية ثابتة وقوية يتفتت عندها هذا الموج الهائل سنغرق جميعاً.

قد يتساءل البعض ما سر خوف الغرب من الإسلام وأمله كذلك؟ إن سر قوة الإسلام هي في سهولة انتشاره بين الناس، ولعل أصدق شاهد على هذا دخول تلك الأعداد الكبيرة من جنود التحالف التي شاركت في حرب تحرير الكويت في الإسلام رغم أنها لم تعائشه لفترة طويلة.. أيضاً أعداد المسلمين الذين يدخلون الإسلام من الغرب في أميركا وإنجلترا وفرنسا وألمانيا الغربية - يدخلون الإسلام بمجرد الاطلاع على أسسه وقواعده هذا هو السر وراء خوفهم منه لو أعطي الفرصة لاجتاحهم، ولذلك فإنهم يكيدون له كيداً ويشوهون صورته بأقصى درجة ممكنة ولكن ما يلبث أن ترد هذه السهام إلى نحورهم.

لكننا نرى من يخرج علينا ومن يوقظون الفتن بين أهل الإسلام وسيسألون أي إسلام تقصد؟ السلفي.. أم الإخواني.. أم الشيعي.. أم.. أم؟ وأقصد بالإسلام.. الإسلام القائم على الإيمان الراسخ والعلم النافع الذي تمسك به السلف الصالح فأقام دولة، فامة، فحضارة، وساد العالم ونشر السلام والأمن في ربوع الأرض فدخل الناس فيه أفواجاً.

أقول هذا، وأنا أرى مظاهر كثيرة تبعث على القلق، فعلى مستوى الخليج، وهو أكثر المناطق الإسلامية تأهيلاً للوحدة والاتحاد - ورغم ذلك ترى رأس الفتنة تطل علينا من فترة لأخرى، على مشاكل حدودية، أقل ما

يقال، إنها من عمل الشيطان، يريد أن يوقع بيننا العداوة والبغضاء، وإذا انفتح مسلسل النيران فستحرق الجميع، وسنطلب من يحمينا من بعضنا البعض فهل هان علينا أولادنا وأموالنا وديارنا؟ أم لمصلحة من هذا الذي يحدث؟

صورة أخرى ليست ببعيدة بين إيران والإمارات، ونحن لن ننسى موقف إيران المسلمة من الحرب المجنونة التي أشعلها طاغية العراق ومساندة إيران لشعب الكويت المسلم ووقوفها ضد الظلم.. ولن نفاجأ بوكالات الأنباء تذييع أخبار احتلال (جزر الإمارات العربية) ونقرأ أيضاً عن تلك الصفقات الكبيرة من السلاح العادي والنووي، وتحويل المنطقة إلى نقطة صراع ومستودع خطير للسلاح، وأيضاً أذاعت وكالات الأنباء عن تخصيص إيران المليارات من الدولارات للتسليح على مدى الخمس سنوات القادمة وزيادتها لإنتاجها النفطي ليصل إلى ٣,٩ مليون برميل يومياً، وهي التي كانت تدافع وتقاتل لعدم رفع سقف الإنتاج.. إنني أتساءل كمواطن مسلم إلى صدور من ستوجه هذه الأسلحة؟ أين المعركة القادمة؟ هل أحداث المؤامرة لم تنته بعد؟ هل الإخوان في إيران يظنون أن صفقات السلاح التي هي من الشرق والغرب تتم دون مباركة الأطراف المختلفة على أمور كثيرة، ولكنها متفقة على دحر الإسلام وتشتيت حقوق المسلمين؟ أم أنها استنزاف كامل لموارد الشعوب الإسلامية لتتوقف عجلة التنمية فيها وتبقى هكذا أبد الأبد، وإلا فما تفسير ما يحدث الآن على أرض الخليج وما يحدث اليوم بين إيران المسلمة الشقيقة ومصر المسلمة الشقيقة ويكاد الأصدقاء والإخوان يرفعون السلاح في وجوه بعضهم البعض؟!!

فقر وسلاح

إنني أكتب هذا كمواطن مسلم غيور على الإسلام، قلبه يملؤه الحزن

على أحوالنا. إن معظم ديار المسلمين يعيش أهلها تحت خط الفقر وحكوماتهم تسعى لاقتناء السلاح.. يتفشى بينهم الجهل والفقر والمرض رغم الوفرة الهائلة للأرض والماء والقوة البشرية والثروات الطبيعية التي تتطلبها خطط التنمية ونحن عنها غافلون.. بالأمس أصدر مجلس الأمن قراراً بإرسال قوة لتمكن من إيصال المعونات الإنسانية إلى الصومال. أرايتم إهانة أكبر من هذا - الفرقاء هناك يقتتلون ويمنعون وصول المواد الغذائية والدواء إلى أهلهم وذويهم، حيث وصلت الإحصائيات بأن حوالي ٥٦٠ طفلاً يموتون يومياً هناك وهم يقتتلون، وماذا أيضاً؟! إن الدول الإسلامية لم تتحرك لإنقاذ أبناء عمومتهم بل إن مجلس الأمن لم يتخذ قراراً بذلك إلا بعد أن أعطت أميركا الضوء الأخضر لهذه العملية. إن مغزى هذه العملية هي صفقة للدول الإسلامية إنكم جثة هامدة لا حراك فيها، ولا دور ولا وزن، وأنتم غير قادرين على الجلوس مع بعضكم البعض والتفاهم بلغة الإنصاف والدبلوماسية، أما نحن الدول المتقدمة فتركوا لنا الدفة وتركوا لنا حتى مقاليد أمركم (ولا تخافوا ولا تحزنوا). قد يتساءل البعض أين الحلول؟! نعرف المشكلات.. ولا نريد زيادة في البكاء على الوضع الأليم؟! وردي عليهم، إن الحل بأيدينا، نبدأ بتطهير أنفسنا وغسلها، نظهرها بالإسلام السمح، ونبد الخلفات بيننا لأن الغفلة هي التي جرتنا لهذه الخلفات.

أين علماؤنا.. أين مفكرون؟ لماذا لا نجتمع كمسلمين بعيدين عن الأهواء والأغراض الشخصية أو السياسية وننظر إلى مستقبل المسلمين بنظرة إسلامية حقيقية؟!.

على الجميع حكماً وشعوباً أن يبذل كل منا ما في وسعه لنقف صفاً واحداً (كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً)، علينا أن نتحد فيما اتفقنا فيه وأن نؤجل ما اختلفنا عليه. إن التحدي القادم لبقاء أمة أو دولة هو في

العقيدة والاقتصاد.. والإسلام (والحمدلله) أثبت صموده أمام كيد الكائدين وأشرس المعارك العقدية، أما الاقتصاد فأماننا الأمثلة الكثيرة منها اليابان وألمانيا الغربية فهل نحن جادون في إنقاذ أوطاننا؟! .

وعلى منظمة المؤتمر الإسلامي أن تنهض من سباتها الرسمي والبروتوكولي، وأن تبدأ بتكليف مجموعة من حكامنا ليضعوا ميثاقاً يعتمده رؤساء هذه الدول يحتوي نقاطاً بسيطة قابلة للتنفيذ مقبولة من الجميع وبعض هذه النقاط هي:

١ - الالتزام بالحدود السياسية لكل دولة وعدم التدخل في شؤون بعضنا البعض .

٢ - ماذا نريد أن نكون في القرن القادم؟ وهل نستطيع أن نقف أمام التحديات الغربية؟ وهل سيكون لنا مكان في هذا العالم الجديد بقوته وتحديه؟! .

٣ - هل باستطاعتنا أن نقف متحدين ضد من يبدأ بالعمل بوضع العراقيل أمام اتحادنا ونبذ الفتن والشغب والتوتر؟! .

فلو استطعنا أن نصدر هذه الوثيقة ونعتمدها من الرؤساء فإنني على يقين كامل بأن العالم أجمع سيحترمنا ويضعنا ضمن حساباته وتصبح الكتلة الإسلامية ذات وزن فعلي .

هل هذه أضغاث أحلام أم بديهيات يجب تحقيقها؟! وقبل أن أنهي مقالتي (والقمة الخليجية) على الأبواب والتحركات الدبلوماسية على أشدها خلف (الكواليس) لإنجاحها أناشد الجميع كمواطن على أرض الخليج بأن الموج عال، والظلام يلف أنحاء الخليج، والقراصنة يترصون، وجميعنا في قارب واحد علينا أن نتعاون سوياً لنصل إلى بر الأمان. وأن نناقش خلافاتنا

بحكمة الله ورسوله وبلغه العصر وبمنطق العدل والإنصاف، وأن نلغي لغة المدافع من قاموسنا، فنحن اليوم أحوج ما نكون لبذل الجهود والثقة والتعاون بدلاً من التقاتل والتناحر، ولتشابك الأيدي لتكون يد الله فوق أيدينا.

وفي النهاية إنني على يقين من أن مقالتي هذه ليست الأولى ولن تكون الأخيرة فقد سبقني زملاء أعزاء، ولكن من يتفحص الوضع الإسلامي وما وصلنا إليه من ترد وتفكك وما بدا لنا من حولنا من مؤامرات، وما يوضع أمام تقدمنا من عوائق يجعل كل إنسان مسلم يتحرك وضميره مليء بالإيمان، وليتوجب علينا الكتابة والصراحة لطرح هذه المشكلات للعالم، إذا كان لا يزال لديه ضمير يستمع إلى صرخة من الإنسانية السليمة القويمة. ويجب ألا نمل من الكتابة في هذا الموضوع إرضاء لضمائرنا أمام أجيالنا القادمة ووفاء لأوطاننا لعل الله يأتي بالخير على يد قوم يحبهم ويحبونه أشداء على الكفار رحماء بينهم مخبئاً مقالتي بقوله سبحانه ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

والله يجمعنا على الخير والحق ويهدينا جميعاً إلى سواء السبيل.



التطرف والإرهاب.. إلى أين؟ (*)

أحب أن أقر في البداية بأن هذا الموضوع شغل حيزاً كبيراً من فكري لأنه يمثل أهمية كبيرة، وخطورة جسيمة على مسيرتنا العالمية والتنمية. فأهميته تبدو في أنه أصبح يمس حياة الأمة جميعها واختلفت حوله الاجتهادات والآراء. والخطورة تبدو بأنه مخطط لتمزيق الأمة من الداخل، لكن كلما شرعت في الكتابة أطلت على وطننا الصغير الكويت أحداث جسم تشد الانتباه وتدعو إلى سرعة الكتابة فيها، أيضاً عندما فكرت في الكتابة ومنذ الوهلة الأولى تأملت في عنوان المقال هل هو التطرف والإرهاب أم الإرهاب والتطرف؟..

وبعد أن تدارست الكلمات والمعاني وجدت أن الاثنين يفضيان لبعضهما البعض، فالتطرف وهو الخروج عن المسار العادي للأمر سوف يؤدي إلى الإرهاب، وقد يكون إرهاباً فكرياً أو سياسياً أو معنوياً أو مادياً لفرض ما وصل إليه المتطرف من فكر، وأيضاً الإرهاب يولد التطرف فمثلاً لو أن مجموعة من العتاة سيطروا على بلدة ما وحكموها بالحديد والنار وأشاعوا الإرهاب بين سكانها الآمنين فأمام هذا القهر النفسي والمادي والروحي سيلجأ هؤلاء إلى التطرف في معتقداتهم والتمسك بتفاهة الأمور على أنها من أصول الحياة لكي ينجوا بأنفسهم من هذا القهر والظلم، إذن

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٨/٤/١٩٩٣.

فنحن أمام مقولتين تؤديان إلى نفس النتيجة. لكن الأهم من هذا في نظري ثلاث نقاط:

الأولى: أننا جميعاً نرفض الظاهرتين الإرهاب والتطرف فإننا والحمد لله أمة وسط وخير الأمور أوسطها..

الثانية: أننا يجب أن نبحث عن مسببات هاتين الظاهرتين في مجتمعاتنا الإسلامية وهل هما قاصرتان على المجتمعات الإسلامية أم أنهما عالميتان؟..

الثالثة: إذا علمت الأسباب فالحلول ستكون ميسورة بإذن الله ولذلك فأين الطريق إلى النجاة؟..

الإرهاب اليوم أصبح ظاهرة عالمية في جميع دول العالم الغنية والفقيرة على حد سواء، إلا أنّ أسبابه في الدول النامية الفقيرة تختلف عنها في الدول المتقدمة الغنية، فإذا طرحنا مثلاً الجانب الاقتصادي كعامل هام من عوامل الإرهاب في الدول النامية فلن يكون هو السبب وراء إرهاب الجيش الأحمر الياباني، ولذلك فإنني لن أتعرض للأسباب وراء الإرهاب في العالم ولكن ما يعني في هذه المقالة هي الأحداث التي يمر بها العالم العربي والإسلامي..

وبداية قد يتصور البعض بأننا في الكويت لا نعاني كثيراً من هاتين الظاهرتين وأنا بمنأى عنهما.. ولكن العالم اليوم أصبح كقرية صغيرة يعيش الأحداث اليومية دقيقة بدقيقة مرئية ومسموعة ومقروءة، وكثير من الانحرافات السلوكية في المجتمعات الحديثة تأتي نتيجة معايشة الحدث وإثارة النزعات، ولكن وبحمد الله فإن مجتمعنا لا توجد لديه مقومات هذه الانحرافات؛ فأحد أركان مثل هذه الظواهر هي القهر النفسي أو الاجتماعي أو الأمني ونحن لا نعيشها بفضل الله العظيم، والركن الأخير هو غياب

حرية التعبير، وهذا أيضاً غير متوفر بوجود ضمانات الحرية والديمقراطية التي نمارسها اليوم ولا رقيب ولا حسيب سوى ضمير كل منا، والشعب الواعي الذي يعرف تماماً حقوقه ومسؤولياته، لكن بعد التحرير من الغزو العراقي ظهرت بوادر مثل تلك الانحرافات الفكرية وكنا نلاحظها في الأيام الأولى نتيجة القهر والظلم وكبت الحريات أثناء الغزو، ولكن حفظنا الله من تفاقمها فساد الأمن والسكينة وندعو الله أن يديم علينا هذه النعم التي لا نحسها إلا بعد أن نفقدها (والله يحفظها علينا) وعلينا أن نعص عليها بالنواجذ ولا نسمح لأي شخص كان أن يسلبها وندافع عنها بكل ما أوتينا من قوة ومهما كلفنا ذلك من تضحيات . .

التهم جاهزة للإسلاميين

عالمنا العربي والإسلامي جزء من العالم أجمع يتأثران سلباً وإيجاباً بما يجري فيه، ولتكون نظرتنا أكثر شمولية وعمقاً فإن علينا أن نرصد هذه الظواهر المتعلقة بالإسلام والمسلمين حتى نعرف اتجاه الرياح، وبالتالي يمكن ضبط بوصلة سفيتتنا حتى لا تصطدم بجزر المحيط فتتحطم وتغرق ويغرق كل من فيها، والمتتبع اليوم للأحداث لا يملك إلا أن تملكه الحيرة والدهشة؛ فجميع أحداث الإرهاب التي تقع اليوم في العالم تسارع أجهزة الإعلام والأمن والاستخبارات إلى مكان وقوع الحادث لإلقاء التهمة فوراً على الإسلام والمسلمين والمتطرفين دون محاولة للتروي أو الانتظار حتى تظهر التحقيقات؛ أو على الأقل تكون هناك نظرة محايدة، فعلى سبيل المثال آخر الأحداث في بومباي بالهند وكلكتا أعلن مدير الأمن القومي الهندي ساعة وصوله إلى مكان الحادث بأن المسؤولين عن الحادث هو أحد الأصوليين الإسلاميين، وفوراً أذاعت وكالات الأنباء هذه الأخبار!! من أين حصل هو على هذه المعلومات، ولم تجف دماء الضحايا ولم يتم العثور على أي دليل

ولا فحص للمواد المتفجرة؟؟؟.. لكن الاتهام جاهز والمسؤول عنها معروف مسبقاً، وبعد أيام تأتي المفاجأة لتعلن إحدى منظمات السيخ مسؤولياتها عن الحادث ولكن هل أخذ هذا الإعلان ما يستحق من الإبراز مثل الأول؟ أبداً وكالات الأنباء أذاعته بطريقة لا توحى بالأهمية، والصحف نشرته في زوايا مهملة.. والصدمة الأولى كانت في إعلان المسؤول الأمني الهندي الكبيرة لدرجة أنه اتهم باكستان وإيران بأنهما وراء الحادث.

أيضاً حادث تفجير المركز الدولي للتجارة بنيويورك منذ اللحظة الأولى اتهم فيه العناصر الإسلامية المتطرفة، وتم القبض على ضحية لا نعلم مدى صحة هذا الاتهام رغم أن رئيس الصرب البوسنيين أعلن مسؤوليتهم عن الحادث، بل ذهب إلى أبعد من ذلك ليعلن أن انفجارات مماثلة ستحدث إذا واصلت الولايات المتحدة ضغطها على الصرب..!! هل أبرزت وسائل الإعلام هذه التصريحات التي جاءت على لسان أكبر مسؤول بالصرب، أبداً لكن الرجل الصربي المسؤول عاد عن كلامه واعتذر عما قاله!!..

ما السبب؟؟

وكثيرة هي هذه الأحداث التي تلصق فوراً بالإسلام والمسلمين دون وجود دليل مادي يستندون إليه وكأن هوية الإرهاب هي الإسلام!!.. هنا يمكن تحديد نقطة هامة وهي أن الإعلام العالمي ومسؤولي الأمن مجندان تماماً، وعلى أهبة الاستعداد بالصاق التهم بالإسلام والمسلمين؛ لدرجة أن المواطن في الغرب والشرق الآن أصبح مهياً نفسياً أن يتلقى مثل هذه الأخبار دون عناء نفسي، بل هو يستطيع أن يتوقع ما ستقوله عن أي حادث إرهاب يقع، وهنا سوف يظهر سؤال هام، ما هي الأسباب وراء إصاق التهم بالإسلام؟ هناك العديد من الأسباب:

١ - التنامي المتزايد للإسلام في الشرق والغرب خاصة في أمريكا والدول المتقدمة إذ وصل عدد المسلمين في الولايات المتحدة الآن إلى حوالي تسعة ملايين، ولم تخف إحدى الصحف الإسرائيلية الهامة خوفها من هذا التنامي السريع أمام الجالية الإسرائيلية صاحبة الحول والطول والتي تقارب هذا العدد.

٢ - الإسلام الآن استطاع أن يملأ الفراغ الروحي الذي يعاني منه الشرق والغرب، والضياع الذي يهدد هذه الدول وأمام الإفلاس المسيحي لدرجة أن كثيراً من الكنائس تحولت إلى المطاعم لعدم وجود ما يسد هذا الفراغ الذي يبحث عنه الإنسان في هذا العصر المادي وما إغراق الشباب والمجتمعات الغربية في الإدمان على المخدرات والمسكرات، إلا إحدى نتائج هذا الفراغ.

٣ - إن ظهور الإيدز واختراقه الحواجز الإنسانية لدرجة أنه أصبح يهدد مجتمعات كاملة بالانقراض بسبب اختفاء الدعوة إلى الفضيلة، وبدلاً منها ظهرت صيحة الجنس الآمن التي تظهر في جميع البرامج المرئية والمقروءة والمسموعة، وحيثما توجهت ستجد مثل هذه الدعاوي الرخيصة.

وفي الفترة الأخيرة، اطلعت على كتاب مؤلفه هو الألماني الغربي «هوفمان» الذي أسلم، ويقول «بأنني تأملت تعاليم الإسلام وإنجازاته ووجدت نفسي أعيش حالة روحية غريبة تَمَلِّكُنِي واستولت على نفسي وقلبي وعقلي، ملأت فراغاً كنت أعيش فيه وعدت إلى نفسي مرة أخرى». كتاب فيه الكثير من المواعظ وكيف دخل هو إلى الإسلام وأحبه ووجد فيه ضالته. أيضاً الأفواج التي تدخل في الإسلام خاصة من الغرب بمحض إرادتها ويفتح الله صدورها للإيمان لدرجة أن الإسلام أصبح الآن الدين الثالث في أمريكا

وأوروبا وبدأ يفرض نفسه على هذه المجتمعات بتقاليده وتعاليمه وكل هذا يمثل عوامل قلق وخوف أمام الأعداء..

٤ - الغرب كانت له في السابق معركة مع الشيوعية والآن انهارت هذه الدعاوي العقدية وانحسرت تماماً دون أن يتبعها أحد.. والغرب والشرق يحاولان أن يجدا عدواً تقليدياً بديلاً عن الشيوعية، فوجدوا أمامهما الإسلام، والغرب نفسه جرب الإسلام وأتباعه عندما يؤمنون بمبادئه ويلتزمون بها يتحولون إلى طاقة إيمانية تهون أمامها الدنيا وما فيها. وأكبر معركة في القرن العشرين بعد فيتنام كانت أفغانستان حرب شرسة بين تكنولوجيا متقدمة وأخرى بدائية، بين الباطل والحق.. بين عقيدة وعقيدة، وبدل أن تغرق أمريكا في كهوف أفغانستان وجدت من يحارب لها المعركة نيابة عنها واستطاعت قوى الحق أن تنتصر على الباطل، موقعة أخرى كانت معركة تحرير الجزائر، كانت القوى الإسلامية تلعب دوراً هاماً في هذه المعركة إلى أن استطاعت تحرير أراضيها. موقعة ثالثة في بيروت أمام الحرب الأهلية، اضطرت القوات الأمريكية إلى مغادرة بيروت والوقوف في البحر واستخدام المدفعية الثقيلة لضرب بيروت، موقعة رابعة، إيران وصمودها العتيد أمام دبابات الشاه وحادثة المرتينين الأمريكيين بالسفارة بطهران، أيضاً يجب ألا تغيب عن أذهاننا. وإذا عدنا بالذاكرة إلى القرن الماضي نجد أن قيادات الثورات في مصر أيام نابليون وغيره هم من رجال الأزهر أي حاملي لواء الإسلام.. أخيراً، منظمة حماس وهي اليد الطويلة في الانتفاضة الفلسطينية تمثل رعباً خفياً لإسرائيل رغم عدم وجود أسلحة لدى هؤلاء الصغار الذين ولدوا في أحضان الاستعمار الإسرائيلي وصلفه وجبروته ولكنهم صامدون أمام الأسلحة والدبابات والمصفحات.

معركة أخيرة كانت بين الشيوعية والإسلام على أرض الاتحاد السوفياتي على مدى مائة عام كانت السلطة فيها للشيوعية فاستخدمت كل وسائل التعذيب والبطش والإرهاب والترغيب للمسلمين وكان مجرد وجود مصحف لدى أي مواطن كفيلاً بإعدامه، واليوم بعد فشل الأيديولوجية عاد المسلمون مسارعين إلى إسلامهم يلتمسون فيه الخير والعمو والعافية والضيء واليقين . .

إذن فالإسلام لديه قدرة عجيبة إذا ما تمكنت من إنسان سكنت في قلبه ونفسه وبعدها مستعد أن يبذل فيها كل غال ونفيس ليضحى بما لديه حتى بنفسه متمسكاً بأهداب دينه وآخرته .

هذه القوة من المستفيد من تدميرها؟؟ من الساعي لتحطيمها وتشويه صورتها وتحويل أصحابها إلى قتلة وبيث الرعب في قلوب الغرب والشرق، ومحاولة إظهار هذا الدين بأنه دين إرهاب يدعو فيه أصحابه إلى القتل وسفك الدماء . . والغريب أن يتحول أصحابه «أي الإسلام» بوعي أو بدون وعي أيضاً إلى أبواق إضافية تؤكد ذلك . . أقول من المستفيد من كل ذلك؟؟ أعتقد بأن الإجابة لن تحتاج إلى كثير من العناء، فإسرائيل هي الدولة الوحيدة الجانية لثمار بذور الفتنة والشقاق والنفاق بين الإسلام وبقية دول العالم لأنها «أي إسرائيل» تعلم تماماً أثر العقيدة في تربية أصحابها فهي نفسها قامت على أسس عقيدية، وبرغم اختلاف مذاهب ومشارب قيادتها التي تتراوح بين اليسار واليمين إلا أنهم جميعاً يؤمنون إيماناً راسخاً بأهمية العقيدة، بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك بإحيائهم العبرية وهي لغة القبور لتصبح لغة إسرائيل الرسمية، وشاهدنا «صلف مناحم بيغن» وهو يعتمد الحديث بها أمام وكالات الأنباء أثناء محادثات كامب ديفيد سواء في إسرائيل أو خارجها .

ورغم أنها المستفيدة الأكبر في هذا الموضوع، إلا أن أحداً لم يشر

إليها بأصابع الاتهام من قريب أو بعيد وكأن الأمر لا يمسه... بالإضافة إلى ذلك فإن هناك تحاملاً إعلامياً ضد الإسلام، ودولنا العربية صامتة عن الحق... هذه هي حوادث الإرهاب خارج ديار الإسلام والتمتهم بها ظلماً للإسلام وحللنا الدوافع والأسباب التي وراء هذه الحملة الشرسة ضده... .

فماذا عن الإرهاب في عالمنا العربي والإسلامي؟ ذلك حديثنا في المقالة القادمة مع تحليل ما هو هدف إسرائيل من كل ما يجري ضد الإسلام والمسلمين؟... .



ماذا عن ديار الإسلام؟*

تعيش ديار الإسلام خاصة الدول الكبرى كمصر والجزائر وتونس والسودان وإيران مرحلة من أخطر مراحل حياتها فالمواجهة يومية بين الأمن وتلك العناصر، وسقوط القتلى والجرحى يتم بين الطرفين في مشهد حزين، والخاسر الأكبر هي الأمة العربية والإسلامية وبرغم ذلك فإن المواجهة مستمرة. ولعلي أعود إلى الماضي للتعرف كيف صارت الأمور إلى هذا الوضع المتردي. لقد حدثت أمور هامة لهذه المسيرة كانت وراء استفحال الداء وهي:

١ - إن هذا التطرف خرج من رحم إرهاب أمني مرت به تيارات العمل الإسلامي في الخمسينات والستينات، إضافة إلى تردي الحالة الاقتصادية وسوء عدالة التوزيع، والفساد في الجهاز الإداري، والامية المتفشية، والجهل بتعاليم الإسلام الحقيقية، وغياب الديمقراطية وحرية التعبير وهما من أخطر العوامل التي ساهمت في أن يظل العمل تحت الأرض وعندما ظهر تحول إلى ظاهرة اجتماعية يحتضنها كل بيت بل وكل أسرة.

٢ - انعدام الثقة بين قيادات العمل الجديدة للتيار الإسلامي بتصوراتها التي

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٣/٤/٢٥ .

خرجت بها وبين التيار الديني الرسمي . وإطلاق اصطلاح (مفتو السلطة) عليهم مما أثر على مسيرة العمل الإسلامي، وأدخله في دوامات كثيرة بين الحل والحرمة وعدم احترام كل جانب للآخر. ولم ينشأ حوار وإذا حدث كان أشبه بحوار الطرشان.

٣ - إن بعض الدول الإسلامية إيران بالذات تبنت مبدأ تصدير الثورة فكانت النتيجة انقسام العالم الإسلامي بين مؤيد ومعارض، وبدأت كل دولة تحاول تحصين نفسها باعتقال قيادات العمل الإسلامي بحق وبدون حق.

٤ - إن الإعلام في الدول الإسلامية ساهم بطريقة خاطئة في تصعيد الأمر واتخذت منه مادة إعلامية غزيرة دون أن يكون لها دور بالنقاش وتهدئة النفوس والمشاركة في صنع القرار السياسي.

٥ - إن المثقفين العرب والمسلمين لم يستوعبوا نتائج الصراع العالمي حولنا والأولى بنا جميعاً الآن وبعد أن انحسرت الموجة وأصبحت فقط باتجاه اليمين نقول بأن مسيرتنا (لا شرقية ولا غربية) بل (عربية إسلامية) وعلينا الآن واجب هام تمليه مصلحة أوطاننا، إن ثقافتنا يجب أن تنبع من حضارتنا وأصولنا لأنها هي الأحق بالدراسة بدلا من التنظير في أمور هي أبعد ما تكون عن مجتمعاتنا.

سوف أضيف عنصرين آخرين آخرين على جانب كبير من الأهمية فيما يحدث

الآن:

الأول: توقف لغة الحوار بين الأطراف جميعها والتحول إلى الحل الأمني وهو أخطر الحلول.

الثاني: وهو ما لم يشر إليه أحد ولكنني على يقين منه وهو اختراق

الموساد الإسرائيلي شباب هذه الجماعات وتأجيج نار الفتنة بينها ليس هذا فقط بل أضيف أيضاً أنها قد تكون وراء الكثير من الانفجارات التي حدثت داخل العالم الإسلامي لتمزيقه وزيادة تفكك أواصره بأيدي أبناء هذه التيارات حتى تكون المؤامرة ذات أصول إسلامية.

ماذا تريد إسرائيل؟

والآن ماذا تريد إسرائيل من كل هذا:؟!

أولاً: تريد عالماً إسلامياً مهترناً مفككا في حالة عداء واستنفار لبعضه البعض لأنها لن تستطيع العيش بسلام إلا وسط هذه التناقضات وتاريخها منذ ظهور الإسلام في المدينة المنورة وهي تكيد للإسلام كيداً، والحرب الطاحنة بين الأوس والخزرج وبنو النضير خير دليل على ذلك. ولن يأتي هذا إلا بتغريب الإسلام عن الوجدان، وتحجيمه في المساجد وتحنيطه في الآثار والمتاحف، وذلك باستعداد السلطات على الإسلام وأصحابه بضرب المصالح التي تهتم الأمة عامة في اقتصادها وأمنها وتحويلها إلى جثة هامدة، .

ثانياً: تريد عالماً خارجياً مسانداً لها في ضربة للإسلام والمسلمين لنقل المعركة إلى الأرض الأميركية لتستعدي الأميركيين ضد الإسلام والمسلمين بتفجير مركز التجارة الخارجية ونفس الشيء بالنسبة لأوروبا. وتريد أن يبقى العالم كله في مواجهة مستمرة مع الإسلام يحارب معها المعركة حتى لا تبقى وحيدة أمامه .

ثالثاً: تريد انفجاراً داخلياً وذاتياً للدول الإسلامية ودخولها في حروب طاحنة مع بعضها البعض من جهة ومن جهة أخرى مع جيرانها كما تحاول الأحداث أن تقول في انفجار بومباي وكلكتا.

رابعاً: إن أميركا قبل انتهاء الحرب الباردة في صراعها مع عدوتها التقليدية الاتحاد السوفياتي كانت إسرائيل لها دور كبير في الاستراتيجية الأمنية والمعلومات واختراق الحواجز، والآن وبعد اختفاء هذا العدو التقليدي تريد إسرائيل أيضاً أن يكون لها دور كبير في النظام العالمي الجديد، وهذا ما أعلن قبل اجتماع رايبين وكليتتون بتوقيع اتفاقية استراتيجية جديدة بين الدولتين لمدة خمس سنوات أخرى، وتريد أن تقول لأميركا إن ذراعي طويلة ويمكن أن أنوب عنك في مهامك الكثيرة خاصة في الشرق الأوسط الغارق في دماء أبنائه، تمزقه الفتن والأحداث ويعتصره الفقر والجهل والمرض.

ما المطلوب منا؟

والآن بعد هذا الاستعراض المختصر لما يجري حولنا وفي أوطاننا ما هو المطلوب منا جميعاً شعباً وحكاماً؟

أولاً: الخطر داهم وليس قاصراً على قطر بعينه وما يحدث في البوسنة والهرسك الآن نموذج لما يمكن أن يكون لأي دولة إسلامية، إذن فنحن جميعاً في قارب واحد أشرعه مهترته؛ ولا تقوى على الريح العاتية والقادمة إليه، ويكاد يفقد طريقه إن هو سار هكذا في هذا البحر اللجي الذي (يغشاه موج من فوقه موج من فوق سحب ظلمات بعضها فوق بعض).

ولذلك فإنني أهيب بخادم الحرمين الشريفين في ساعة كتابتي لهذا المقال يوم ٢٧ من رمضان وقد رعى اتفاق أفغانستان أن يجمع قادة الأمة العربية والإسلامية للمصالحة وصفاء القلوب حتى نصل جميعاً إلى بر الأمان.

ثانياً: إن هذا الخطر ليس قاصراً على قطر بعينه دون قطر ولكن هو

موجه لنا جميعاً، الهدف هو القضاء علينا وتحويلنا إلى دول من الدرجة العاشرة لا تجد ما يسد رمقها ولذلك فإنني أدعو الجميع لليقظة والحذر.

ثالثاً: إن العدو الأساسي لنا هو إسرائيل ويجب أن يكون ذلك واضحاً لنا جميعاً حكاماً ومحكومين وهي وراء كل الأحداث التي تحدث داخل أقطارنا.

رابعاً: إن العقيدة لا تواجه بالأمن والأمن لن يكون عنصر الحسم في المعركة إذا كانت هناك معركة ولكن عنصر الحسم هو بالحوار للتعرف على الأسباب التي أدت إلى هذه المواجهات ومناقشتها والوصول فيها إلى حلول ترضي كل الأطراف دون النظر إلى أن هناك غالباً ومغلوباً ولن يأتي ذلك إلا بمزيد من الديمقراطية والحرية وفتح النوافذ وحرية التعبير، وأن تكون هذه الآراء ذات قيمة عند التطبيق، وليست مجرد حبر لتسويد عدد أكبر من الصفحات دون مردود حقيقي . وألا تضيق صدورنا بالرأي المخالف فلعل فيه الإفادة والاستفادة.

خامساً: إن هناك واجباً على الدول الخليجية بأن تساهم في تدعيم المسيرة الاقتصادية في الدول الإسلامية فأحد أركان التطرف والإرهاب الجانب الاقتصادي.

سادساً: إلى أبنائنا الشبان في هذه الجماعات إن الإسلام بخير وإن أصوله وجذوره ثابتة وممتدة عبر السنين والأزمان ولا خوف عليه فلقد تعرض إلى أقسى الظروف الممكنة، وبقي ونما وأصبح اليوم أقوى مما كان لذلك فإن عليكم واجباً هاماً: إن العنف والتغيير بالقوة لن يؤتي ثماره بل على العكس، ستكون هناك ضحايا أبرياء نحن في حاجة ماسة إليهم ولكن علينا أن نتحاور ونتناقش بالقول اللين وندعو إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة ونجادلهم بالتي هي أحسن؛ «فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم»،

وإنه لاداعي لتصنيف علماء المسلمين إلى هذه الانقسامات ولكن البيئة على من ادعى وترك الباقي لعامة المسلمين للحكم عليه.

سابعاً: على قيادات العمل الإسلامي المعتدلة التحرك وبسرعة لإيقاف نزيف الدم بيننا فكفانا أحزاناً في أفغانستان وباكستان والهند والبوسنة والهرسك وفلسطين وعليكم مسؤولية كبيرة وتاريخية بضرورة إيجاد حد أدنى من التفاهم بين السلطة وعناصر هذه الجماعات قبل أن تدخل بيوتنا جميعاً الأحزان ونندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

ثامناً: إن على المثقفين دوراً هاماً وخطيراً بتوعية شعوب الأمة العربية بالخطر الداهم عليها، وإن بقاءها مرهون باتحادها وتماسكها ولا يصبوا الزيت فوق النار فنحن جميعاً الخاسرون للمعركة أمام عدو شرس.

أدعو الله أن يوفقنا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه.



المخدرات والمسكرات المواجهة والتحدي (١ من ٣)*

بعد التحرير مباشرة كان أحد المواضيع التي أنوي الكتابة فيها هو المخدرات والمسكرات. إلا أن تلاحق الأحداث وتداعيتها أجل الكتابة إلى يومنا هذا، والسبب الذي أثار الموضوع مرة أخرى ظواهر ثلاث، الأولى كانت قبل الغزو الغادر وظهور أعداد كبيرة من شبابنا ووقوعه فريسة لهذا القاتل الغادر. وتفاقت المشكلة أثناء الغزو أيام الشتات وشبابنا يعيش أيام الضياع فكانوا فريسة سهلة لأصحاب الهوى وصيدا ثميناً لإيقاعهم في براثن سمومهم. وتلقينا العديد من شكاوى وزارة الداخلية المصرية عن تردي هؤلاء الشباب، وحاولنا التغلب على تلك المشكلة آنذاك إلا أنه وكما يبدو بأن القتلة أرادوا أن يكون لهم رسل بيننا يحملون رسائلهم وسمومهم إلينا بعد التحرير وها قد حدث.

الظاهرة الثانية، هي بمتابعتي اليومية يكاد يكون بصفة يومية القبض على عصابات إما لإدخالها هذه السموم إلى البلاد أو الاتجار فيها أو ترويجها أو تعاطيها. وأمام هذه الهجمة الشرسة والمتوقعة لأسباب كثيرة ظهر عنصر خطير في الموضوع ألا وهو التاجر الكويتي المروج، وهو تحول في الفكر

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٣/٦/٦.

الكويتي يجب رصدته ودراسته لأن خطورته لا تتمثل في التدني الأخلاقي الذي وصل إليه البعض منا ليس سعياً وراء كسب سريع فقط لكنه يساهم بطريقة مباشرة وواضحة في تحطيم مستقبل الكويت بتحويل أغلى وأعز ما نملك إلى ما يشبه الحطام، الخطورة أيضاً في أن الكويتي أدري بمسالك الكويت وسلوك أبنائها، وبذلك سيكون على دراية بمفاتيح الشخصية الكويتية وكيفية الوصول إليها، أيضاً بتقاليد الكويت الشعبية والتجمعات في الديوانيات قد يجد له المنافذ للتوزيع والتعرف على الأسرار التي قد لا تكون متوفرة لدى أي مقيم بيننا.

الظاهرة الثالثة، فقد اقتحم بابي آباء وأمهات يعيشون في بحر الأحزان والمآسي يملثونه بدموعهم ودموع أشباح أبنائهم أو بقايا رصيدهم الحقيقي... ولم يكن أمامي إلا الاستماع والإنصات والحزن يملأ نفسي وقلبي أمام حسرتهم وآلامهم، والحيرة في عقولهم والسؤال يتردد على ألسنتهم هل أخطأنا الهدف؟؟ هل وسيلتنا التي سعينا من أجلها كانت نتيجتها خراباً للعقول والنفوس والديار؟؟ إلى آخر تلك التأوهات والبكاء في وقت لا ينفع فيه الندم والبكاء، بل علينا أن نقتحم العقبة ونواجه المصير بكل قوة وصبر لا ينفد...

إضافة إلى ما سبق فإن الخليج يعتبر منطقة جذب خطيرة لتجار المخدرات، فلديها كل المقومات الممتازة لنشر مثل هذه السموم من وفرة مالية، وفراغ قاتل، وتسبب أسري، وغياب لدور المدرسة والإعلام، وصلات اجتماعية تؤدي إلى غض نظر الأمن وقوانين تحتاج إلى إعادة نظر وضعف بالنفوس. أي غياب النظرة الشمولية للمشكلة، فالقضية لن تحل عن طريق الأمن فقط ولا بالقوانين فقط، ولكن بالتصدي للقضية الأصلية بعمق أكثر فالمشكلة قومية وحجمها كبير وخطير، إننا أمام مشكلة عالمية لم تفرق

بين دولة كبيرة أو صغيرة، أو غنية أو فقيرة ويكفي أن نعرف مثلا أن عدد المدمنين في العالم يصل إلى ما بين ٣٥٠-٤٠٠ مليون شخص بمعدل ٧٪ من مجموع السكان. وحجم ما ينفق على تجارة المخدرات يوازي ٢٠٠ مليار دولار سنويا، وهي كافية لحل مشاكل الملايين الذين يموتون جوعا والذين يصل تعدادهم حوالي ٥٠ مليون شخص سنويا، وأن حجم ما يضبط من المخدرات هو ١٠-١٥٪ من مجموع دخل أي دولة.

ولأول مرة في تاريخ العالم تعقد الجمعية العمومية للأمم المتحدة دورة خاصة بها لمناقشة الإدمان وطرق الوقاية، يشارك فيها رؤساء أميركا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربية. . ولأول مرة يتلقى الرئيس السابق «جورج بوش» في عام ١٩٩٠ تهديدا بالقتل إذا لم يوقف نشاطه ضد (مافيا) المخدرات. . ولأول مرة تقوم أميركا باختطاف رئيس جمهورية بنما نوريجا لمحاكمته بعد تحذيره من التوقف بإرسال شحنات المخدرات إلى أميركا وعدم امتثاله لهذه التهديدات وضربه لها عرض الحائط. . ولأول مرة يتورط رؤساء جمهوريات ووزراء وقضاة ورجال أمن في الاتجار. . ولأول مرة تستخدم المخدرات رسميا من دول لمحاربة دول أخرى مثل فيتنام ضد أميركا ليصل عدد المدمنين الأميركيين إلى حوالي ٥٠ ألف مواطن نتيجة حرب فيتنام فقط. . وأن تتولى مخبرات دول مثل الاتحاد السوفياتي سابقا وألمانيا الشرقية زراعتها واستخدامها كسلاح ضد الأعداء ومصادر اقتصادية. . ولأول مرة تستخدمها إسرائيل ضد الدول العربية بصفة عامة ومصر بصفة خاصة وذلك بتسهيل دخول أطنان المخدرات إليها لضربها اقتصاديا وفكريا، ويصل نصيب خسائر مصر المباشرة من ذلك ٤-٨ مليار دولار تهرب خارج مصر لشراء المخدرات إضافة إلى الخسائر القومية في الإنتاج والعائد الوطني نتيجة الإدمان. . ولأول مرة تمتنع فرنسا عن التوقيع على اتفاقية (برجي) كجزء مكمل (لماستريخت) والتي تعطي حرية التنقل للأفراد في أوروبا نظرا لأن هولندا وإسبانيا واليونان تبيع وشراء

المخدرات للمتعاطين بحرية تحت سمع وبصر السلطات الأمنية والحكومية محاولة القضاء على المخدرات لدى هذه الدول بينما فرنسا لا تبيح ذلك ولها إجراءات صارمة في هذا الخصوص .

إذن نحن أمام حرب ضروس تشنها (مافيا) لديها أجهزة خطيرة وإمكانيات كبيرة علمية واقتصادية وسياسية وأمنية، لذلك فإن أول الاستعدادات للمواجهة تتطلب منا أن نعرف بأن الإدمان ليس مسؤولية المدمن وحده ولكن مسؤوليتنا جميعا، وأن نتفق بأن الإدمان ظاهرة مرضية وليست سوء خلق، وأن المدمن مريض انزلت قدماه من حيث لا يدري وهو ليس إنساناً شريراً ولا منبوذاً من المجتمع بل علينا أن نمد أيدينا إليه لننقذه من الهلاك، وأن نعد خط الدفاع الأول لهذه المهمة وهي الأسرة؛ فالتربية والجو الأسري والالتزام من قبل الوالدين هي العمق الرئيسي لحفظ الأبناء، وتدل الإحصائيات المنشورة أن ٩٠٪ من المدمنين نشئوا إما في أسر مفككة بسبب الطلاق أو غياب الأب طوال الوقت بين سفره أو تجارته أو ديوانيته دون السماع أو المتابعة لأبنائه، أو أن الوالد يسمح بتعاطي الكحوليات داخل منزله وأمام أبنائه، بل ولعله أيضا يتسامح إن لم يشجعهم على التعاطي .

أيضا الجهل بالتربية السليمة، فالإنسان يولد على الفطرة يحتاج إلى الحب والثقة وتنمية الذات فأين يجد هذه التربية والتزكية ؟ أفي السيلانية أم الفلبينية وفاقد الشيء لا يعطيه. إضافة إلى التبذير في الإنفاق والسخاء في توفير كافة وسائل الترفيه دون رقيب، أو حتى مجرد سؤال، وكأن ذلك تعويض عن الغياب الأبوي داخل الأسرة حتى التشجيع على السفر خارج البلاد بهدف الوناسة مع الأحبة . هل كلف الوالد أو الوالدة أنفسهما السؤال عن الرفقاء . وواجبنا الآن قبل أن تأتي اللحظة ونصحو جميعا لنرى أن المستقبل قد ضاع وندم وقت لا ينفع الندم أن تعرف الأسرة واجباتها نحو

أبنائها هذا من جانب، والجانب الآخر أن تعرف الأسرة وتعي أعراض الإدمان أو الدخول في شركه وحبائله من المراحل الأولى لنكتشف الحالة قبل أن يتمكن منها هذا الداء الخطير، على الأسرة المراقبة الكاملة لأي تغير يحدث لأحد أفرادها، أيضا عليها أن تتعرف على الأصدقاء حيث دلت الإحصائيات الأخيرة بأن ٨٥-٩٠% من المدمنين دخلوا إلى هذا العالم عن طريق أصدقاء السوء؛ فهم الأقرب إلى الأبناء والأكثر عددا والأكثر مصارحة مع بعضهم البعض وكل فرد من الفريق، يجب أن يكسب رضا الآخرين حتى لا يوصف بعدم الرجولة والنخوة، أيضا تبين أن تجار هذه السموم يحاولون الإيقاع بأول فريسة ليكون هو الشرك لاصطياد الآخرين.

للأسرة دورها

على الأسرة إذا ما اكتشفت هذا الخطر أن تبادر فوراً لاتخاذ الإجراءات اللازمة، فالإنكار لن يكون في صالح المريض والأسرة، ولا بد أن ينشأ حوار داخل الأسرة بين الآباء والأبناء لفرض الثقة بين الطرفين بدلا من ضياع فرص العلاج، ولعل المؤشر البسيط والواضح عن الالتزام تجاه الأبناء هو متابعتهم في دراستهم وسلوكياتهم داخل المدرسة أو الجامعة أو المجتمع، على الأسرة أن تعترف بأن خطأ ما قد حدث داخلها أدى إلى وجود مدمن بين أفرادها كي تتدارك هذا الموقف وهذه هي بداية الطريق الصحيح فأولياء الأمور هم أفضل من يساعد في حل المشكلة في المجتمع كله بحكم موقعهم الاستراتيجي عقلا ووجدانا من الأبناء، وتقول (اميلي شاشتر) وهي معالجة نفسية متخصصة في حالات الإدمان «إن الخطأ مثل الحمى . . إنه إعلان بأن شيئا ما يتفاعل ضد الطبيعة في الجسد ولذلك فإن بقية الجسد يتداعى له بالحمى».

والمدرسة خط الدفاع الثاني

على الأسرة أيضا أن تعرف بأن الإدمان لا يصيب الفاشلين فقط بل قد يصيب الممتازين لسبب أو لآخر، وأن هذا القاتل الغادر ليس قاصرا على سن معينة ولا طبقة اجتماعية بعينها دون غيرها. ولذلك أقترح أن تكون هناك برامج تثقيفية للأسر عن هذا الموضوع إما عن طريق التلفزيون أو الإذاعة أو التربية والتعليم أو جمعيات النفع العام في صورة منشورات توزع مجانا داخل الجمعيات أو التجمعات. المهم أن نوصل المعلومة للآباء في هذا المجال. وأقترح أيضا أن يكون هناك لقاءات للآباء لتدارس هذا الموضوع على مستوى الأحياء؛ لتعود إلينا المودة والقربى التي أصبحنا نفتقدها الآن. ليست الأسرة هي الوحيدة التي تلعب في حياة أبنائنا «ولكن المدرسة هي خط الدفاع الثاني» وهي لا تقل أهمية وخطورة عن الأسرة، ففي المدرسة تصنع الأجيال فلا بد أن يكون المصنع مهيا والصانع ماهرا ولديه مقومات الصنعة حيث يبدأ الطفل احتكاكه بالعالم الخارجي ويفرض عليه زملاء قد لا يعرفهم وقد لا يحبهم، منهم السوي ومنهم الفاسد ومنهم الغني ومنهم الفقير، فأى طريق سيسير وأي الأصدقاء سيتخير وهو أمام معلمه الذي يمثل بالنسبة له القدوة الحسنة؟ فأى المعلومات سيتلقاها منه وهل سيكون محل ثقته بأسلوبه وسلوكياته أم القول شيء والفعل شيء آخر؟؟ هل المعلم لديه المعلومات بحيث يمكن اكتشاف أي تغير سلوكي يظهر على الطفل لإبلاغ المنزل به؟ وهل هناك تجاوب بين المدرسة والمنزل؟ أم كل في واد...!!؟؟ ما هو الأسلوب الذي نقدم فيه هذه المعلومة إلى أبنائنا؟ هل أسلوب الوعظ بالتحذير الذي لا يحقق الكثير؟؟ أم تقديم الحقائق والأرقام وتركه ليختار بين الحياة والموت هو الأجدى فيكون لإرادتهم الدور الأساسي في اختيارهم الذي يدافعون عنه؟؟

إن اكتشاف تغيير السلوك قد لا يكون بالأمر السهل خاصة لدى

المراهقين فليدهم الكثير من الحيل التي يتدعونها حتى لا تظهر عليهم أية أعراض خاصة أن هذه الحيل تأتي من خلال أقران السوء المجرمين والمدرسين على ذلك.

أيضاً هل جميع المدرسين على علم بأعراض الإدمان أو مشاكله بحيث يمكنهم اكتشافه...؟؟ هل المدرسة لديها الفريق المتكامل المطلوب للتنشئة من أخصائي اجتماعي وأخصائي نفسي؟ لقد دلت إحصائيات نشرت عام ١٩٨٣ في أميركا أن ١٠٪ من طلاب هذا العام بدءوا في تعاطي الكحوليات منذ الصف السادس وأن أكثر من ٣٪ من طلاب نفس العام اعتادوا التدخين بصفة يومية في نفس العمر تقريبا، في حين ظهر أن أكثر من ٣٠٪ منهم كانوا يتعاطون ويدخنون مخدر (الماريجوانا) في نفس السن، معنى ذلك أن المشكلة لم تعد قاصرة على سن معينة؛ ولذلك فإننا يجب أن نقدم معلومات وافية لكل مرحلة وبما يناسبها ليتعرف في النهاية عما ينتظره من مصير إن هو أقدم على هذه الخطوة المدمرة، ولعل أكثر الناس تهيئة لتقديم مثل هذه المعلومة هم المعلمون في جميع مراحل التعليم فهم الأقدر على تفهم نفسية الطالب، وهم الأقدر على قياس التفاعل بين المحاضرة أو المعلومة وبين الطالب، منها يمكن التعرف على مَنْ بدأ الطريق، ومن هم في الطريق إلى الهاوية، ومن منهم سقط فيها، وهذه سوف تتطلب تدريب جميع العاملين بدور التربية والتعليم على هذا الموضوع، وليكن ذلك في شكل دورات إجبارية للتعرف على موضوع الإدمان والمدمنين، وقد قمنا بإقامة دورات في هذا الموضوع قبل الغزو، شارك فيها الأخ (حسين المؤمن) ومن هنا أرسل تحية للأخ (الدكتور أحمد الربيعي وزير التربية والتعليم العالي) لإصداره الأوامر بعدم تدخين المدرسين أثناء الدوام اليومي حيث تبين أن ٦٠٪ من المتعاطين للمخدرات والمسكرات بدأت قصصهم مع تدخين السجائر، ولعل جميع الإخوة الوزراء يحذون حذو (الأخ أحمد الربيعي) لحين موافقة مجلس

الأمّة بإصدار قانون التدخين . وحتى أوجز يجب أن تكون لدى وزارة التربية والتعليم خطة قومية للقضاء على هذه الظاهرة وتحصين من لم يقع في هذا السرطان تهدف إلى الآتي :

- ١ - الوقاية للقاعدة الكبرى من أبنائنا الطلاب وكيف يقولون لا للمخدرات .
 - ٢ - تخفيض عدد المدخنين إلى الحد الأدنى وأيضا المتعاطين للمخدرات .
 - ٣ - إرشاد الطلبة الأكثر تعرضا لخطر المخدرات من الانطوائيين والذين يتعرضون لمشاكل أسرية أو اجتماعية أو اقتصادية للانخراط في العمل الاجتماعي والعمل على حل المشاكل التي تواجههم والنمو العاطفي والشعور بالذات .
 - ٤ - إيجاد (كادر من المعلمين) لديهم المقدرة للعمل كمستشارين للطلبة أثناء وبعد الدوام الرسمي .
 - ٥ - تعزيز عمل مجالس الآباء لمهامه الاجتماعية الدورية للتعرف على مشاكل الأبناء وتقديم تقارير حقيقية عن أوضاعهم وملاحظتهم عليهم .
 - ٦ - تشجيع الآباء على الانخراط في مشروع مكافحة المخدرات خاصة الذين كانت لديهم تجربة في هذا المجال دون خوف أو تردد .
 - ٧ - تكوين فرق عمل من الطلبة المتفوقين وعمل دورات خاصة لهم في هذا المجال فهم أقدر على اختراق حاجز الخوف مع زملائهم الذين وقعوا في براثن هذا الغادر ومن تساورهم أنفسهم على ذلك .. لمصارحتهم وتوعيتهم ومحاولة إنقاذهم والتعرف على مشاكلهم والعمل على حلها سواء عن طريقهم أو عن طريق الأسرة أو المدرسة .
- هذا على الأسرة والمدرسة ماذا عن بقية العناصر المؤثرة في المشكلة .. هذا ما سوف أكتب عنه في المقالة القادمة إن شاء الله .



المخدرات والمسكرات المواجهة والتحدي (٢ من ٣) (*)

وللمسجد والعلماء دورهم

في المقالة السابقة تعرضت بصورة سريعة عن موقع المخدرات في العالم وما تسببه من دمار للإنسان صانع الحضارة، وكيف يقوم بعض ذوي النفوس الضعيفة باستنزاف القوى البشرية في سبيل جمع مال زائل؟ وكيف تستخدم بعض الدول هذا السلاح الخطير لمحاربة بعضها البعض، ثم تعرضنا لعنصرين هامين يؤثران سلبا وإيجابا في المشكلة: ألا وهما الأسرة والمدرسة، وفي هذه المقالة سوف أتعرض إلى بقية خطوط الدفاع الأخرى التي يجب أن تكون محصنة تحصينا قويا سواء بالوقاية أو الهجوم، فغالبا الهجوم هو أقصر طريق للدفاع، وعلينا أن نقتحم العقبة قبل أن تقع الواقعة وحيثئذ لن تكون كاذبة. وخط دفاعنا الثالث «المسجد أو دور العقيدة والدين» وعلماؤه في محاربة المشكلة وليس القصد هنا تبيان الحلال والحرام فقط ولكن الهدف هو التربية وخلق المواطن الصالح، وتربية الضمير وتنميته ليكون رقيقا عليه في كل خلجة نفس، ويعلم بأن الله يراه ويعلم ما توسوس به نفسه من خير ومن شر.. وأن يغرس فيه الإيمان ويقويه لدى الأسرة والأبناء، فهو السلاح القوي الذي يمكن أن يواجه به كل هذه المخاطر قويا

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٣/٦/٢٠

غير ضعيف، ثابتا غير مزعزع، له كيانه في المجتمع ليس إمعة بين أصدقائه ليعيش في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل، فلا لذة عارضة تطغى عليه ولا عرض زائل يسعى إليه، فالآخرة فيها حسن الثواب.

هناك تجارب كثيرة وناجحة في هذا المجال قام فيها المسجد بدور جليل في الحماية وفي العلاج وفي التأهيل وفي الدعوة إلى الصبر وتحمل آلام المرض والشفاء لمن وقع في مستنقع الإدمان، ومواساة الأهل والتخفيف بالقوة وعدم الرضوخ للهزيمة النفسية والإحباط نتيجة وقوع أبنائهم في براثن هذا الداء القاتل الذي لا يرحم. على علماء الدين أن يعملوا على تثبيت الوازع الديني في عقول وقلوب أبنائنا لحمايتهم ضد الإدمان، من وقع منهم في شركه فإن الله غفور رحيم وألا يقنطوا من رحمة الله، وهذه ليست نهاية الدنيا ولكن باب التوبة والرجاء مفتوحان على مصراعيهما (وكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) وأنه ليس عنصرا فاسدا في المجتمع وعليه إثبات ذلك بالقول والعمل والتوبة النصوح.

وللأعلام دوره الخطير

أما خط الدفاع الرابع فهو الإعلام ويلعب دورا خطيرا خصوصا هذه الأيام أمام تقلص رقعة العالم ليصبح قرية صغيرة تستطيع متابعة الحدث ساعة وقوعه بالصوت والصورة، ولذلك فإننا مطالبون أمام هذه الثورة التكنولوجية أن يكون لدينا الإعداد الصحيح للإنسان لتلقي الأخبار والمسلسلات التي تفرض علينا فرضا وفي عقر دارنا، فاخترقت حاجز الحرمات والخصوصيات إننا قد أصبحنا نتلقى الخبيث والطيب، تفرض على مجتمعاتنا عادات وتقاليد وأعرافاً غريبة عنا، وأمام الانبهار بما وصل إليه الغرب من تكنولوجيا متقدمة في كل المجالات توصل في أبنائنا أن يقتدوا

بالغرب خاصة أن أمامهم إنجازاتهم، بينما نحن العرب والمسلمين ليست لنا في الحضارة الحديثة أية إسهامات تذكر.

ولذلك فإن هذا الانبهار يقودهم إلى مجاراتهم، إلا أنه وللأسف الشديد أن هذا الجانب المشرق من الحضارة الغربية لم يستثر من اهتمامنا شيئا وانصب كل اهتمامنا بالجانب المظلم.. الحياة الجنسية - المخدرات - المسكرات - التفكك الأسري.. وغير ذلك من دعاوى شيطانية يدعو ويخطط لها مجموعات صهيونية سجلت مكائدهم في بروتوكولات حكماء صهيون بالاستيلاء على العالم بنشر الرذيلة والمخدرات والمسكرات وإغراقهم في الجنس.. هذه البرامج يخططون لها لبثها مباشرة إلينا، ونحن نتلقى ما يصلنا، لذلك فإنني أهيب بالإخوة المسؤولين عن الإعلام خاصة المرئي، بالانتفاع بالبرامج الثقافية والمسلسلات واختيار ما يناسب مجتمعاتنا ومحاولة تحصين المواطن أمام هذا الزائر الثقيل الذي يلعب دورا خطيرا في كل مناحي حياتنا.. أيضا تطوير المعالجة السطحية لموضوع المخدرات والمسكرات والدخول فيها بعمق ووضع الخطط داخل التلفزيون ليكون من أولوياتها هذا الموضوع للمساهمة في وقف الترددي الذي وصل إليه المجتمع من حوادث دخيلة علينا تظالعا بها الصحف يوميا، وعلى أجهزة الإعلام تعريف المواطن بحقيقة موضوع الإدمان، ووضع الصورة الحقيقية أمام الآباء والأبناء وبكل جوانب المشكلة نفسيا وصحيا واجتماعيا، وما هي الأسباب التي تؤدي إلى الإدمان؟؟ وطرق الوقاية والعلاج؟؟ ولعل ذلك لا يترجم إلى عقد ندوة بالتلفزيون فقط، ولكن هناك في العمل الإعلامي معلومة بسيطة جدا يمكن أن تعطى للمشاهد تكون كفيلا بأن تسيطر عليه - مسلسل مشوق - أفلام واقعية - مأس إنسانية.. دور كل عنصر في الحماية والتحصين والعلاج.. وعلى الصحف والمجلات أفراد أبواب ثابتة للتوعية والتثقيف والطرق المختلفة التي يتبعها أفراد العصابات لإيقاع أبنائنا في شركهم.. علينا أن نضع الأسرة أمام

مسؤولياتها بتوضيح أدوارهم وأهمية مشاركتهم في الترابط الأسري، عليهم دق أجراس الخطر أمام الجميع مسؤولين ومواطنين لينهض كل بدوره دون إفراط أو تفريط، علينا أن ننشر الحقائق كاملة دون خوف أو تردد حتى نضع أيدينا على مكانم الداء ومعالجتها. ويقع على الإعلام دور خطير في تبصير المجتمع بالأخطار المحدقة به، ويجب أن يكون بمثابة قرني استشعار للتعرف على ما يجري حولنا والتنبيه إلى مثل هذه المخاطر قبل وقوعها.

ولرجال الفكر رسالتهم

على الإخوة المثقفين الاهتمام بهذا الموضوع والكتابة فيه وإصدار العديد من المؤلفات لتكون بين أيدي الأسرة يطلعون عليها لتكون بها تفاصيل أكثر يستطيع أفراد الأسرة التعرف على أسرار هذا الخطر الداهم على المجتمع.

وللأمن والقانون خطته

وخط دفاعنا الخامس، هو الأمن والقانون وهما وجهان لعملة واحدة مكملان لبعضهما البعض فلا خير في أمن لا يسانده قانون محكم ولا أمل في قانون لا يسانده أمن منضبط؛ بعض الإخوة يعتبر أن الأمن والقانون يجب أن يكون مكانهما في الصدارة ولهم أسانيدهم في ذلك، وأنا أوافقهم في جزء من تلك الأسانيد لكن أعتقد بأن (الوقاية خير من العلاج)، هناك كثير من الدول تنتج المخدرات والمسكرات ولا تستهلك منها إلا القليل ولا تعاني مشكلة الإدمان نتيجة الوعي بين أبنائها لذلك فلن تحل المشكلة بالأمن فقط، ولا بالقانون فقط فرغم أهمية الدور المنوط به في حماية الجبهة الداخلية والسهر على الحدود لحماية المواطنين وردع من تسول له نفسه بالتلاعب بمقدرات شعبنا إلا أنني أشدد القول بأننا يجب التعرف على الأسباب التي

تؤدي إلى الإدمان ومعالجتها معالجة جذرية لنقضي على هذه الأسباب. وفي بحث طيب في مصر قامت مجموعة من الباحثين بدراسة على مجموعة من المدمنين وطلبت من كل مدمن أن يكتب أسماء أصدقائه للتعرف عليهم ووجدت الكثرة الكبيرة من الذين دخلوا إلى الإدمان لديهم مشاكل كثيرة سواء اجتماعية أو نفسية أو اقتصادية بينما تبين من بين الأصدقاء من لم يدخل إلى عالم الإدمان ووجدوا أن هؤلاء ينتمون إلى جماعات دينية استطاعت أن تحميهم وتتغلب على ما صادف هؤلاء الأبناء من مشاكل في حياتهم فالمنتسبون للجماعات الدينية محصنون من داء المخدرات والإدمان.

لكن ملاحظتي للإخوة في وزارة الداخلية هي أن المتعاطي والمدمن يجب أولاً النظر إليهم على أنهم مرضى وثانياً يجب عدم إيداعهم في السجون سواء مع التجار أو المروجين أو المجرمين ذوي الجرائم حتى لا يخرجوا من السجون مؤهلين ليكونوا أصحاب جرائم أخرى أعتى وأخطر، بل علينا تخصيص سجن خاص بهم وله مواصفات خاصة به من الأطباء والأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين والمرضى المؤهلين لهذا العمل أو إيداعهم في المصححات النفسية المؤهلة لذلك. أما عن الجانب القانوني فإننا في هذا الجانب سبقنا الكثير من الدول بأننا فرقنا بين المتعاطي والمدمن والموزع والجالب والتاجر. جاء ذلك في قانون المخدرات رقم ٧٤ لسنة ١٩٨٣ في مواده رقم ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦ والتي أعطت لمن زلت قدمه الفرصة للتوبة النصوح، وبذلك يكون القانون الكويتي إحدى الدعائم الأساسية في علاج هذه الكارثة، وسأعود إلى ذلك بالتفصيل . .

واستغلال الفراغ

أما خط الدفاع السادس . . الفراغ . . فهو القاتل ومن أكبر العوامل التي

تدفع الشباب إلى الانحراف ورغم أننا جميعا على علم بذلك ونشاهده يوميا في الأسواق والتجمعات التجارية إلا أننا لم نسمع عن أي تنظيم جاد يحاول احتواءهم وجذبهم للأعمال التي يهونونها. لماذا لا نقيم لهم معسكرات عمل أسبوعية يزاولون فيها الأعمال التي يحبونها؟؟ لماذا لا نرسلهم في معسكرات عمل خارج الكويت لاكتساب المهارات والاحتكاك بالعالم الخارجي.؟؟ ولكن تحت إشرافنا.!! لماذا لا ننشئ في كل أحياء الكويت نوادي بها ما يسعون إليه من أعمال وتحت إشرافنا؟؟! الآن وبعد التحرير هناك العديد من المدارس خاوية لماذا لا نستغلها.؟؟ أين المسابقات التي تشجعهم على تنمية أفكارهم.؟؟ هناك الكثير والكثير من الأفكار التي يمكن أن تحتوي هذه الطاقة ولا نتركها لتجار السموم وأصحاب السوء!!

هذه هي بعض تصوراتي وانطباعاتي عن هذه الكارثة التي يعاني منها العالم اليوم والكويت جزء منه. كل بند منها يحتاج إلى مجلدات وإلى خبراء ليدلوا بدلوهم، وإن شاء الله سنتولى هذا الموضوع بصورة مغايرة في مؤتمر قريب تنظمه المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية.

أدعو الله أن يكون إضافة جديدة تستطيع أن تقدم مصلا واقياً لتحصين المجتمع ضد هذا الوباء الخطير.

هذا عن جوانب الدفاع والوقاية والتي شملت الأسرة والمدرسة والمسجد والإعلام والقانون والأمن. ولكن ماذا عن الجوانب العلاجية إذا ما وقع أحد أفراد الأسرة في براثن هذا القاتل الغادر؟؟؟. هذا ما ستعرض له في المقالة القادمة.



المسكرات والمخدرات المواجهة والتحدي (٣ من ٣) (*)

في المقالتين السابقتين تعرضت بصورة موجزة عن الوضع العالمي بالنسبة لقضية المخدرات والمسكرات.. ماذا يجني العالم من تجار الموت؟ وأثر العوامل المختلفة المساعدة على انتشار هذه السموم في المجتمعات؟ ورأينا كيف تحولت هذه المشكلة إلى حرب بين الدول بعضها البعض بصورة خفية بهدف إنهاك قواها البشرية وانعكاس ذلك سياسيا واقتصاديا. ورأينا أيضا أن العصابات التي تعمل في هذه المجالات لديها علماء في الكيمياء والاقتصاد والسياسة والقوات الحربية ووسائل دفاعية وهجومية لا يستهان بها.. ثم رأينا أيضا كيف أن دولاً كثيرة تحت بنود سرية الحسابات ترحب بهذه الأموال؟ وسمعنا اصطلاحاً اقتصادياً جديداً يسمى بغسيل الأموال وتورط حكومات وبنوك في هذا الموضوع.. وأقرب حادثة في هذا المجال هي بنك الاعتماد والتجارة الخارجية.. وتطرقنا أيضاً إلى العوامل المؤدية إلى الهاوية من عوامل أسرية ومدرسية وعقدية وإعلامية وقانونية وأمنية وفراغية.. هذه العوامل جميعها يمكن أن تكون عوامل سلبية تدفع بالإنسان إلى طريق الهلاك.. ويمكن أن تكون إيجابية تحميه وتحصنه ضد هذه الأنواء مهما كانت عاتية. ولذلك فإن التركيز في المقالتين السابقتين كان على

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٣/٦/٢٧.

الوقاية فهي خير ألف مرة من العلاج لكنه ليس بهذه البساطة أو السهولة . .
فهناك من وقع في براثن الإدمان وليس أمامنا إلا تقديم العلاج له لإنقاذه،
وتقليل الخسائر الناجمة عن ذلك . . لكن ما أفرغني هو ذلك الخبر المنشور
في صحيفة الوطن يوم الاثنين ١٤ يونيو عن ضبط شاحنة بها ثمانون
كيلوغراما من الكوكايين . . وهو أخطر أنواع السموم، والكمية كبيرة جدا إذا
ما قورنت بحجم الكويت وهذا يدل دلالة واضحة على أن الحرب شرسة
تحتاج منا جميعا التصدي لها، فلا أحد منا يعلم مصير أبنائه والأجيال
القادمة . . ومن يدري فقد يكون ابني أو ابنك أو شقيقي أو شقيقك قد زلت
قدماه في لحظة ضعف استولى عليه فيها الشيطان، وزين له سوء عمله
واجتمع معه أصحاب السوء الذين شبههم الرسول ﷺ في قوله «مثل المجلس
الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير . . .» .

لذلك يجب أن تتبنى الدولة حملة وطنية شعبية يشارك فيها الجميع
للتعرف على جوانب المشكلة، ووضع استراتيجية وقائية وعلاجية . . فأقصر
الطرق للعلاج التعرف على حجم المشكلة بنشر الإحصائيات المختلفة عن
جوانبها . . ما هو حجمها بين الشباب والشابات . .؟؟ ما مدى انتشارها في
المدارس في المراحل المختلفة . .؟؟ ما هي حجم المضبوطات . .؟؟ وما
هي الجهات المصدرة لهذه السموم لنا؟؟ حجم القضايا . . إلى غير ذلك من
بيانات سوف تفيد الجميع سوف يطلع عليها الآباء لكي يأخذوا الحذر،
سوف يطلع عليها المسؤولون لتدارس الموقف . . سوف نعرف هل لدينا
مشكلة مخدرات ومسكرات أم لا . .؟؟ وما هو حجمها . .؟؟ كيف نطلب من
الآباء أخذ الحيطة من هذه المشكلة إذا لم تكن أصلا موجودة . .؟؟ كيف
سيقبلون على برامج التوعية التي ندعوهم إليها إذا لم يكن لدينا مشكلة تهدد
أمننا واستقرارنا . .؟؟ لذلك فإنني أهيب بالإخوة المسؤولين نشر جميع

الإحصائيات المتوفرة لديهم دون خوف أو تردد لأنها ستكون في صالح الوطن أولاً وأخيراً.

ونعود إلى العلاج . . وليس القصد من العلاج هو الجانب الطبي فقط، فهو أحد الجوانب التي ستحدث عنها في نهاية المقالة؛ لأن الإنسان الذي يقع فريسة للإدمان أصبح بقايا إنسان؛ ونحن لا نريد أن نصل إلى هذه المرحلة . . لذلك فإنني أعتقد بأن العلاج في التغلب على هذه السليبيات المختلفة المحيطة بالفرد أياً كان جنسه أو موقعه سواء على المستوى الأسري أو المدرسي أو الإعلامي . . وسأقصر حديثي هنا على ثلاثة بنود . . الأولى: الإيمان القوي، الثانية: القانون والأمن، الثالثة: العلاج الطبي.

أولاً: الإيمان، للإسلام تجربة رائدة ممتازة في هذا المجال فنحن نعرف جميعاً بأن العرب كانت تعشق الخمر وتعاقرها ليل نهار، وأنشدت فيها القصائد بالتغني والعشق فيها ولم يكن هناك من بيت يخلو منها . . وعندما نزلت آية التحريم كان هناك من يعاقرها ساعتها وعندما سمعوا نداء المنادي بالتحريم توقف الجميع ولم يتردد أحد في ذلك، وقيل بأن شوارع المدينة كانت غارقة في الخمر بعد تحريمها لكثرة ما كان لدى العرب من كميات كبيرة منها . . هذا الموقف سببه الإيمان القوي الذي لا يتزعزع بأن التحريم هو في صالح الإنسان وإعلاء شأنه.

ولم يناقش أحد في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٨٩٠، عندما صدر قانون وقف صناعة الخمر . . ماذا كانت النتيجة . . زيادة حالات التسمم والشلل والعمى نتيجة تعاطي أنواع رديئة من الكحوليات التي كانت تصنع سرا . . مما اضطر الحكومة الأميركية إلى التراجع عن القانون . . وهذا هو الفرق بين موقف الإيمان وصدق أهله مما يصدر من قوانين ليست وراءها فناعة من مستهلكها . . وحتى لا يتهمنا البعض بالمثالية أو البعد عن الواقع،

وبأن الحادثتين حدثتا مع فارق المجتمعات والسنين.. فإنني سأذكر تجربة أخرى حديثة جدا في الولايات المتحدة الأمريكية..

فقد نشرت مجلة «لايف» الأمريكية منذ عام تحت عنوان «إيمان صارم وراء القضبان» في الواحدة بعد الظهر كل يوم جمعة تنتقل الكراسي من أماكنها وتوضع بجوار الحائط في متدى السجناء السود. وتبسط بقايا إحدى السجادات الشرقية على الأرض، ثم تصطف حفنة من المسلمين السود المحكوم عليهم بالسجن، يركعون في اتجاه مكة المكرمة لأداء شعائر صلاة الجمعة.. وهو اليوم المقدس لدى المسلمين، وهؤلاء المسلمون الأتقياء لا يشربون الخمر ولا يتناولون المخدرات التي يمكن الحصول عليها بسهولة داخل السجن، وشريعتهم تحرم الشذوذ الجنسي الذي هو من أسباب حوادث العنف والاضطراب بين السجناء.. وقد أصبح السجناء المسلمون جماعة تحظى باحترام الجميع وذات تأثير مطرد على نزلاء السجن السود الآخرين.. «هذه هي معجزة الإيمان تصنع الرجال الأقوياء الأشداء الذين يقاومون هوى النفس والشيطان بسبب هذه الكلمة البسيطة وهي الإيمان بالله القوية الأثر الأكيذة المفعول».

ويضيف المؤرخ (أرنولد توينبي) في كتابه «محاكمة الحضارة» إن الروح الإسلامية تستطيع أن تحرر الإنسان من ربة الكحول عن طريق الاعتقاد الديني العميق، والتي استطاعت بواسطته أن تحقق ما لم يمكن للبشرية أن تحققه في تاريخها الطويل بالقوانين المفروضة بالقوة ومن خارج النفس. إن الإسلام يستطيع وحده أن ينقذ الإنسانية من تأثير المجتمعات المدنية الغربية التي تبث شباكها في أنحاء العالم، «فهل لنا أن نعيد حساباتنا وأن يكون الإيمان القوي هو أحد أركان الشخصية الإسلامية التي تستطيع أن تشق طريقها بكل الثقة والاطمئنان»!؟.

ثانياً: الجانب القانوني والأمني، فكما ذكرت فإنهما يكمل أحدهما الآخر وأن القانون الكويتي رقم ٧٤ لعام ١٩٨٣ هو من خير ما صدر في هذا المجال، حيث أجازت المادة ٣٣ من هذا القانون للمحكمة بدلا من توقيع العقوبة المنصوص عليها في الفقرة الأولى من المادة السابقة أن تأمر بإيداع من تثبت إدانته على تعاطي المخدرات، إحدى المصححات التي يحددها وزير الصحة العامة ليعالج فيها إلى أن تقدم لجنة من وزارة الصحة العامة تقريرا عن حالته إلى المحكمة لتقرر الإفراج عنه، أو استمرار إيداعه لمدة أو لمدد أخرى.. ولا يجوز أن تقل مدة البقاء عن ستة أشهر، ولا تزيد على سنتين.. إلى آخر ما تضمنته هذه المادة، وأيضا المادة ٣٤ نصت على ألا تقام الدعوة الجنائية على من يتقدم من متعاطي المخدرات من تلقاء نفسه للعلاج كما وضعت ضوابط لهذا الموضوع. أيضا المادة ٣٥ أجازت لأحد الزوجين أو أي من الأقارب حتى الدرجة الثانية أن يطلب إلى النيابة العامة إيداع زوجه أو قريبه الذي يشكو إدمانه المواد المخدرة، إحدى المصححات ونصت على الإجراءات التي يجب اتباعها في ذلك والتأكد من صحة البلاغ. المادة ٣٦ جاءت رائعة ولم تجز الطعن في الأحكام الصادرة بالإيداع طبقا للمواد ٣٣، ٣٤، ٣٥. ومن هذا يتضح أن الكويت سبقت الكثير من الدول في الجانب التشريعي في هذا الخصوص، وغيرت النظرة البوليسية للمتعاطي واعتبرته مريضاً يجب علاجه، وإعطاؤه الفرصة ليعود عضواً عاملاً داخل المجتمع. وجاء ذلك مطابقاً لاستطلاع ممتاز قام به المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر بخصوص تعديل قانون المخدرات بمصر حيث طلب مجموعة من أساتذة القانون الجنائي تشديد العقوبة على المتعاطين وفي الاستطلاع صوت ضد المشروع من القضاة بحدود ٨٠٪ وكذلك رجال الشرطة في حدود ٧٠٪ وبالتالي لم يصدر القرار

حيث وجد المشرع بأن زيادة العقوبة ومعاملة المتعاطي مثل التاجر والموزع من حيث العقوبة سيؤدي إلى:

أ - أن هناك حوالي ٧٠٪ من رجال الشرطة سيتهاونون في ضبط هؤلاء وأيضاً نفس الشعور لدى القضاة. . لن يصدر على هؤلاء المتعاطين أحكام بنفس النسبة.

ب - سترتب على ذلك أيضاً إمعان المتعاطي وسعيه إلى أن يكون تاجراً أو موزعاً بدلاً من بحثه عن العلاج وتشجيعه الذهاب إليه.
وهنا أحب أن أشيد بجميع الإخوة من رجال القضاء الذين سعوا ودعموا هذا الاتجاه والذي سوف يكون له مردود جيد على علاج مثل هذه المشكلة.

ثالثاً: الجوانب الطبية، وهو يمثل أكثر الحلقات تعقيداً للمشكلة، فالإنسان الذي يصل إلى هذه المرحلة يقع تحت أمرين:

أ - إما أن يكون في بداية الهاوية وهنا يمكن إنقاذه ومساندته ومد يد العون له إن هو بادر وتحمل ذلك وكانت لديه العزيمة القوية والثقة بالنفس أو عن طريق أسرته أو أي جهة مهتمة بالموضوع.

ب - أو أن يكون قد وصل إلى قرب نهاية النفق المظلم، وفي هذه الحالة سوف نتعامل مع حطام لشبه إنسان، الآمال في عودته إلى حالته الطبيعية ضعيفة. . والآثار المترتبة على ذلك من أخطر ما يصيب الإنسان. . فجهازه العصبي المركزي والفقري يصابان بالدمار الشامل لدرجة يصعب معها إعادته إلى حالته الطبيعية. . فهناك الكثير من الأبحاث التي أجريت على هذه الحالات والتي ثبت بالدليل القاطع أن هذه السموم تحول مناطق كثيرة في المخ إلى فراغات مما سيؤدي إلى عجز كامل لوظائف

مختلفة للإنسان ويتحول هذا الإنسان إلى عبد لهذه السموم .
عموما فإن الحكومة كانت قبل التحرير قد أنشأت مركزا لعلاج الإدمان
إلا أنه قد أصيب بالدمار الشامل أثناء الغزو . . والآن وأمام هذه الكارثة نحن
في حاجة ماسة إلى إنشاء مركز صحي وإعلامي لعلاج المدمنين يتوفر فيه
المواصفات المختلفة من الناحية المكانية والإنشائية والتجهيزات، وكذلك
فريق العلاج المتكامل من أطباء وأخصائيين نفسيين واجتماعيين وعلماء
دين . . ويجب تدريبهم تدريباً جيداً والاستفادة من تجارب الدول الأخرى من
الناحية العلاجية والتأهيلية ببرامج مدروسة وواضحة .

وهناك نقطة هامة وخطيرة يجب ألا تنسى وهي التدقيق في اختيار
الهيئة الطبية العاملة في هذا المجال وعلى جميع المستويات حتى لا يكونوا
عناصر هدم في المجتمع بتسهيل حصول هؤلاء المرضى على هذه المواد
نظير دفع مبالغ باهظة . . ويجب التعامل في هذا الموضوع بكل الحزم
والالتزام دون تهاون .

وأقترح تشكيل لجنة وطنية يرعاها سمو ولي العهد ورئيس مجلس
الوزراء لإعطائها الأهمية وقوة الدفع وتختار أحد الوزراء لرئاستها وتمثل
الوزارات الآتية في اللجنة: وزارة الصحة، وزارة الأوقاف، الهيئات
والمنظمات العامة وجمعيات النفع العام المهمة بالموضوع .

وفي هذا الصدد فإنني أشيد بالتجربة الرائدة في المملكة العربية
السعودية والجهود الممتازة التي يقوم بها الأمير نايف بن عبدالعزيز في هذا
المجال وكذلك الأمير فيصل بن فهد، الذي قام بتشكيل فريق عمل يجوب
البلاد بطولها وعرضها للتعرف على المشكلة واهتمامه بالشباب ومحاولة
توعيتهم بأخطار هذه السموم، أيضاً وكيل وزارة الداخلية الدكتور عواجي
الذي يبذل جهوداً مخلصاً في هذا الصدد .

أيضا أرجو من الإخوة بوزارة الصحة الكويتية الاهتمام بإنهاء إنشاء مركز علاج الإدمان الذي تبرع به أحد الإخوة الكويتيين الذي أبدى استعداده للتبرع بمبلغ مليوني دينار لبناء هذا المركز. . وكانت الوزارة قد انتهت من جميع الإجراءات الخاصة به .

وفي النهاية أذكر بأن العالم العربي ينفق على هذه السموم ٦٤ مليار دولاراً سنوياً كخسائر مباشرة في المكافحة والعلاج . . يضاف الى ذلك الخسائر القومية وهي الفاقد القومي في الإنتاج وفي القوى البشرية . . ويموت منه الآلاف سنويا نتيجة الفقر والجوع والمرض فهلا قدمنا ثلث هذا المبلغ لسد حاجتهم وإنقاذهم وإنقاذ أوطاننا . . وإذا كان البترول هو عصب الاقتصاد الكويتي . . فالإنسان هو صانع حضارتها وسبب وجودها فعلياً أن نحمله وأن نميه وأن نحافظ عليه بكل ما أوتينا من وسائل وسبل تجعل منه إنساناً صالحاً . . ولعلي أستعير تشبيه شيخ الصحفيين العرب (مصطفى أمين) في هذا المجال بأن المخدرات والمسكرات أشبه بقنبلة ذرية ألقيت على بلادنا فتفك كل يوم بآلاف الشباب والشابات، وتقضي عليهم وتحولهم إلى أشباح ومجرمين . . ولقد بلغت تكلفة الحملة الإعلامية في السنة الماضية التي قامت بها أجهزة الإعلام الأميركية ٦٥٠ مليون دولار . . هل نريد المزيد من الخسائر لإضافتها إلى ما قام به هدام العراق . . هل نريد الكثير من الضياع . . إضافة إلى ما أفرزته حرب تحرير بلادنا . . هل؟ وهل . .؟؟ أَدْعُو الله أن يحفظ الكويت وأهلها من كل مكروه . . إنه سميع مجيب الدعاء . . والله الموفق .



حتى نوقف العد التنازلي للمسلمين*

لقد منَّ الله سبحانه وتعالى عليَّ بفريضة الحج للمرة السابعة بمعية سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح مع رهط من الرفاق الكرام.. وكانت صحبة سموه وما لاقيناه من حفاوة بالغة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد حفظه الله وإخوانه الكرام أعطت هذه الحجة طابعاً متميزاً وراحة نفسية كبيرة، ولقد مرت أحداث على الأمة الإسلامية في هذه الفترة منعتني من استكمال الحلقتين الثانية والثالثة من مقالات المخدرات، وأود أن أسطر خواطري الممتزجة بين السعادة والحزن بين الخيال والواقع، وأشارك القراء معي فيها، وسأعود لاستكمال المقالة الأسبوع القادم إن شاء الله، ونرجو المعذرة لذلك.

فريضة الحج دائماً فرصة فريدة يتجدد فيها الكثير، وتتعلم منها الكثير وتنتأثر بأمور كثيرة - ونتمنى أن نكون قد قمنا بمناسكها بالصورة التي أراها الله سبحانه وتعالى لنا، والتي وضع نبيه الكريم محمد ﷺ أسلوب أدائها وبالطريقة التي جعلها الله ركناً من أركان الحج، فالجزء الأكبر من الحج هو التعبد وذكر الله وطلب المغفرة والتوبة من الذنوب لعل الله سبحانه وتعالى يطهرنا منها، الجزء الآخر فهو المشاركة في مؤتمر إسلامي كبير بكل ماتعني المؤتمرات من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ولاتمر فترة الحج

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٣/٦/١٩٩٣ .

إلا وقد تعرفت على أشخاص، وتعلمت سلوكيات جديدة واستفدت من وجودك بين هذا الحشد العظيم من ضيوف الرحمن.

وأول ما تراه وتلمسه وخاصة إذا كنت من الذين يحجون بصورة متكررة كما أعلم حيث إنني أحاول أن أحج كل خمس سنوات إذا قدرها الله لي . . ومنذ ثلاثين عاماً تقريباً والله يحقق لي هذا الطلب ويسره لي كل خمس سنوات.

وما يشاهده الإنسان وبصورة جلية وواضحة وساطعة كسطوع الشمس في كبد النهار، كيف تتطور الخدمات التي تقدم لتسهيل الحج . . وتعرف مدى إيمان المسؤولين في المملكة لإنجاح هذه السفارة الروحية إلى بيت الله الحرام وإلى مقام نبيه العظيم محمد ﷺ.

وما يلاحظه الإنسان بصورة خاصة الطفرة الكبيرة في الخدمات، سواء أكان ذلك في مجال المباني والطرق والأنفاق، أو التوسعات الكبيرة للحرمين الشريفين، أو ما تقدمه السعودية من تسهيلات في جميع مجالات الحياة اليومية من توفير المأكل والمشرب والأمن والتنظيم. هذا الجهد لا يمكن أن يكون صادراً بشكل عفوي، بل إنه بفضل وتوجيه وتوفيق من عند الله ودليل على إيمان المسؤولين في المملكة بخدمة المسلمين. وشرف اسم خادم الحرمين الذي أراده الملك فهد أن يذكر به هو اسم علي مسمى حقيقي، وخدمة الحرمين أصبحت الشغل الشاغل له، وهذا الأمر يعتبر عملية إيمانية صادقة قبل أن تكون مظهراً من مظاهر أي عمل . . فما شاهدته من إنجازات تفوق كل خيال وتصور سواء أكان ذلك في مجال توسعة الحرمين الشريفين أو الخدمات الموفرة لهما . . إنجازات أقل ما يمكن أن نسميها بأنها إنجازات خارقة نفذها إنسان مؤمن ومؤيد ببركة من عند الله سبحانه وتعالى وتوفيق جليل . . فتحية للمملكة ولخادم الحرمين الملك فهد على هذه النقلة

الحضارية الكبيرة التي تجعل الإنسان يسعد أن يكون بين المسلمين، إنسان
تمثل فيه كل هذه العزيمة والمقدرة على الإنجاز والتنفيذ المبدع.. جعل
الله هذا العمل الخير في ميزان أعمالك..

مثل هذا الإنجاز يجعل الإنسان يحلم بأنه سيأتي يومٌ يعي المسلمون
فيه عظمة هذا الركن الذي يؤديه بصورة آلية في هذه الأيام، ولا يعي
الكثيرون حقيقته، وكيف أن الهدف منه هو أن نلتقي كمسلمين في مؤتمر
سنوي حكومي وشعبي وعالمي، نقف أمام ربنا نغسل نفوسنا من ذنوبنا
ونحقق الجزء الثاني من الحج وهو أن نشهد منافع لنا.. فأرجو أن نعيش
ونرى هذا الحلم وقد تحقق ويجتمع المسلمون على هذه البقعة الطاهرة من
أجل خير المسلمين والإسلام.. وعسى أن نرى في أيام التشريق معرضاً
دولياً للمسلمين بين منى والمزدلفة تعرض فيه إنجازاتنا ومساهماتنا في بناء
الحضارة، وأن يكون سوقاً دولياً ننتفع من بعضنا البعض ونتقارب اقتصادياً.

عسى أن تتطور المدينة لكي تصبح حقاً عاصمة المسلمين كما كانت
في أول عهد الإسلام، وأن تشد إليها الرحال ليس فقط لزيارة قبر رسول الله
ﷺ بل لكي نذهب في رحلات تاريخية إلى معالم أرض المعارك العظيمة
التي شاركت فيها الملائكة البشر في حرب المشركين، كما حدث في بدر
وأحد والخندق ونعيش معركة أحد والخندق ويعيش أولادنا هذه المعارك
بصوت وصورة حتى نتذكر كيف بدأ الإسلام، وكيف عانت الرسالة، وكيف
أن الواجب يحتم علينا أن نبعث ذكراها ونتعلم منها الدروس.. ونفتخر
بماضيها وإنجازات الرواد الأوائل من أصحاب الرسول ﷺ.

هذه أمور قد تكون أحلاماً وأمانى اليوم ولكنني متأكد بأن المملكة لو
استمرت بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد على هذا النهج سيتحقق

ذلك بإذن الله، وليس مثل هذه الأمور صعبة على من صنع ما يشبه المعجزات في فترة العشر سنوات الأخيرة من تطوير وتنظيم وإبداع.

هذه الأحلام كانت تراودني والسعادة تغمر قلبي عندما فزعت من الحلم الجميل بتصرف أرعن من إنسان كنت أعتبره أنه باق في قلبه بعض من الإسلام، ويا ليتته اكتفى بما بدأ من تهجم على كتاب الله وأراد أن يغيره.. وسكت عنه المسلمون، مع أنني أعتقد أن ما قام به هو أفظع مما كتبه سلمان رشدي في آياته الشيطانية واعتبرناه مرتدًا عن الدين الإسلامي ورصدت إيران مكافأة مليوني دولار لتطبيق حكم المرتد عليه، ومع ذلك فقد نسيه المسلمون وتغاضوا عن خطئه الجسيم، وكنت أتمنى أن يكون الله قد هداه إلى سكة الإيمان. ولكن الظاهر أنه لازال مستمرًا في غيه، وتجرباً بأن يقوم في يوم مشهود من أيام الإسلام وعندما يقوم أكثر من مليونين من الحجاج لأداء أحد أركان ديننا الحنيف والمئات بل الآلاف من المسلمين يتمنون لو تحقق لهم ذلك. في هذا اليوم العظيم يتجرأ على الإسلام ويحاول هدم أحد أركانه الخمسة.. ويغير قبلة المسلمين بعد أن أمر الله وحددها نصاً بأن تكون المسجد الحرام ويأمر أعواناً له ضالين بأن يشدوا الرحال إلى القدس.. وهي ترسخ تحت ظلم الاحتلال الصهيوني البغيض.. وهكذا يتحقق له الاعتراف بدولة الصهيونية في الوقت الذي يهدد ركناً من أركان الإسلام.

يحدث مثل هذا الأمر ولا نجد من المسلمين أي ردة فعل، وحتى منظمة المؤتمر الإسلامي لم تنطق ولو بكلمة حق واحدة، في حين أن المفروض أن يعقد اجتماع طارئ للمنظمة في مكة المكرمة.. ويطرد هذا النظام على الأقل من عضوية المنظمة.. ويعتبر مرتدًا ويستحق ما يقع على المرتد من حكم.. وهل هناك جرم أكبر من تغيير القرآن الكريم ومحاولة هدم ركن من أركان الإسلام.

لكن مع الأسف الشديد، المسلمون أصبحوا أضعف من أن يقفوا أمام مثل هذا التصرف الأرعن ولو بالكلمة والقرار. . فأين كان الأزهر وعلماؤه وغيرهم من علماء المسلمين؟ أين السودان وغيرهم من الحكومات المدعية بالإسلام؟ وأين الإخوة في إيران مع ما يبدونه من تحمس للدفاع عن الإسلام؟ بالطبع لا وجود لهم ولا حراك؛ لأن الخوف أو المصالح تقتضي هذا السكوت!! .

وهذا ليس بغريب أبداً على مسلمي هذا الزمن. . فلقد تعودوا على قبول الهزائم. . فبيت المقدس احتل وتدنس ولا حراك للمسلمين، وهجوم على الإسلام نفسه ولا ردة فعل من المسلمين، وانتهاك لأعراض المسلمين في البوسنة والهرسك. . ولانخوة للمسلمين أو شهامة من أحد. لقد أصبحنا نعيش زمناً رديئاً جداً. . ووصلنا إلى مرحلة العد التنازلي، ولاغربة في ذلك. . وقد استمر أعداء الإسلام في الاعتداء على المسلمين. . فقتلوهم وشردوهم وأعلنوا عليهم الحرب الصليبية من جديد، والصهيونية حققت مآربها وأصبحنا أذلاء نستجدي الحلول السلمية في شكل حكم ذاتي للفلسطينيين تحت ظل الاحتلال البغيض. . وحتى هذا لانحصل عليه. وهذا أمر طبيعي إذا كان بيننا من الزعماء من أصبحوا أدوات هدم للإسلام والقضاء على المسلمين.

إننا فعلاً نعيش زمناً رديئاً. . ولا عجب في ذلك فلقد بدأ ما يسمى بالعالم الغربي المتحضر المدعي بحقوق الإنسان وهو يجتمع هذه الأيام في فيينا لوضع قانون عالمي لحقوق الإنسان، وبالتأكيد سيكون قانوناً لحماية حقوق الإنسان الغربي على سائر العالمين، وأن يحولونا جميعاً إلى عبيد من الدرجة الثانية والثالثة، وهم ليسوا مختلفين على ما فعله هتلر والنازيون في تبويهم للبشر وجعلهم درجات، كان العرب والمسلمون في آخر المجموعة. وسوف يهجروننا إلى الصحارى كما عملوها مع الهنود الحمر وسوف يضعوننا في سياج سياسي وإن لم يكن من الحديد بل سياج من الذل والعار والاحتقار.

هذا العالم الغربي قد بدأ بتنفيذ الخطة.. وما المناطق الآمنة في البوسنة إلا أقفاص سياسية يدجنون بها المسلمين ويستعملونهم كمناطق تجريبية لتطبيق ما يخططه الغرب ضد المسلمين. وما هم بدءوا بتطبيق ذلك في البوسنة والهرسك التي تعتبر جزءاً من أوروبا، والمسلمون هم من أصل أوروبي. ولكن جريمتهم الوحيدة أنهم مسلمون. وهذه الأقفاص السياسية هي آخر ابتكار توصل إليه العقل الأوروبي، وهذه المناطق الآمنة ما هي إلا مناطق تخصص مرحلياً أثناء الحروب حتى يتمكن المعتدي من إعادة تنظيم صفوفه واستكمال سيطرته على الأراضي الإسلامية، وبعد ذلك يبدأ في التخلص منهم بأساليب الحصار الاقتصادي والهجمات اليومية والمضايقات حتى يطفشهم أو يقتلوهم أو يسبهم.

هذا ما وصلنا إليه مع الأسف الشديد وهو أشبه ما يكون بالعد التنازلي للتخلص من المسلمين.. فهل ياترى نعي ما يدور حولنا؟ هل تستيقظ النخوة الإسلامية والشهامة العربية ونعود لإسلامنا ونجمع صفوفنا، ونتخلص من المفرقين لهذه الصفوف ونعود إلى التمسك بهذا الدين العظيم الذي من دونه لن يكون لنا شأن، ولا مكان في هذا العالم خاصة في هذه الأيام الصعبة. وحسبي الله على من أزعجني ونغص على حلماً جميلاً كنت أعيشه، وأنا في رحاب بيت الله الشريف، وأتمتع بما أنجزه الإخوة السعوديون من إنجازات عظيمة، وحطم في قلبي الأمانى الجميلة والمستقبل الزاهر للإسلام والمسلمين. وعسى الله أن يأخذ المتسبب في إزعاجي وفي إزعاج المسلمين أخذ عزيز مقتدر، وكل من تسول له نفسه التعدي على الإسلام والمسلمين وهو على كل شيء قدير.

عسى أن يتحقق ذلك وعسى أن ينصرنا الله على أنفسنا أولاً وأن يهدينا طريق الهداية والإسلام.



خطيئة القرن العشرين*

بعد أعوام قليلة سيحتفل العالم بدخول القرن الحادي والعشرين، وللقرن العشرين الحق بأن يفخر بإنجازاته الكثيرة التي تمت في عهده: من انطلاق الإنسان إلى القمر، واستكشافه للفضاء، والقضاء على كثير من الأمراض العضوية واختفائها تماما مثل الجدري، وانطلاق الهندسة الوراثية والتي تعتبر بحق المارد القادم إلينا حيث بدأت بعض تطبيقاته على الإنسان تدخل حيز التنفيذ، وسيشهد القرن القادم انحسار العديد من الأمراض المستعصية ولكن في الوقت الحالي نجد أن العالم يتلوى في أعز ما يملك بأمراض جديدة يقف العالم حتى اليوم عاجزا أمامها. أيضا من إنجازات هذا العصر هو سقوط الكتلة الشيوعية والدول السابحة في فلكه، والاتجاه الآن إلى الرأسمالية بأقصى سرعة ممكنة، أيضا ولعله من أهم الإنجازات هو انعقاد مؤتمرين لحقوق الإنسان خلال هذا القرن آخرها كان في فيينا في يونيو ١٩٩٣، وأصبحت حقوق الإنسان قضية عالمية وليست محلية، وهي في طريقها إلى أن تأخذ شكلاً أكثر قوة لتصبح محل التنفيذ بدلا من أن تكون شعارا أجوف، ولكن المرء يقف حائرا أمام هذه الإنجازات، المفروض أن جميعها في خدمة الإنسان لتأخذ بيده في عالم يسوده العدل والحب والإخاء والرخاء، ولكن كما يبدو أن الأمانى والخيال شيء والحقيقة

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٧/١٠/١٩٩٣.

والممارسة الفعلية شيء آخر، وبمنظرة سريعة كان يجب أو ما زال واجبا على من بيدهم الأمر والنهي في العالم الآن أن يضعوا تعريفات جديدة لبعض المصطلحات التي أصبح مفهومها غير واضح لنا.. من هذه المصطلحات الحقوق.. والعدالة.. والإنسان.. قد يبدو الطلب غريبا أو مستغربا فالكلمات واضحة ولا تحتاج إلى شرح إلا أن هذه الكلمات الثلاث فقدت معناها الحقيقي الذي نعرفه، فأى حق هذا الذي يداس بالنعال؟! وأي عدل هذا الذي يسود فيه الظلم؟! وأي إنسان هذا الذي يموت جوعا أو مقتولا أو مغتصبا في بيته وماله وزوجه؟!..!!

هل هذه الكلمات لها معنى.. أم وجود الآن في فلسطين.. في جنوب لبنان.. في كشمير.. في ألبانيا.. وأخيرا في البوسنة والهرسك؟! الإنسان في البوسنة والهرسك الذي تتحدث عنه المواثيق الدولية.. إنه إنسان آخر يجب أن يقتل وحلال على الصرب والكروات بل أيضا بعض جنود الأمم المتحدة سلب أموالهم، وانتهاك أعراض نسائهم وذبح أطفالهم.. والإشادة إعلاميا باثنين من جنود الأمم المتحدة وهما يعطيان هؤلاء المساكين بعضا من الفتات، إننا أمام مناظر لا يمكن السكوت عليها.. فلمجرد أنه أصبح مسلما فلم يعد إنساناً من شعوب هذه المنطقة له كل حقوق الإنسان، مع أن كل مسلم بوسني أصله إما كرواتي أو صربي وأسلم.. فتهمة الإسلام قد سلبتهم حتى حق التمتع بأراضيهم التي ولدوا فيها أبا عن جد.. فهل أصبح الإسلام مبررا لقتل الإنسان؟؟.. فإذا كانت هذه هي القاعدة فعلى المسلمين السلام..؟؟

فأي حضارة هذه التي نحن مقدمون عليها؟!

هل هي شريعة الغاب التي يقتل فيها القوي الضعيف وليس هناك حقوق للضعفاء؟!

إن الأمم المتحدة رغم رفعها شعار «حقوق الإنسان» فإن الحبر الذي كتبت به الوثيقة أغلى بكثير من محتواها، فمندوبوها في منظمات حقوق الإنسان يلهثون وراء حوادث تعذيب أو اغتصاب لتقييم الدنيا ولا تقعدها. . كنت أتصور مثلا أن جميع أعضاء منظمة حقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية يعتصمون بمبنى الأمم المتحدة لحين أن تحل مشكلة البوسنة والهرسك حتى يصدق الناس تقاريرهم التي تمتلىء بها الأدرج. . لقد فقدوا مصداقيتهم في كل ما يقولون. . فالإنسان البسيط الذي لا يعرف شيئا عن حقوق الإنسان بمجرد أن تذاع أخبار البوسنة وغيرها يمتلكه الحزن والأسى ويسأل أين العالم بأسره من هذه الجريمة الشنعاء والتي ستظل دماؤها القانية وصمة عار في جبين القرن العشرين، وسيذكرها التاريخ على أنها خطيئة الإنسانية في هذا القرن.

وتساءلت مع نفسي هل لو كان الذي يحدث الآن هو العكس. . أي أن يكون المسلمون البوسنيون هم مكان الصرب والكروات البوسنيين. . هل كانت أوروبا وأميركا ستقف هذا الموقف؟! . . الإجابة لا تحتاج إلى كثير من الذكاء.

إذن فالأمر واضح وضوح الشمس، كما جاء على لسان زعيم الصرب وهو يخاطب (علي عزت بيغوفتش) فيقول له «إذا أردت أن تكون مسلما فعليك الذهاب إلى إحدى البلدان الثلاثة «مكة - طهران - إسطنبول» أما إذا أردت أن تنسى أنك مسلم فأهلا بك معنا. .؟؟؟ ومرة ثانية يلتقي بالصحفيين الأوروبيين ويقول لهم «إننا نحارب المعركة نيابة عنكم (وهو هنا يقصد الأوروبيين والمسيحيين) فلماذا هذا الموقف منا؟ هل تريدون إيران أخرى في أوروبا. .؟؟».

واستعرضت الموقف طويلا فوجدت الجميع من دول العالم بما فيها

الدول الإسلامية متآمرة ومشاركة لإنهاء وجود الدولة الإسلامية بأوروبا..!!
فإذا كان الغرب وأميركا يقفان هذا الموقف والذي كتب فيه الكثير، وسأمر
عليه مرور الكرام لأنه لا يعنيني كثيراً.. فهم أحرار فيما يتخذونه من
مواقف.. فالمؤامرة واضحة من الغرب والشرق وأميركا.. والأدوار فيها
موزعة.. فأميركا التي كنا نتوقع منها موقفاً حاسماً في هذا الصدد لتقود
العالم - خاصة الرئيس الجديد بيل كلينتون الذي استمال عواطف الشعب
الأميركي ضد ما يجري في البوسنة لتصل إلى بر الأمان إضافة إلى ما قاله
الرئيس بوش في إحدى خطبه بعد تحرير الكويت بأن هذا العصر هو عصر
أميركا فلقد أنقذنا أوروبا وقضينا على الأمراض، والقوة الآن قوة وحماية
أميركية «الجميع رحب بهذا خاصة موقفهم من تحرير الكويت إلا أن
المصادقية لم تطل كثيراً».

فأوروبا تمنع السلاح عن المسلمين، وتسمح للصرب والكروات
البوسنيين بالحصول على ما يحتاجون تحت زعم أن إمداد المسلمين بالسلاح
سيزيد القتلى «والقصد هنا زيادة قتلى الصرب والكروات».. الاتحاد
السوفياتي هو الآخر يمدهم بكل ما يحتاجونه، واليونان تفتح لهم الباب
وتدخل كل احتياجاتهم عن طريقها.. وأدخلوا المشكلة في دوامة
المفاوضات كسبا للوقت لأصدقائهم الصرب والكروات على الإنهاء، بالذبح
دون السلاح للمسلمين، إلا أنهم فشلوا أمام صلابة المقاتلين المسلمين
وراحوا يقترحون اقتراحات كثيرة، فهذا يرفض والثاني يوافق لعبة
المفاوضات، والإحالة إلى مجلس الأمن.. وأصدر مجلس الأمن عدة
قرارات ولكنها حبر على ورق، وفصل الختام هو التقسيم النهائي بطريقة
تسم بخنق مسلمي البوسنة، ولكي يغطوا فشلهم هذا.. تمتلىء الصحف
ووسائل الإعلام عن إرسال طفلة للعلاج بإنجلترا.. ألا يستحون؟! لقد وقف
رئيس البعثة الطبية الإنجليزي ليعلن أن العالم يرتكب جريمة شنعاء بكل

المقاييس على أرض البوسنة والهرسك.. الحديث في هذا المجال طويل والصحافة مليئة بالأخبار المحزنة وهي واضحة على وجه عزت بيغوفتش عند دخوله وخروجه إلى مقر الأمم المتحدة بجنيف عازفا عن لقاء الصحافة.. كسير البال حزين القلب.. يريد أن يقول ما فائدة الكلام: إنها ليست مدافع مصوبة إلى صدورهم ولا سيفا على رقابهم.. إن شعبنا يباع ويقتل ويغتصب وأنتم جميعا مشاركون في هذا.. لن أطيل في هذا المجال وما يعينني اليوم هو موقف التخاذل الذي وقفته الدول الإسلامية ويمكن تقسيمه إلى جانبين الأول موقف الحكومات، حيث اكتفت بالشجب والترجي وتقبيل الأيدي للعضو عند أصحاب العفو والوقوف بأبواب من لهم الأمر والنهي.. وهم لا يعيرونهم الكثير ويرسلون إليهم التطمينات، ويطلبون منهم عدم تحويل المشكلة إلى حرب صليبية كما جاء في تصريحات (بترس غالي) والذي فجعنا فيه عند لقائه بممثلي منظمة المؤتمر الإسلامي لكي يعرضوا عليه استعداد الدول الإسلامية لإرسال ١٧٠٠٠ جندي من دولهم للمساعدة في الحفاظ على حياة البقية الباقية من المسلمين البوسنيين بناء على إعلان منه بعدم مقدرته على إرسال جنود كافية للبوسنة.. فكان رده إننا لا نريدها حربا صليبية..!!!

غريب أمرهم وما كنهها الآن إنها حرب صليبية بكل المعاني ولا تحتاج إلى كثير من الذكاء عندما وقف علي عزت بيغوفتش ليتسلم جائزة المرحوم الملك فيصل قال «إننا لسنا في حاجة إلى رجال فهم متوفرون ولكننا بحاجة إلى المال والسلاح»، وتبرعت الدول الإسلامية وتمنح الجبل فولد فأرا، حتى هذا الفأر لم توافق عليه الدول الكبرى، ومارست ضغوطها لخلق هذا الفأر ليصبح فقرا.. لقد حاولت القوى المعادية للمسلمين إخلاء الدولة بتهجيرهم الرجال والنساء والأطفال.. ماذا كان موقف الدول الإسلامية..؟؟ لا شيء.. استضافت ألمانيا الغربية ٣٥٠٠٠ مهجر والباقون

هائمون يطاردون ويقتلون وتغتصب النساء وينصّر الأولاد ولم يتحرك لنا ساكن!!.. ألم يكن ممكنا أن تتولى الدول الإسلامية رعايتهم سواء في بلدانهم أو البلدان القريبة منهم، وتربيتهم وتنفق عليهم، وكانت فرصة ممتازة للدول الإسلامية أن يكون هؤلاء هم النواة الحقيقية للدولة الإسلامية في أوروبا بتعليمهم الدين الإسلامي على أصوله واللغة العربية وإعدادهم ليكونوا هم فرسان المستقبل لانطلاقة إسلامية جديدة كانطلاقة طارق بن زياد أو عبدالرحمن الداخل في الأندلس؛ لتعود الدول التي غربوها إلى أصولها الإسلامية.. إن سلاح المقاطعة سلاح خطير يهدد مصالح الشعوب الغربية ولو اقتصر على بندين فقط هما (البترول ومشتقاته) لتدخلت الدول الغربية واضطرت أمام مصلحتها إلى وقف المجزرة ولكن من يستطيع اليوم اتخاذ مثل هذه القرارات؟! حتى المواد الغذائية التي تبرعت بها الحكومات الإسلامية لا تصل إلى المسلمين بل يستولي عليها الصرب والكروات، وإخواننا هناك يموتون جوعا أو مرضا لعدم توفر الغذاء والدواء، في حين أن التخمّة تصيب أعدادا كبيرة من المسلمين في دولهم.. وأنا أقول للدول الإسلامية جميعا إنهم في الغرب الصليبي يتذوقون الآن لحم الثور الأبيض ويستطعمونه ولم يبق منه إلا القليل، وهم في حاجة إلى المزيد لتنمو شعوبهم وتتقدم علينا.. إننا نقدم لهم كل التسهيلات التي يطلبونها منا.. للإجهاز على الباقي!!

أيضا ليعلم أولو الأمر في الدول الإسلامية أن شعوبهم ستفقد مصداقيتها فيهم.. فإخوة لهم يقتلون ويذبحون وتهتك حرمتهم ولا أحد ساندتهم أو يقف معهم ولا يعيرهم حتى انتباهه؛ فستسقط كل هذه الحكومات أمام قوة شعوبها، وستخرج عن نطاق السيطرة لتقتل سجانيتها وتنتقم لنفسها..

إن عمليات التخويف والتلويح بالتهديد تحت مسميات مختلفة من الدول الغربية يجب ألا تؤثر في قوانا.. فأوروبا اليوم التي تساند الحروب الصليبية سوف تجني ثمار هذه المساندة، وتكوى بالنار قريبا في مواقع مختلفة.. فسوف تشجع بذلك الأقليات حيثما كانت والمنازعات العرقية والدينية «إنه من ينصر الله ينصره». أقول مرة ثانية إن الشور الثاني في الطريق إلى الافتراس ولا أحد يعرف من هو القادم الذي عليه تدور الدوائر.. هل هناك أذربيجان أم طاجيكستان أم البانيا.. أم إحدى دول الشرق الأوسط!!؟

الثاني: الشعوب الإسلامية وموقفها الحزين الذي تجلى في حملة التبرعات التي قادتها محطة الشرق الأوسط، وكانت النتيجة جمع ١٧ مليون دولار وهو مبلغ هزيل.. لقد جمعت إسرائيل العام الماضي في حملة لجمع التبرعات من أميركا فقط ٢ مليار دولار لبناء المساكن و«نيلسون مانديلا» جمع ٥٠ مليون دولار من أميركا لتمويل حملته الانتخابية في جنوب أفريقيا.. وكان المأمول أن يجمع المسلمون مليار دولار على الأقل لوقف القتل والذبح وتقديم الماء والغذاء والدواء.. وليس للاعتداء وقتل الآخرين ولكن فقط للحماية والدفاع عن النفس الذي تقره المواثيق العالمية..

فلماذا لا تتبع الشعوب الإسلامية المقاومة السلمية بغض النظر عن مواقف حكوماتها، فتبدأ بمقاطعة جميع البضائع الواردة من الدول المساندة للصرع والكروات؟! وانظروا ماذا يمكن أن تكون النتيجة.. أؤكد لكم بأن الغرب سيحارب بجانب المسلمين.. ولو أنني استبعد مثل هذه المواقف الإسلامية البسيطة.. فالإنسان المسلم أصبح مغلوبا على أمره مسلوب الإرادة.. سوف أكتفي فقط بمشهد وصفه الروائي (فيدوساف ستيافونس) في روايته (الجليد والكلاب) «الجنود الصرع يعذبون فتاة مسلمة صغيرة ثم

يغتصبونها ثم يذبحونها قطعاً ثم يشوونها بالنيران كما يصنع الكباب، ويقول هذا الروائي في جريدة الموند الفرنسية «إن هذا المشهد ليس شطحا من الخيال ولكنه وصف لما رآه».

إنه الخيار بين الظلم بقبول التقسيم وبين ما هو أقوى من الظلم وهو القتل أو لا شيء فأيهما يختار؟! ..

الشعوب الإسلامية يمكن أن تقف في كل عاصمة إسلامية لتبلغ إلى سفراء الدول المساندة بأننا لن نقف مكتوفي الأيدي.. أضعف الإيمان.

إننا جميعا يدا بيد وقلبا بقلب مستعنين بالله سالكين الطريق الذي رسمه لنا لنتنصر ونغير ما بأنفسنا حتى يغير الله ما بنا.. ولا تحل بنا سننه مصداقا لقوله تعالى «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

سيذكر التاريخ أن القرن العشرين يحمل هذه الخطيئة بين جنبيه، اختفاء دولة بسبب دينها الإسلامي.. ذبح رجالها واغتصبت نساؤها وشرد بل وذبح أطفالها.. ونقول للغرب إن الإسلام الذي تغتالونه اليوم، فتح الأندلس منذ ١٣٠٠ عام فأقام حضارة وعاش المسلمون وغيرهم (لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم..). هاجر الأطباء المسيحيون واليهود من أقطارهم ليعيشوا في كنف حضارة الإسلام معززين مكرمين.. وفي الأندلس بعد أن سقطت، ظهرت الحضارة الغربية بوجهها القبيح تقتل وتذبح وتنتهك الأعراض واليوم تتكرر المأساة، وهذا ليس بمستغرب على أحفادهم.

ولكن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة!!!

تلك رؤيتي في مشكلة البوسنة والهرسك لم أشأ أن أدخل في تفاصيل كثيرة كتبها الصحف اليومية والعالمية، ولكن كنا في حاجة إلى رؤية جديدة للمشكلة ولعلي وفقت في طرح ما أفاء الله به علي.

إنهم يقولون بأن مأساة البوسنة والهرسك شهادة بوفاة الضمير العالمي وهي قبل ذلك شهادة باحتضار ضمير الأمة الإسلامية.

أدعو الله ألا يكون ذلك نعيًا للبوسنة والهرسك فقد نعينا الأندلس منذ ٥٠٠ عامًا وفلسطين منذ حوالي خمسين عامًا وها هي البوسنة والهرسك!! هل هذا نعي أم دعوة لليقظة من النوم العميق قبل أن تصلنا الكارثة.. إن الوقت ما زال أمامنا وإذا كان أولو الأمر ليس بيدهم شيء..! لأسباب بعضها نعرفه والبعض الآخر نجهله.. فإن أبناء الأمة الإسلامية أمامهم الكثير لكي يحرروا أنفسهم أولاً من ظلم أنفسهم قبل أن تضيع البوسنة والهرسك ونبكي على قبرها...



أوين وبلفور (*) وجهان لكارثة واحدة

طالعنا الأخبار أن (اللورد ديفيد أوين الوسيط الدولي) الذي اختير للتوسط للمسلمين.. وما حل بهم من كارثة على يد جلاوزة التعصب والحقد العنصري الصليبي الصربي الأوروبي ضد أبناء جنسيتهم المسلمين الصرب وإخوانهم من الكروات.. هذا الوسيط الدولي قد توصل إلى ما كان يخطط له هو والحكومة البريطانية التي يمثلها.. إلى تحجيم المسلمين في البوسنة والهرسك في بقعة صغيرة محاصرة مقطوعة عن العالم.. بهدف إضعافهم سياسياً واقتصادياً وجغرافياً.. بعد أن تم تشريد الآلاف منهم.. وقتل عشرات الآلاف.. وهتك أعراض أغلب من وقعت عليهن أيديهم المجرمة من الفئات المسلمة.

نعم لقد وصل «أوين» أخيراً لما كان مدبراً أصلاً للمسلمين في البوسنة والهرسك.. مؤيداً من قبل حكومة «ميجور» الذي أجبره على منع وصول الأسلحة إلى المسلمين للدفاع عن النفس.. مع أن مطالبي حقوق الإنسان ومدعي الوصاية عليها.. وهيئة السلام الدولية موجودة في بريطانيا.

ولو تتبعنا الأسلوب الذي اتبعه هذا الوسيط الذي سُمّي زوراً بالوسيط

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٤/١١/١٩٩٣ .

الدولي لتبين لنا مدى المماثلة والتقلب والتقديم والتأخير.. والهدنة تارة
والمراوغة ساعات أخرى.. فلقد استقال «فانس» عن متابعة هذا الأسلوب
ولو أنه اعتذر بأعذار واهية.. ولم يتمكن من أن يدوس على ضميره ويؤيد
هذا الإنسان الحاقد على الإسلام والمسلمين.. وقد طالب الرئيس علي
عزت بيغوفيتش بإقالته وعدم إشراكه كوسيط لأنه منحاز ضد المسلمين.

فمنذ البداية كما تذكرون كان واضحاً توجهه.. فهو أول من نادى
بتقسيم البوسنة والهرسك إلى عدة مقاطعات متداخلة ومقسمة.. وفقاً
للأنماط العرقية والطائفية.. وبعدها اقترح اقتراحاً آخر بتقسيم المنطقة إلى
ثلاث مناطق بنسب مختلفة.. يعطي المعتدي الصربي الكثير من المكاسب
على حساب المسلمين رغم إنكاره أن يحصل المغتصب على مكاسب أخذها
بالقوة.. وكان يعلم علم اليقين بأن المسلمين لا يمكن أن يقبلوا ذلك وكان
يتمنى ذلك.. وأخيراً جاءنا بفكرته الجهنمية وخصص منطقة صغيرة جداً
لمسلمي البوسنة.. وادعى بأن هذا هو آخر الحلول إن لم يقبله المسلمون
فسوف يتركونهم لشأنهم ولمصيرهم المحتوم.. والمرسوم لهم أصلاً لنفي
التهم عن القارة الأوروبية.

أما آخر حلقة من حلقات التآمر، فهو الاقتراح المقدم من فرنسا لرفع
الحصار عن الصرب في مقابل التنازل عن شريحة من أرض احتلوها وهكذا
يجعلون القوة فوق الحق.. ولقد كان هذا التخطيط مع وصول فصل الشتاء
الذي يعتبر أقسى الفصول في هذه المناطق الجبلية مع عدم وجود أي من
أنواع الخدمات العامة من كهرباء وإنارة ووقود للتدفئة.

وتزامن مع ذلك تصريحات من الوكالات الدولية للإغاثة بأن مواد
الإغاثة أصبحت قليلة... وأن إيصالها إلى المناطق المحاصرة أصبح
صعباً.. وحتى الولايات المتحدة الأميركية التي بدأ موقفها يتغير من حيث

التدخل العسكري الجوي لردع المدافع الصربية وأسلحتها الثقيلة ضد السكان المسلمين الآمنين.. فقد سمعنا أخيراً بأن الولايات المتحدة غير مستعدة لأن تخاطر بجنودها وإمكاناتها لوقف المذابح.. إضافة لعدم وجود مصالح استراتيجية لها في تلك المناطق..

وبعد أن نجح الصرب في محاصرة المسلمين في جيوب مقطوعة عن العالم وبعد أن شاهدنا أبشع أنواع المذابح من قبل الكروات للمسلمين.. وبعد أن تأكدوا بأن الموت البطيء لن يسمع عنه أحد ولن نراه.. بعد كل هذا سمعنا بعودة الطائرات الألمانية والأميركية لإلقاء مواد المعونة على هذه المناطق المحاصرة.. ونحن نعلم أن هذا لا يتعدى الضحك على الذقون كالدعاية الكبيرة التي رافقت إنقاذ طفلة ونقلها إلى بريطانيا.. في حين أن آلاف الأطفال يطحنون ويسلخون ويمزقون ويجوعون ويقتلون كل يوم في هذه المناطق المحاصرة وفي غيرها..

هكذا وصلنا إلى الهدف المرسوم للمسلمين.. وهذا الأمر جزء من مسلسل الانتقام من المسلمين.. وبدءاً بالحروب الصليبية ضد المسلمين في الأندلس ومروراً بمغامرات الصليبيين وما كانوا يخططون له.. وانتهاءً باحتلال الوطن العربي والأمة الإسلامية وتفكيك أوصالها ثم زرع إسرائيل في قلب الأمة العربية، ثم العمل على تطبيع العلاقات مع العرب بعد أن تم سحق وإزهاق كل مقاومة ولو بالكلام ضد وجودها.. هذه العملية التي بدأتها بريطانيا بوعد بلفور.. والانتقام من العرب هو بداية مسلسل الصراع المتوقع بين المسلمين والصليبيين.. فبضرب العرب يتمكن أعداء الإسلام أن يضربوا قلب الإسلام.. لأنه بعد تدجين الأمة العربية وتطويعها.. تصح السيطرة على المسلمين أمراً يسيراً..

وهكذا استمروا بنفس الأسلوب وأشعلوا هذه الكراهية بين الصرب

والمسلمين كوسيلة لبدأ القضاء على الإسلام وجوداً في أوروبا أولاً..
وتشتيتاً في باقي أجزائه.. وخلق صراعات صغيرة في كل مكان تحت ادعاء
ضرب الأصوليين من المسلمين الذي أصبحوا هم الهدف المطلوب مجابهته
بعد انهيار الاتحاد السوفياتي والنظام الشيوعي من بعده في طريقه إلى الانهيار
في باقي أجزاء العالم.

انطلاقاً من هذه التوجهات خطط أوبن لتأجيج نيران هذه الكارثة
الإنسانية التي اكتملت عناصرها.. العنصرية.. العرقية.. وأوصل الصراع
إلى الطريق المسدود حتى أصبح العالم واقفاً مشدوهاً بما يجري هناك ولو
أراد أن يفعل شيئاً فهو عاجز عن المخاطرة.. وسيمر فصل الشتاء وكل يوم
يحصد الآلاف جوعاً وعذاباً.. حتى يقبل الصيف القادم وقد تحولت هذه
المناطق إلى خرائب وأطلال تفوح رائحة الموت في كل شبر من أراضيها..

وعندها سيدعو مدعو حقوق الإنسان بالصراخ.. ستبدأ الأمم المتحدة
عقد محكمة لجرائم الحرب.. وقد يحكمون على فئة صغيرة من المجرمين
بهذه الجرائم.. ولكن تكون ساعتها أعظم الجرائم قد انتهت.. وتخلصت
أوروبا من أحد الجيوش الإسلامية.. ويسطر التاريخ هذا الحدث الجسيم في
فهرس الجرائم الكبيرة التي اقترفتها أوروبا ضد المسلمين.

وتبدأ قضية جديدة.. وفي كوفور وماسدوينا.. وألبانيا.. وسيجدون
الأعداء والتبريرات لإثارة الفتن وتشريد المسلمين وإخراجهم من ديارهم..
حتى يصلوا إلى تركيا ويحيوا الخلافات التركية اليونانية.. وستبدأ حروب
جديدة ويبدأ العد التنازلي للوجود الإسلامي في القارة الأوروبية.

قد يخالفني الكثيرون في هذا التصور ولكن من يعرف العقلية الأوروبية
الحاقدة والمتعصبة ويقرأ عن مجازرهم ضد المسلمين في إسبانيا.. وكثير

من دول البلقان وما قام به الصليبيون من انتهاكات لأبسط الحقوق الإنسانية.. لا يستغرب الوصول إلى هذه النهاية الحتمية..

هذا أوين بسجله الخطير.. لا يختلف عن بلفور بوعدده لليهود.. والتاريخ يعيد نفسه ولكن بأبطال جدد لكنهم من نفس الفصيلة... ونفس العقلية.. حاملين نفس الحقد والكراهية لنا مهما كانوا غير ذلك.

كل هذا يحدث.. والمسلمون يتفرجون.. هذه التراجيدية القاسية تمثل على مسارح العالم.. وفيها كل عوامل ما يخططه الغرب لنا.. ونحن كالبهائم نتفرج عليها فاغرين أفواهنا لا نعرف ما هو المصير.. إنها دروس وعظات لا بد أن نستفيد منها.. ويجب أن لا نقبل مثل هذه الجرائم ضد الإسلام.. وما دمنا قادرين على الصراخ على الأقل دعونا نصرخ.. ونسمع العالم صوتنا ونبين لهم بشاعة هذه الجرائم المقترفة ضدنا.. على المسؤولين والرؤساء المسلمين أن يجتمعوا ويتصلوا ويوقفوا هذه الجريمة الشنعاء.

فهذه دولة مستقلة اعترفت بها الأمم المتحدة.. ومن مسؤوليات الأمم المتحدة بأن تهب لنجدتها.. ومسؤولياتنا أن نطالب هذه الهيئة الدولية أن تكون على مستوى مسؤولياتها.. إنها نهاية مأساوية لشعب مسلم مكافح وشجاع.. حرم من أبسط حقوق الدفاع عن النفس... فمنعت عنهم الأسلحة.. وحوصروا في جيوب جغرافية وسدت عليهم جميع المنافذ.



الأيدز قادم لا محالة (*)

قد ينزعج البعض من هذا العنوان .. وقد يبدو وكأن فيه نوعاً من المبالغة .. وقد يعتبره الآخرون نوعاً من التخويف .. أو نوعاً من الخيال المفرغ .. كل هؤلاء كعادتهم لا يعرفون حقيقة هذا الدمار الجديد .. سمي بطاعون القرن العشرين .. بالوباء المعدي الجديد .. واختلف الناس في أصله .. وفصله ومصدره .. اتهموا القرود الخضراء في غابات أفريقيا بأنها المصدر .. واتهموا بأن الوباء أصله من هايتي جاء مع طلائع الإصلاح الذين أرسلهم الرئيس الأمريكي كينيدي تحت اسم جنود السلام .. لكي يشغل الشباب الأمريكي بأعمال الخير ومساعدة الفقراء في البلدان الفقيرة في العالم .. وعاد هؤلاء إلى الولايات المتحدة الأمريكية ومعهم فيروس هذا المرض الجديد .. وبرجوعهم لبعض العينات من الدماء المحفوظة لأشخاص فقدوا الحياة وماتوا .. دون أن يعرف السبب .. اكتشفوا فيروس الأيدز بعد أن تيسر لهم أسلوب اكتشافه ..

على كل لا يهم من أين أتى .. وما مصدره .. فالفيروس قد أصبح أليفاً بيننا .. وبدأ ينتشر بصورة مفرقة جداً في جميع أقطار العالم .. بدأ بين الشواذ ومتعاطي المخدرات في أمريكا وأوروبا .. وقلنا بأنه مرض الشذوذ الجنسي .. واعتبرنا كل من لا يخالط هؤلاء فهو محمي .. ولكن ما إن بدأ

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٢/٥/١٩٩٣ .

الفيروس ينتشر حتى شاع في دول أخرى وبصورة خاصة في أفريقيا.. وأصبحت هذه القارة المسكينة هي الميدان الذي بدأ الفيروس يعيث فيها فساداً وقتلاً.. وتشريداً للأطفال.. وبدأت قرى بكاملها تختفي من الخارطة حيث إنه ما يموت الرجل والمرأة من أفراد الأسرة حتى يبقى الأطفال دون رعاية.. وكبار السن دون حول أو قوة لتوفير سبل الحياة لهم ولأحفادهم.. وبدأ كل فرد يبحث عن لقمة العيش يسد بها رمقه.. وهجروا قراهم إلى قرى مجاورة لعلهم يجدون مصدراً للحياة.. والعيش.. واختفت قراهم الأصلية ومع التزاحم في القرى الجديدة زاد مجال الاختلاط.. وبصورة خاصة الاختلاط الجنسي ضرب المرض فيهم.. وأخذت هذه القرى الجديدة تتعرض لنفس الصورة وبدأ التشرد من جديد.. حتى ازداد الزحف إلى أطراف المدن.. ومع الازدحام وقلة المصادر ازدادت تجارة الفحشاء.. وابتلوا بالمرض.. حتى وصلت الإصابة في بعض المدن إلى نسبة ٤٠ - ٥٠٪ وأصبحت مهددة بالفناء.. وحتى أصبح مرضى الأيدز في أغلب المستشفيات يشغلون أكثر من ٧٠٪ من أسرة المستشفى.

هكذا صار الوضع في أفريقيا.. وكل الجهود التي تبذل.. والتي ستبذل لإنقاذ سكان القارة الأفريقية من المصير المحتوم جهود لا أمل فيها وقد تتغير الصورة السكانية فيها.. ولا أعتقد أن علاج المرض ظاهر في الأفق القريب في فترة العشر سنوات القادمة.. والتداوي قد يكون لفترة أطول.. وحتى لو تم اكتشاف الطعوم والعلاج فإن ذلك سيكون في الدول الغربية.. ولن يستطيع هؤلاء الفقراء دفع نفقات العلاج.. فسبقى المرض يفتك بهم للربع الأول من القرن القادم.

هذه صورة تفصيلية توضح الوضع في أفريقيا وهذا مصير الدول النامية الأخرى، ولو أن انتشار الأيدز فيها لايزال ليس بالعنف الموجود في

أفريقيا.. . . وعلينا أن نتصور الوضع في آسيا التي تغطي أكثر من نصف سكان العالم.. . . وازدحام السكان هذا سيكون حتماً مجالاً فعلياً لانتشار الوباء.. . . ولا أريد حتى تصور الوضع في آسيا بعد عشر سنوات.. . . لأنها صورة مأساوية مفزعة.. . . عسى أن يرحمهم رب العالمين.. . . ودون رحمته لا مفر من المصير المحتوم.. . .

من خلال هذه الصورة لانتشار هذا الوباء في العالم أريد أن أثير بعض النقاط عما ينتظرنا في منطقتنا الإسلامية.. . . ومن ثم الوطن العربي.. . . وبصورة خاصة الدول الخليجية.. . . وعلاقتها ليست فقط مع الدول العربية بل الدول الآسيوية القريبة كالهند وباكستان والفلبين وتايلند وسيريلانكا.. . . التي تزودنا بالقوى العاملة المنتجة وغير المنتجة.. . . وأهم فريق هم الخدم والمربيات الذين رأينا عنهم الإحصائيات البسيطة التي نشرت في الصحف لمدى تأثيرنا بهم.. . . وماذا سيكون مصير أطفالنا بين أيدي هذه الفئات التي مهما عملنا وأجرينا من فحوصات فلا أعتقد أننا سنكون ضامنين لعدم انتشار المرض بصورة غير مربية في مجتمعاتنا الخليجية.

فحتى لا نلقي بأنفسنا إلى التهلكة.. . . فالمرض له خصوصية كبيرة جداً حيث إنه لا ينتقل إلى الإنسان إلا لتعرضه للفيروس.. . . وأعلنا أن حالات التعرض للمرض حوالي ٩٠٪ هو بسبب العلاقات الجنسية.. . . والرجل عادة يكون أكثر خطراً على نقل المرض من المرأة حيث إن محتوى المنى الخارج من الرجل بفيروس الأيدز كثير جداً.. . . واحتمال إصابة المرأة من الجماع هو أكبر من إصابة الرجل.. . . وبجانب ذلك فإن الفترة ما بين انتقال الفيروس وظهور المرض قد يصل إلى عشر سنوات.. . . يكون فيه حامل الفيروس كحامل السلاح الفتاك الذي عليه أن يصيب من يريد بصورة مباشرة.. . . ولكن لا تبدو عليه أية أعراض.. . . ولا نكتشف إصابته إلا بالفحص المخبري.. . .

وإجبار جميع الناس بإجراء مثل هذا الفحص المخبري أمر مستحيل ولا يمكن التأكد منه حيث إنه في الفترات الأولى من الإصابة لا يمكن اكتشاف الفيروس.. ولا يمكن أن نتجنب الإنسان حامل الفيروس عن طريق الحجر.. لأنه ليس من المعقول أن نحجز إنساناً وأن نزله في أماكن بعيدة عن الناس لفترة سنوات طويلة.

فدخول الفيروس إلينا وانتشاره بيننا أمر يمكن تجنبه لو استطعنا أن نبعد الإنسان عن الرذيلة.. وهذا لا يمكن عمله عن طريق الحظر والقانون والحبس.. بل تقع المسؤولية الأولى والأخيرة على حامل الفيروس.. الذي كما ذكرت لا تبدو عليه أي ظواهر غير طبيعية فالحوف إذن هو من وقوع الشباب الطائش فريسة لهذا الفيروس الخطير عن طريق الزلل في طريق الرذيلة.. ولو أن الوضع حتى الآن نسبياً مطمئن وأغلب الحالات عندنا.. مصدرها من الخارج إما نقلاً للدم في الخارج أو زراعة الكلى في الخارج.. والقليل بسبب الممارسات الجنسية.

فهؤلاء الشباب هم الأساس في حمايتهم وتجنبهم لطريق الرذيلة والوقوع في شرك مروجي المخدرات وهذا الأمر يحتاج إلى دور فاعل من قبل الشباب أنفسهم.. ويجب أن نصل إليهم لكي تصل إليهم الرسالة.. ونؤكد لهم أن الإصابة ستكون حتمية والموت أمر حتمي.. وحتى إن بعض التصرفات الكيدية والعمدية من قبل بعض المصابين أمر سمعنا عنه وهي حقيقة واقعة حتى وإن بعض هذه الفئات المصابة قد استغلت من قبل الأنظمة المخابراتية لنشر المرض بين الناس.

إذن احتمالات الإصابة بالمرض يجب أن تؤخذ بصورة جدية.. فقد نكون بالكويت قد بدأنا منذ زمن طويل في توعية الناس وتعريفهم لخطورة هذا المرض.. والاجتماعات والمؤتمرات التي عقدناها في بداية معرفة

العالم لهذا الفيروس الخطير.. كان له مردود عظيم.. ويكفينا فخراً أنه لم تنتشر أي حالة عن طريق نقل الدم في الكويت حتى الآن والحمد لله).. مع أننا نسمع في الأخبار يومياً عن الفضائح التي حدثت في الدول المتقدمة، وكيف أن بعض المسؤولين كان لهم دور في نشر المرض بسبب تساهلهم في الأمر.. في حين أننا في الكويت قد بادرننا منذ البداية باتخاذ جميع الفحوصات، ويجب أن نذكر الأشخاص المسؤولين عن ذلك.. (فالأخ عبدالعزيز بشير) الذي اتخذ من قضية بنك الدم وتوفير الدم في الكويت رسالة لحياته.. قد استطاع أن يحمي المجتمع الكويتي من خطر الانتقال عن طريق نقل الدم.. وهذا أمر يجب أن نفتخر به ونشكر من قام ببذل هذا الجهد الجبار انطلاقاً من المسؤولية والخدمة.. فتحية الوطن إليه..

أما الجانب الإعلامي.. فاني أعتقد أن هناك تقصيراً كبيراً.. حيث خفت الموجه الفورية التي وجهناها لشبابنا.. ونسينا أن التذكير والتكرار والوصول إلى كل شاب وشابة هو أساس النجاح في تجنب الإصابة بهذا المرض الخطير.. فيجب أن نصارحهم ويجب أن نوعيهم.. ويجب أن نضعهم أمام مسؤولياتهم.. فلا حماية للفرد بسبب الجهل.. ولا يمكن أن نعي مخاطر المستقبل دون معرفة كل شاب وشابة بمخاطر هذا الوباء الخطير..

وقد نكون محظوظين بأننا لازلنا نسبياً سالمين.. ولكن هذا الأمر يحتاج إلى المثابرة.. وما عقد الندوة الخاصة بالرؤية الإسلامية للمشكلات الاجتماعية لمرض الأيدز.. وما المؤتمر العالمي الثالث الذي سنعقد في الكويت في الشهر الرابع من السنة القادمة إلا خطوتان رئيسيتان في سبيل نشر الوعي بين مواطنينا.. والرؤية الإسلامية والتوصل إلى حلول لمشكلات

الأيدز الاجتماعية أمر هام جداً منعاً للاجتهادات غير المبنية على الحقيقة العلمية وتوضيح أبعادها والحكم الديني الخالص فيها وفي آثارها.

فنحن محظوظون.. أننا نعيش في المجتمع الإسلامي الذي لا يزال المسلمون يأخذون من تعاليم دينهم ومن أوامره ومن نواهيه الحكم لكي يتدبروا شؤون حياتهم.. في حين أن المجتمع الغربي قد ابتعد عن الدين.. ولا يعرف معنى للقيم.. ولا معنى العيب.. ولا معنى الحرام والحلال.. وهذا الأمر يجعل الحكم في الأمور تتبع الأهواء ومن أفكار البشر.. في حين أن الحكم في الإسلام من عند الله.. وهذا هو السبب الذي جعل انتشار هذا المرض في المجتمعات الإسلامية مازال أقل نسبياً من المجتمعات غير المرتبطة بالإسلام.. إن فضل الله علينا بالإسلام يستحق منا الشكر وزيادة التمسك به والتقيد بأوامره ونواهيه.. ولنا العظة البالغة في مرض مرضى المصير المحتوم الذي يحكم على عالمنا المعاصر بالموت البطيء بسبب مرض الإيدز.. وقلة الإصابة في الدول الإسلامية تؤكد أن حكم الدين على الأرض هو الحكم السليم.. وهذا الذي لو اتبعناه.. لما ضللنا.. واتباع تعاليمه.. بالتمسك بالفضيلة والابتعاد عن الرذيلة.. سنحمي مجتمعنا من هذا الطاعون الخطير.. الذي فاجأ العالم.. وجعل العلماء في حيرة.. دون أن يروا الحلول في الأفق القريب، وعسى الله أن يكون في عون الجميع..



الأيدز وماذا بعد (*)

منذ أسابيع قليلة وبالتحديد في الفترة من ٦ - ٨ ديسمبر ١٩٩٣ عقدت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ندوتها الفقهية الطبية السادسة، وشملها حضرة صاحب السمو الأمير حفظه الله مشكوراً برعايته، وكانت عن «رؤية إسلامية للمشاكل الاجتماعية لمرض الأيدز» ومرض الأيدز كما سبق وذكرت في مقالتي بتاريخ ١٢/٥/١٩٩٣، بأنه قادم لا محالة وهو الآن بيننا، إلا أنه كامن في الخفاء ويتنشر بصورة مرعبة في جميع أنحاء العالم، فسهولة المواصلات والاتصالات، والدعوة إلى الحرية الجنسية وانتشار ما يسمى بالسياحة الجنسية حتى إنهم أطلقوا على ما يعرف «بالدعارة» (بالصناعة الجنسية...) وبالتأكيد سيصبح لها قوانين إنتاج وتوزيع.. وبعد ذلك تصدير، وعالمنا الثالث وخاصة العربي سيكون من أكبر المستوردين. والإعلام الفاضح عن الجنس، وتمادي كثير من الدول الغربية والشرقية بالدعوة إلى الرذيلة، ومحاولة تثبيت دعائمها داخل المجتمعات ورفعهم شعار الجنس الآمن باستخدام العازل الذكري أو الأنثوي..

كل هذه الدعاوي أدت إلى انتشار الإيدز بشكل خطير أصبح يهدد مسيرة الحضارة الإنسانية؛ إذ تدل الإحصائيات الرسمية «غير الدقيقة» بأن العدد الكلي سيصل إلى حوالي ٤٠ مليون مصاب بالمرض خلال ست

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٢/٢٦/١٩٩٣.

سنوات، وهو رقم متواضع أمام تراكمات المرض، لأنه يعتبر مرض العائلة الذي أصابها في أعز ما تملك وهم شباب الأمم والشعوب الذين عليهم نعتد في الحفاظ على الجنس البشري وحياء باقي أفراد الأسرة.

وهناك تصور خاطيء من بعض الدول في محاولة إخفاء الحقائق عن المواطنين، وهي في نظري جريمة كبرى؛ لأن الإنسان يجب أن يعرف هذه الحقيقة بالذات دون مداراة لها. فمن حق المواطن أن يعرف الوضع الحقيقي دون تهويل أو تهوين؛ ليتحسس طريقه في صدق مع نفسه ومع الجهات المسؤولة. ولقد وضح ذلك لي في ضوء المكالمات العديدة التي أتتني بعد المقابلة الإذاعية التي أجريتها. وأغلب هؤلاء يسألون من باب الجهل بحقيقة الأمور وعدم معرفتهم الحقيقية بحجم الكارثة التي تمر بها بلادهم.. وإني أدعو جميع الدول وخاصة دولنا الخليجية والعربية أن لا تتردد أبداً في إظهار الحقيقة التي سبق أن وصفتها بأنها كإخفاء الجمره في الجيب.. فمحصله ذلك حتما الحريق والهلاك.. فارحموا شعوبكم..

ورغم أن بعض الدول تخشى أن يؤثر ذلك على السياحة أو الوفود إليها، إلا أننا نجد دولاً من شرق آسيا وأفريقيا يكاد المرض يصل فيها إلى حد الوباء، وبرغم هذا فإنها تعلن عن تفاصيل ما لديها دون خوف أو خجل.. والبعض الآخر من الدول يحجم عن الإعلان لأن المصدر الرئيسي لنقل العدوى عن طريق الجنس وهي جريمة مخزية داخل المجتمعات الإسلامية، وأرجو أن تظل كذلك وأن لا نعتبر الزنا أمراً عادياً ودعوى للتعايش معه كما يفعل الغرب، ونحن لا نطالب بنشر الأسماء ولكن بإعلان المجتمعات عن وضعها الصحي لتأخذ حذرهما، وتعرف الحقيقة وتحاول أن تتجنب طريق الدمار الذي ينتظره الإنسان إذا لم يحول مساره عن هذا الطريق المؤدى إلى الهاوية.

والخطورة في المرض أنه مرض حتى الآن لم يتوصل العلم الحديث إلى تصور واضح لعلاج أو الوقاية منه، فرغم أن الفيروس من أضعف الكائنات الحية التي لا تستطيع أن تتحمل أبسط درجات الجفاف إلا أنه إذا دخل إلى دم أي إنسان فإنه لا يخرج منه إلا في (قبر صاحبه)، وبالتالي فإن الوقاية أهم بكثير من العلاج. . ووقاية المجتمعات يجب أن تكون مسؤولية جماعية، فرغم اعتراف الدول المتقدمة صاحبة اليد الطولى في الأبحاث الجارية بخطورة الموقف إلا أنها تحاول أن تدور حول الوقاية من هذا الطاعون، ولا زالت تؤكد بأن أهم وسيلة لنقل العدوى هي الممارسة الجنسية، بل إنها الوسيلة الوحيدة الخارجة عن السيطرة، حيث إن ٩٠٪ من الحالات قد حدثت عن طريق الممارسة الجنسية بأنماطها وأشكالها وخاصة ما يتم خارج الحياة الزوجية المحترمة والشذوذ الجنسي.

والمفروض أن ظهور هذا المرض كان فرصة مواتية لإعادة النظر في موضوع الحرية الجنسية، والمطالبة بالتشديد على العفة والالتزام بالتعاليم الدينية إلا أن ذلك لم يلق آذاناً صاغية ولا عقولاً واعية، بل استمروا في غيهم يهيمون فيه. . فكل التحذيرات التي خرجت من هذه الدول ومن منظمة الصحة العالمية هي عن استخدام (العازل الذكري والأنثوي) بل إن كثيراً من الدول الآن تقوم بتثبيت صناديق أمام الجامعات ومدارس البنات بها العازل الذكري مجاناً. .

والمؤسف حقاً أن هذه الفئات المستحوذة على الإعلام قد خلقت جواً من الإرهاب في ظل حقوق الإنسان، الأمر الذي جعل المؤسسات الدولية تخشاهم بصورة كبيرة وتجد المسؤولين فيها عندما تناقشهم رغم اتفاقهم معك بضرورة إثارة قيم العفة والفضيلة، فإن ما يسيطر على أفكارهم من المبادئ العلمانية يجعلهم يخشون أن يتهموا بأنهم أصبحوا يحابون

الديانات.. وكأن الدين أصبح منكراً كما اتهمه مدمر الإنسانية (كارل ماركس، بأنه أفيون الشعوب..) ورغم أن مصيبة إنسان عصرنا هذا هو التماذي في المادة مذهباً وتصرفاً وإيماناً..

فأي حضارة هذه التي نعيشها؟ وأي حقوق للإنسان تلك التي ننادي بها؟ إنها شريعة الغاب. بل إن الحيوانات تأتي أن توصف بها.. كان الأولى أن نعالج جذور المشكلة بدلا من اللف والدوران حولها.. إنها الغريزة الجنسية التي ساعتها يتحول الإنسان إلى حيوان ينسى كل شيء.. وما ارتفاع معدلات الإصابة إلا جزء من هذه الحقيقة.

لذلك وعند استعراض القيم الإسلامية التي أرساها الإسلام نجدها شامخة، متفوقة متميزة عن باقي العقائد البشرية التي وضعها الإنسان، وهو يجني ثمارها المرة التي تسير به إلى الهلاك لا محالة.. فالإسلام وضع أسساً وأنماطاً لحياة الفرد فأرشدته إلى الزواج إن استطاع. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء.. ونهى عن الزنا بل جعل عقوبته مغلظة تصل إلى حد الرجم.. وبالتأمل في الآية نجد أن النهي هنا جاء بكلمة «ولا تقربوا الزنا» ومعناه الابتعاد عن كل ما يشير الشهوة، لأن رب العزة يعلم أن النفس البشرية ضعيفة وأنه ألهمها فجورها وتقواها.. فالفجور جاء متقدماً على التقوى، لذلك وضع معايير إسلامية للمرأة والرجل، وأمر بالالتزام بها حتى يحمي المجتمع من كل خطر سواء كان ذاتياً أو وافداً.

ورغم أن هناك الكثير مما يمكن أن يقال إلا أن المقام لا يتسع.. ورغم أن الزواج هو أحد أهم وسائل المحافظة على الصحة وتعزيزها وحمايتها إلا أننا نرى الكثير من الأزواج رجالاً ونساء تركوا الحلال وانغمسوا في الحرام تفوح منهم رائحة نتن.. لذلك فإن الزواج لن يكون عاصماً أيضاً من الانحراف إلا لمن عرف الحلال والحرام أولاً.. وهذا بطبيعة الحال معصوم

ومحفوظ من رب العزة جلّ جلاله . . فهو يعرف حقوقه وواجباته نحو ربه ونفسه وأسرته ومجتمعه . . وهنا يظهر ما هو أهم من الزواج وهو التربية الإسلامية التي ينبغي أن تكون منذ نعومة أظفار أبنائنا لنحصنهم ضد نوابغ الزمان ومغريات الفساد . . وإذا نحن حصناهم بهذه التربية والتزكية فلا خوف وهذا حلال فكل ذلك معلن لديهم وعليه فلن يقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

وأعود مرة أخرى إلى المرض والندوة، عند ظهور المرض لم تكن الصورة واضحة عن الفيروس، وحجم المشكلة لم يكن قد عرف ولكن وبعد مضي ما يقرب من عشر سنوات تسببت في تراكمات اجتماعية كثيرة وخطيرة ليس هذا فقط . بل إن عوامل أخرى تدخلت في المشكلة فتم تسييس المرض، وفي فترة رئاسة (الرئيس ريغان) عقد اجتماع قمة بين (الرئيس ريغان وفرنساوا ميتران وتاتشر) كانت مخصصة للأيدز والمخدرات والمسكرات . . وهذا يعطي تصورا عن تطور منحنى المشكلة، فهناك جماعات الضغط من (أصحاب الشذوذ الجنسي بمجتمعاتهم المخملية)، ونواديبهم الفاضحة، وحناناتهم الصاخبة ومراقصهم المغلقة عليهم، والمؤسف أن الكثير منهم قد استطاع الوصول إلى مراكز هامة في كثير من المجالات الاجتماعية الحساسة، ولديهم التأثير الكبير على مختلف وسائل الإعلام، فأصبح الإعلام متحيزاً تماماً معهم ويتعاطف معهم والحكومات كذلك بل إن في الغرب الآن في الكثير من المؤتمرات يقدم الشخص نفسه لك على أنه من أصحاب الجنس الشاذ . . وحتى إنهم أوجدوا لأنفسهم اسماً غريباً Gays وأحسن تفسير له بأنهم «الفرحون» وهذا الوصف ورد في القرآن الكريم في سورة القصص الآية ٧٦ «إن الله لا يحب الفرحين» أي البطرين من المترفين عندما وصف من يأخذه الفرح لدرجة البطر لكثرة المال والجاه، وهذا وصف لا يختلف كثيراً عن هذه الفئة التي أصبحت مستبدة للجميع بسبب ما لها من قوة ونفوذ .

ولقد رأينا أثناء الحفل الذي أقامه (الرئيس كلينتون) بمناسبة فوزه في الانتخابات كيف أن رجلين من هؤلاء قدموا أنفسهم له على أنهم زوج وزوجة . . وكان هذا على الهواء دون إحراج أو شعور بالعييب - كما نعرفه نحن - ومع الأسف يسمون هذا تقدماً وحضارة!! ولا يجدون في ذلك غضاضة إذ أن الفرد يتحدث عن نفسه وعن مرضه ويعترف لك بأنه من الشواذ.

وزغم أننا لسنا ضد من أصابه المرض، أو حامل عدوى المرض؛ فهو أولاً وأخيراً إنسان له حقوقه الإنسانية التي على المجتمع أن يعطيه إياها فقد تكون إصابته خارجة عن إرادته نتيجة الدم ومشكلاته، أو على أسوأ الاحتمالات نتيجة علاقة غير مشروعة. . . وبرغم هذا كله فهو يحتاج إلى مساندة منا جميعاً. . . وعليها فإنني أدعو إلى التعرف على حقوق وواجبات كل جماعة، فالمرضى، والمجتمع كل منهما له حقوقه وواجباته التي يجب ألا يكون فيها تفريط لصالح أي منهما، وقد تبين أن المجتمع هو الأجدر بالاهتمام خاصة إذا أصبح الفرد منغمساً في شهواته ونزواته دون رادع، لأن ذلك قد يتسبب في الكثير من المشكلات الاجتماعية مما دفع المنظمات والهيئات المهمة بالجوانب الأخلاقية في الدول الغربية إلى عقد الاجتماعات وإصدار التوصيات والتشريعات لتحديد العلاقات المختلفة بين الأطراف.

لقد كثرت الآراء والاجتهادات من كل حذب وصوب وغاب الرأي الإسلامي إلا من اجتهادات فردية جاءت لتلبي طلب المجتمع المسلم، ولهذا عقدت الندوة وحشدت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية العديد من الخبراء في مجال مرض الأيدز، والفقهاء من معظم الدول الإسلامية ليقرروا الرؤية الإسلامية لمثل هذه المشكلات.

فعلى سبيل المثال، هل يعزل المصاب بعدوى الفيروس؟ ما مصير

العلاقات الأسرية بين الزوج وزوجته؟؟ .. وبين الأم المريضة ووليدها غير المصاب؟؟ .. هل تجهض الأم المصابة؟؟ .. ما حكم من تعمد نقل العدوى؟؟ .. هل يعتبر مرض الأيدز مرض الموت؟؟ .. جاءت الإجابات كما عهدناها واضحة مستقرة تليبي حاجة المجتمع وحاجة المريض المصاب دون ظلم لطرف على حساب الطرف الآخر. ولقد ظهرت بشكل توصيات ونشرت في جميع الصحف، ولا أود الإطالة بإعادتها مرة أخرى على القارئ لأنها بوضوح أحكام للرأي الإسلامي المتفتح في حل مشكلات الإنسان في أي زمان ومكان.. وكان لها ردود فعل طيبة من الجهات المختصة محلياً ودولياً..

ولقد تبين مرة أخرى أن الشريعة الإسلامية شريعة شاملة تستطيع أن تحل قضايا كثيرة نعاني منها.. وجميع مفاهيمها تتفق تماماً مع ما نسميه بالتفكير العلمي لحل المشكلات وتختلف كلية عما يسمونه خطأ بالعلمانية!!.. التفسير الخاطيء لكلمة Secularism وهي التي تعني رفض الدين بجميع أشكاله.. أي باستعمال نظرية الأسباب في الأمور.. ولكن المؤسف حقاً أننا لا نلجأ إليها عن طريق المعرفة الواعية والعلم الأكيد بل في كثير من الأوقات نحاول فهمها بطريقة معينة وفي قوالب جاهزة قد لا تكون متناسبة مع زماننا هذا.. فهذه الشريعة شاملة صالحة لكل زمان ومكان. لأنها من عند خالق السموات والأرض.. ومصور الإنسان في رحم أمه، وملهمه بكل أبعاد الحياة من فجورها.. وتقواها..

لقد كنا منطلقين من مبدأ الإيمان وبسلوك هذا الطريق نستطيع أن نصل إلى الكثير من الحلول لقضايانا الدنيوية البسيطة التي نعيش فيها.. بشرط أن نتمسك بالحدود التي فرضها الله علينا، ونحسب حساب الآخرة عندما لا نستطيع أن نعتذر ونأتي بالأسباب، لأنه سيكون أماننا الكتاب المفتوح يقدمه

الرقبيان الملازمان لنا طوال حياتنا.. «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى
الله بقلب سليم».

وهكذا تتأكد الشريعة الإسلامية فينا.. هذه هي الشريعة الإسلامية فيها
حكم ما بينكم وخبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم، صالحة لكل زمان ومكان،
وكم كان إعجاب الأساتذة الأجانب بالإجابات الشافية التي جاءت في
توصيات الندوة والتي نشرتها الصحف وقتها، لأنها تشريع من رب العالمين
للإنسان الذي خلقه الله وسوى بنانه ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب
إليه من جبل الوريد..



حقوق الإنسان بين الإعلاميين الإسلامي والعالمي*

ما كنت أنوي الكتابة في هذا الموضوع لأسباب عدة:

أولها: أن الموضوع أخذ فورة إعلامية في شهر يونيو.. بمناسبة انعقاد مؤتمر حقوق الإنسان في فيينا لمرور ٢٥ عاماً على الانعقاد الأول الذي تم في طهران.

ثانياً: أن العديد من الإخوة المفكرين والكتاب تطرقوا للموضوع واجتهد فيه من اجتهد رغم إغفال جانب هام وهو علاقة الإسلام بحقوق الإنسان، خاصة وأن الإسلام أصبح مهاجماً على كل الأصعدة.

ثالثاً: أن المؤتمر عقد في فيينا وهي دولة أوروبية مستقرة فيها حقوق الإنسان ومصانة.. وذات احترام وتقدير.. وكنت أتمنى على الأمم المتحدة راعية المؤتمر أن تعقده إما في (سرايفو) تحت نيران المدافع والقنابل ووسط المغتصبات والقتلى والثكلى والجرحى.. لتقول لهم إننا معكم أينما كنتم نساندكم ولو بالكلمة أو تعقده في فلسطين المحتلة أو في كشمير أو جنوب أفريقيا.. أو غيرها حيث تنتهك حقوق الإنسان تحت سمع وبصر العالم أجمع.

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٢/١٢/١٩٩٣.

رابعاً: من الأسباب التي جعلتني أحجم عن الكتابة، أنه بعد سقوط الاتحاد السوفياتي وبعد حرب تحرير الكويت برزت علاقتان ظاهرتان على الساحة.. الأولى انتهاء الحرب الباردة، والثانية الديمقراطية وحقوق الإنسان، وتصورنا أننا أمام فتح جديد، وأن العالم سيشهد ثورة جديدة في العلاقات، وسيتفرغ للتنمية من أجل رفاهية الإنسان والإنسان وحده... ولكن ظهرت الحقيقة عارية أمام الجميع، وأشاحت عن وجهها القبيح، وتبين أنها السم في العسل.. فإذا بنا نجد أنفسنا محاصرين لا حول لنا ولا قوة.. فالدول الغربية أصبحت تستخدم هذه المقولات لتغطية تدخلها حيثما تشاء ووقتاً تشاء، كما حدث بالصومال تحت مبررات صدقناها.. وإلا فما تبرير ما يحدث اليوم في (البوسنة والهرسك) من اغتصاب الآلاف من النساء، والقتل دون هوادة أو رحمة، وفي كشمير، والهند، وفلسطين وغيرها.. إنها كلمة حق يراد بها باطل!!!

السبب الخامس أن تقارير منظمة العفو الدولية ومنظمة حقوق الإنسان تشير إلى أن معظم الدول العربية والإسلامية وأغلب دول العالم الثالث تنتهك حقوق الإنسان بصورة أو بأخرى، وهذه مأساة أخرى يعيشها الإنسان العربي المسلم مما يغرق الإنسان في إحباطات كثيرة.. فالقول شيء.. والفعل شيء آخر.. إلا أنه قد جد جديد في الموضوع مما حفزني على الكتابة.

الأول: أنني كنت مدعوا للمشاركة في أحد المؤتمرات العالمية عن الوراثة وفي اليوم المحدد للافتتاح تأجل افتتاح المؤتمر وكانت خارج القاعات جلبة شديدة.. فاستفسرت عن السبب فقبل لي بأن لجنة حقوق الحيوانات تتجمهر بالخارج بقيادة عجوز شمطاء كانت تعيش الأضواء في السابق، ورأت أن تستمر الأضواء حولها، فوهبت ثروتها للحيوانات، ولم تكتف بذلك بل تحدت الشعور الإنساني العام والإسلامي بصفة خاصة..

فقامت بإرسال الأطنان من أغذية الحيوانات إلى سرايفو للحيوانات هناك، لأن البشر هناك أكلوا الفضلات «إذا كان هناك فضلات»، ولم يبق للحيوانات أي مصدر للطعام.. هكذا الأمر ببساطة شديدة (الحيوانات الضالة لها حقوق..). أما الإنسان فالأمر مشكوك فيه... فالبشر أنواع.. نوع له حقوق وهذا له مواصفات.. فإذا مات جندي غربي في الصومال أو إسرائيلي نسفت قرية كاملة بمن فيها.. وإذا حجز جندي استرالي.. تحركت الأمم المتحدة.. هذا هو الصنف الذي له حقوق أما ما دون ذلك فحدث ولا حرج.. الحيوانات خير منه!!

آخر أبناء العجوز الشمطاء أنها رفعت قضية على الحكومة الأمريكية وصلت تكاليفها حتى الآن ١٠٠,٠٠٠ دولار «مائة ألف دولار» لأن الحكومة حبست كلباً عض طفلاً صغيراً.. أي مهانة للإنسان تلك؟!!

الثاني: أنني ترأست إحدى الجلسات العلمية وتحولت إلى مناظرة بين الإسلام وغيره.. هل للجنين حقوق؟ هل للمريض حقوق؟ هل للمريض المزمّن الميؤوس من شفائه الحق في أن يتخلص من حياته؟.. وغير ذلك من أسئلة تصوروا بها أنهم وضعوا حبل المشنقة ليحاكموا الإسلام؟؟

الثالث: تهجم منظمة العفو الدولية على أحكام القصاص في الشريعة الإسلامية؟.. وسوف لا أتحدث بإسهاب في الموضوع لكن سأقصر مقالي على عدة نقاط بسيطة لعلها تكون إضافة إلى زملاء من الجانبين الإسلامي وغير الإسلامي.

النقطة الأولى: قبل أن يعرف الغرب حقوق الإنسان فإن الإسلام أمرنا بالرفق بالحيوان، فلقد دخلت النار امرأة.. حبست الهرة فماتت، فلا أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض.. ورجل أدخله الله الجنة لأنه سقى كلباً كاد أن يهلك من شدة العطش، وأمرنا عند الذبح أن تكون الآلة حادة ولا

نعذب الحيوان .. إلى غير ذلك من المفاهيم الإسلامية .. وسبق الإسلام كل هذه الادعاءات بالآف السنين .

النقطة الثانية: الجانب التاريخي .. فمن نافلة القول أن نقول بأن الإسلام رعى الإنسان رعاية كاملة واعتبره رب العزة خليفته في الأرض ليعمرها .. وكرمه على كثير من خلقه، وخلق في أحسن تقويم وأمر الملائكة بالسجود له .. هذا كله تعرض له الإخوة بإسهاب كبير، ولا داعي لتكراره لكن النقطة الهامة التي يغفلها الطرف الآخر هي أن هذه الوثيقة قررها الإسلام منذ ١٤٠٠ عام وأنها أوامر من رب العزة وهبة من الخالق للمخلوق .. وليست من حاكم بشر لمحكوم .. بينما الإعلان العالمي ظهر مؤخراً بعد الثورة الفرنسية، وهناك خلاف بينهما وبين (الماجناكرتا) وثيقة الحقوق البريطانية .. وهي نقطة التحول التي وضعها الإنسان الغربي لتكون بينه وبين الحاكم .. أي منذ حوالي مائتي عام على الأكثر .. أما من ناحية المرتكزات التي ارتكز عليها الإعلان الإسلامي والعالمي فمنطلقاتهما مختلفة ورغم أن مفاهيمهما في كثير من المجالات متفقة .. إلا أن الأساس مختلف .. فالحرية في الإسلام حرية مقننة .. فحرية الفرد تنتهي عندما تبدأ حرية الجماعة .. فمصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد، وقد أخذت الديمقراطية هذا المبدأ لأنها في النهاية ستعم على الفرد إذا تخلى عن أنانيته .. أما الحرية في الإعلان العالمي فهي حرية مطلقة لا حدود لها .. توصل الفرد إلى الإباحية التامة .. وها نحن اليوم نجني ثمار هذه الحرية الحيوانية الرعناء .. فالحرية الجنسية نتاجها بين أيدينا من أمراض تعصف بالجنس البشري وتكاد أن تأتي عليه .. فالمتوقع أن يصل عدد المصابين بمرض الإيدز في عام ٢٠٠٠ إلى حوالي ٤٠ مليون مريض، هذا عن مرض واحد، ظهر بسبب الإباحية أيضاً .

والوفيات نتيجة الإجهاض بأرقام مخيفة وتتسارع يوماً بعد يوم

والأطفال اللقطاء يملثون المصححات بالملايين وهذا يجرنا إلى الحديث عن انهيار البناء الأسري وما يثار من مخاطر لتكاثر أبناء بلا آباء . . والكثير الكثير في هذا المجال، ورغم هذا لم يعودوا إلى رشدهم بتنمية الفضيلة والعودة إليها ولكن الخطر الداهم في أن تتبنى المنظمات العالمية صححات تحت مفهوم الجنس الأمن، وقاموا بتوزيع صناديق تحوي (العازل الذكري) أمام مدارس البنات والجامعات ودور الدعارة . . هذه هي حريتهم التي يتشددون بها . . !!

الجانب الثالث: كانت عن الجنين وحقوقه . . فقد أقر الإسلام حقوقاً كاملة لهذا الجنين منذ اللحظة الأولى للإخصاب، واعتبره نفساً إنسانية بشرية لا يصح الاعتداء عليها مصداقاً لقوله تعالى ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض . . فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ هذه هي نظرة الإسلام للنفس البشرية جيناً أو طفلاً أو شاباً أو كهلاً .

بينما هذا الجنين ليس له حقوق في الإعلان العالمي . . ولعلم الجميع . . فإن الضجة الكبرى المثارة في الغرب التي كانت أحد بنود دعاية الرئيس «بيل كلينتون» في الانتخابات كانت إباحة الإجهاض والحرية الجنسية . . فلمجرد عدم رغبة الأم فيما حملت في أحشائها فلها الحق في التخلص منه وقتما تشاء وحيثما تريد لدرجة أننا إذا اطلعنا على الإحصائيات المنشورة من منظمة الصحة العالمية عن هذا الموضوع سنجد أننا أمام ردة أخرى في النظام الصحي . . ففي الوقت الذي تسارع الدول إلى خفض نسب وفيات أطفالها بسبب الأمراض، نجد أن الإحصائيات تتجه إلى الارتفاع في وأد هذه الأجنة مما سنجد أن الإحصائية ستكون بالسالب بسبب إباحة الجنس والإجهاض . . أما في الإسلام . . فقد أجل الرسول إقامة الحد على زانية لأنها حامل . . حتى تضع وليدها ثم أجله حتى ترضعه . . ثم أجلها حتى ترعاه . . والأم الحامل لها حقوق على الأب حتى إذا

طلقت.. ثم لهذا الجنين حق الميراث.. والمجال لا يتسع لذكر الحقوق التي أقرها الإسلام.. وإذا كان الشيء بالشيء يذكر؛ فإن الإسلام رعى أيضاً حقوق الوالدين وعظمتهمما وكرّمهما وأحاطتهما بسياج من الحب والرعاية وإدخال الطمأنينة حتى ولو طلب الوالدان من الابن الإشراف بالله، ﴿وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾ ﴿إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً﴾ - صدق الله العظيم - والقرآن الكريم به الكثير من الآيات التي تحت على هذه الرعاية.. وجاء الإعلان الإسلامي في مادته السابعة «ج» مطابقاً لهذا المفهوم.. بينما الإعلان العالمي لم يتطرق إلى هذا الموضوع على الإطلاق.. وانتشرت هناك دور رعاية المسنين رغم ما فيها، ورغم ما يقوله البعض من فوائدها إلا أن الوضع لا يمكن قبوله.. فهل هانت علينا أنفسنا حتى نضحى بالآباء والأمهات.. كل منا سيصبح جداً وهماً.. هل ينتظر هذه الساعة ليأخذه ويرموه هناك.. أم يطلب إنهاء حياته كما سنرى في البند القادم.

الجانب الرابع: هو حق الحياة.. فقد ثار في المؤتمر مصطلح «قتل الرحمة» وأرادوا أن يروجوا له في أكثر من مؤتمر، وفي أكثر من مكان لعل أحدهما يقبل به.. والمقولة ملخصها (أن الحياة ملك لصاحبها وله الحق في أن ينهيها وقتما يشاء بنفسه، أو يطلب من أحد أن يساعده على التخلص من حياته.. هكذا هانت الحياة الإنسانية في نظرهم، وبالرجوع إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان فقد نصت مادته الثالثة على الآتي «لكل واحد حق الحياة والحرية والأمن الشخصي» بينما نصت المادة الثانية من الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان على:

أ - الحياة هبة الله وهي مكفولة لكل إنسان وعلى الأفراد والمجتمعات

والدول حماية هذا الحق من كل اعتداء عليه.. فلا يجوز إزهاق روح
دون مقتضى شرعي.

ب - يحرم اللجوء إلى وسائل تفضي إلى إفناء الينبوع البشري.

ج - المحافظة على استمرار الحياة البشرية إلى ما شاء الله واجب شرعي.

د - يجب أن تصان حرمة جنازة الإنسان وأن لا تنتهك كما يحرم تشريحه إلا
بمجاز شرعي وعلى الدول ضمان ذلك.

أعتقد بأن هناك فرقاً كبيراً بين المادتين وهناك الكثير من الآيات
والأحاديث التي تدل على ذلك.. فالحياة ليست ملكاً للإنسان بل هي ملك
واهبها ومن لا يملك لا يحق له التصرف فيما لا يملك.

الجانب الخامس: هو التطاول على الإسلام من جانب لجنة العفو
الدولية في إصدارها نشرة عن انتهاك حقوق الإنسان في المملكة العربية
السعودية.. وأوعزت هذا (كما يقولون) إلى الأحكام الجائرة في الشريعة
الإسلامية.. وهذا تطاول لا يمكن قبوله.. فالأحكام الشرعية هي من عند الله
خالق الإنسان، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مِنْ خَلْقِ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ
دَسَّاهَا﴾ فكم من تطاول حدث على كثير من المحرمات الشرعية التي ثبت الآن
بأبحاثهم صحتها.. وكم من أمور دنيوية شرعوا فيها ثم عادوا أدراجهم مرة
ثانية ليقرروا صحة ما عليه تشريعات الإسلام.

وقد أوضحت المملكة العربية السعودية في عدة مناسبات موقفها
بصورة جلية وواضحة.. وكان خير تعبير عن ذلك في الكلمة السامية التي
وجهها خادم الحرمين الشريفين.. أثناء الاحتفال الذي أقامه جلالته لعدد من
كبار الزوار أثناء موسم الحج الماضي.

ورغم الإغراء بالكتابة في الموضوع إلا أنني سأكتفي بهذا القدر ويبقى الأهم.. فنحن قانعون بكلا الإصدارين وما فيهما.. إلا أنني أعتقد بأن حقوق الإنسان لا تحتاج إلى موثيق ولا إلى نصوص؛ إنما تحتاج إلى ضمير حي فجميع دول العالم تنص دساتيرها على احترام حقوق الإنسان، وهي مهانة غير مصانة ومهدرة غير محفوظة..

حقوق الإنسان.. فلسفة وعقيدة وسلوك.. فلسفة الحكم وفلسفة الأداء.. فلسفة العبودية والربوبية لمن..؟.. إذا كانت لله الواحد الأحد فستسقط بقية الآلهة وهي كثيرة، وتختلف من شخص لآخر. هذا إلهه هواه، وهذا إلهه سلطانه جاهه وملكه، وآخر إلهه ماله.. إلى غير ذلك.. فلسفة الحياة الإنسانية والآخرة فلسفة الكون.. فلسفة الوجود والهدف منه.. ثم عقيدة التوحيد التي تسقط معها كل عقيدة.. تناقضتها ثم هي سلوك.. ثم سلوك الحاكم حسب مفهومه لهذه الفلسفة.. ولذلك فإن من أهم الموجبات هي تربية الإنسان وتهذيبه.. ونجد المثال الحي في الإسلام عندما نزل القرآن، استمر الوحي لمدة ثلاثة عشر عاماً في مكة دون أن تنزل سورة واحدة بها تشريع حتى إذا ما تأكد رسوخ العقيدة وثباتها.. بدأت آيات التشريع بالنزول في المدينة فتلقيها بالطاعة لأن النفس الإنسانية أصبحت مؤمنة بما يأتي إليها بالوحي؛ فتلقته بالقبول الحسن.. وكان عملهم مطابقاً لقولهم فساد الإنسان وعاش حياة هائلة مطمئنة دون ظلم ولا طغيان ظالم.

إن الإسلام قد تميز بطرحه لحقوق الإنسان عن الإعلان العالمي باعتبار هذه الحقوق فريضة على كل مسلم يثاب عليها إن التزم بها ويعاقب عليها إن أهملها، بل إن الإسلام طلب من ولي الأمر أن يأخذ على يد من لا يؤديها بينما الإعلان العالمي طالب الدول بالأخذ بها ولم يضع العقوبات لمن يخرج عليها.. والآن السؤال الذي يخطر على البال.. إذا كان هذا هو

الإسلام..؟؟ فما هو السبب في تشويه حقوق الإنسان في الإسلام بهذه الصورة؟ وأعتقد بأن الجواب واضح وهو أن الإنسان المسلم نفسه هو وراء كل مايتهم به الإسلام ولن يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم؟ وكل ما كنت أتمناه أن نطرح هذه الناحية أمام المؤتمر الإسلامي حتى نضع صورة شاملة لحقوق الإنسان في الإسلام على أمل أن تكون مصباحاً ينير لهم الطريق للأخذ بها في المستقبل.

ولعل المؤتمرات القادمة والأمم المتحدة تتخذ خطوة إلى الأمام بوضع معايير جادة لإلزام الدول بالأخذ بها.. والحديث موصول إن شاء الله تعالى.



حقوق الإنسان بين العالم المتقدم والنامي*

في مقالتي السابقة ذكرت بعض النقاط التي سقطت من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والتي تميز بها (الإعلان الإسلامي..). وأوضحت أن حقوق الإنسان لاحتياج إلى موثيق ولا إلى إعلانات ولكنها فلسفة الحاكم للحكم وللحياة وللآخرة.. كما أنها فلسفة العلاقة بينه وبين المحكومين، وأيضاً فلسفة المحكومين تجاه الحاكم وتجاه بعضهم بعضاً.. فلو كانت الدنيا أكبر همهم.. فعلى الدنيا السلام إذ مهما كانت الموثيق والإعلانات فلن تقف حائلاً دون ظلمهم.

وتدور هذه المقالة حول المؤتمر الذي عقد في يونيو ١٩٩٣، والذي شارك فيه ما يقارب من ١٧٠ دولة، والملاحظ أن عدداً كبيراً من دول العالم سارعت للمشاركة هذه المرة.. مما يعكس أمرين.. الأول: أن اختفاء الكتلة الثانية في العالم «الاتحاد السوفياتي» قد غير مفاهيم الدول والحكومات لموضوع حقوق الإنسان.. فكم انتهكت حقوق الإنسان في كثير من دول العالم!! وكانت تجد الحماية من إحدى الكتلتين على حساب شعوبها..

الأمر الثاني: أن مفهوم حقوق الإنسان أصبح مفهوماً عالمياً ولم يعد

* نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩/٢/١٩٩٢.

قاصراً على مجموعة من الدول أو فئة أو شعب من الشعوب . . فأحدى الركائز التي ارتكز عليها الغرب في هجومه على الكتلة الشرقية كانت انتهاكات حقوق الإنسان . . لكن مفاهيم حقوق الإنسان كانت مختلفة بين ممثلي الشمال والجنوب . . والشرق والغرب .

فالشمال يرى أن حقوق الإنسان تتمثل في الحرية الشخصية المطلقة بجانب الحرية السياسية والمدنية وحرية التفكير والتعبير . . بينما يرى الجنوب الفقير أن حقوق الإنسان تتمثل في المطالبة بحقه في الحياة وفي معيشة إنسانية كريمة حيث يتحكم ١٥٪ من سكان العالم في ٩٥٪ من إنتاجه بينما يحصل ٨٥٪ من سكان العالم على ٥٪ من موارد أرضه دون أن يوصم هذا بالإرهاب . . كما يطالب بحقه في تقرير مصيره . . وحقه في اختياره النظم الاقتصادية . . ثم هو ينظر إلى دول الشمال نظرة الريبة والشك لأسباب كثيرة . . فمثلاً دول الشمال كانت وراء تلوث البيئة في الجنوب وذلك بتصديرها الكثير من المصانع التي قرر الشمال عدم صلاحيتها . . أيضاً اشترت دول الشمال الكثير من ذوي النفوس الضعيفة في الجنوب لدفن النفايات السامة والذرية بأراضيها دون أن تأبه بما يمكن أن يسببه ذلك لشعوب هذه الدول .

أضف إلى ذلك أن دول الشمال كانت ومازالت تتهم بتصدير شحنات كبيرة من الأغذية الفاسدة غير الصالحة للاستهلاك الآدمي إلى دول الجنوب ، كما أن دول الشمال عند حدوث كوارث ورغم تكرارها في أماكن مختلفة مثل الصومال وأثيوبيا والسودان فإنها إذ تسارع في تقديم المواد الإنسانية من غذاء ودواء وهي مشكورة في ذلك إلا أنها لم تحاول المساهمة في تنمية هذه الدول والسعي لإقامة زراعة أو صناعة بحيث إذا تكرر الجفاف أمكن لهذه الدول الاعتماد على نفسها . . كما أنه أي الشمال يحاول أن يظهر

بالصورة الإنسانية الاستعراضية في تقديم الرعاية الصحية لطفل مريض . في حين أن مئات الآلاف من الأطفال يقتلون ويموتون جوعاً .

أيضاً أثارت دول الشمال موضوع الاقتصاد الحر وضرورة أن يوافق صندوق النقد والبنك الدولي على اقتصاد هذه الدول وتنتظر الدول النامية إلى هذا الأمر على أنه تدخل مباشر في استقلالية هذه الدول بل اعتداء على حقوق الإنسان خاصة أن دول الشمال تقوم باستنزاف مصادر الثروة من المواد الأولية في الدول النامية لخدمة أغراضها دون تعويض يذكر ودون تطوير للنظم الاقتصادية داخل هذه الدول . .

أيضاً اقترحت دول الشمال أن يتم إنشاء مفوضية لحقوق الإنسان بغرض مراقبة انتهاكات حقوق الإنسان في الدول المختلفة، ولكن رفض الطلب من دول الجنوب لاعتقادها بأن دول الشمال تأخذ ذلك ذريعة للتدخل في شؤونها الداخلية تحت حماية الأمم المتحدة . . حيث إن هذا هو الواقع الآن؛ فالولايات المتحدة أصبحت هي القائد لجميع دول العالم بدون منازع بما في ذلك الأمم المتحدة . بل وتتدخل حيثما تشاء ووقتما تشاء تحت رعاية الأمم المتحدة وبالقانون . .!! وفي الوقت نفسه قد تحجم عن التدخل ويتبعها الباقون ووقتما تشاء وحيثما تشاء وبالقانون أيضاً . .!!! فالبوسنة والهرسك والأرض المحتلة في فلسطين وفي لبنان وكشمير وألبانيا كلها مناطق تنتهك فيها حقوق الإنسان ودون مواراة أو تحفظ، وتجد الأمم المتحدة الذريعة في عدم التدخل . . والكلام كثير . . وكثير حول هذا الموضوع لكن القلم يغالب نفسه . . فالمأساة صاعقة . . .

أيضاً أسطورة إنهاء الحرب الباردة غير ذات موضوع . . فمثلاً زعيم التبت الروحي «الدلاي لاما» أراد أن يشارك في المؤتمر لعرض مشكلة بلاده، إلا أن الصين هددت بالانسحاب إذا سمح له بالمشاركة، وكان لها ما

أرادت.. فمنع من المشاركة وانسحب من المؤتمر جميع الحاصلين على جائزة نوبل فهو أحدهم.. مشاركة منهم.

أيضاً بعد جهد كبير أصدر المؤتمر بياناً هزياً حول البوسنة والهرسك وكان وراء عرقلة إصداره الدول التي تدعي رعاية حقوق الإنسان.. هذا كله يحدث في مؤتمر حقوق الإنسان وفي الوقت الذي كانت تجاهد الدول المطحونة بإدراج هذه المشاكل.. رأينا الدول الكبرى تصر على إدراج مواضيع أخرى هامشية ومثيرة مثل حرية المرأة وحقوق الشواذ وحقوق الأطفال في تغيير دينهم.

هذا ومن الموضوعات التي أثارت جدلاً كبيراً في المؤتمر معارضة الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية كما جاء على لسان وزير الخارجية (وارن كريستوفر) بما أسماه «بالنسيية الثقافية» واعتبارهم ذلك بأنه الملاذ الأخير للقمع في مواجهة عالمية حقوق الإنسان، وهذا يعني عدم احترام الخصوصية العقيدية لبعض الدول النامية.. وهذا امتهان شديد لهذه الدول، ويعني بدوره وصاية الدول الرأسمالية على الإنسانية من منطلقاتها الحضارية والثقافية ومصالحها الخاصة.. إضافة إلى ذلك فإن (كريستوفر) أعلن بأن المساعدات المدنية الأميركية والتي تبلغ ١٥ ملياراً لن تمنح إلا للدول التي تلتزم بالمبادئ التي تعلنها الدول الكبرى في حقوق الإنسان.. والسؤال هو هل طبق هذا على إسرائيل؟ وهل يطبق هذا على الصرب والكروات؟ بل إن المساعدات العسكرية أيضاً أصبحت مشروطة.. بينما أذاعت منظمة العفو الدولية بأن أي دولة من الدول التي تحظى بهذه المساعدات يجب ألا تنتهك حقوق الإنسان فيها.. فأين العدل والحق..؟؟

تلك كانت نظرة الشمال إلى الجنوب ونظرة الحيرة والشك والخوف من الجنوب إلى الشمال..!! فأين الحقيقة؟

الحقيقة هي شيء نسبي وأراها ضاعت بين الفريقين.. الشمال من خبرته ومن تقارير منظمة العفو الدولية ومنظمة حقوق الإنسان ومن يحاول أن يخرج بتصور أن الحرية المطلقة هي المطلب الأول والأخير، وأي دعوى غير ذلك هي مبرر لانتهاك حقوق الإنسان، بينما الدول النامية تنظر إلى هذه الدعاوى نظرة الشك والريبة لأن رياح الديمقراطية فجرت أثراً جانبية مخيفة تهدد العالم اليوم.. فالحرب العرقية والطائفية والأقليات كلها أصبحت سلاحاً مشهوراً ومسلطاً على رقاب هذه الدول أيضاً.. الكيل بمكيالين للممارسات اللا أخلاقية من الدول التي تحميها الدول الغربية دون إثارة أي اعتراضات عليها، بينما الدول الثانية تعاقب من الدول الكبرى لانتهاك حقوق الإنسان فيها، فمثلاً رأينا الأمم المتحدة أطلقت النيران على مسيرة في الصومال فقتلت عشرين صومالياً بريئاً في خطوة انتقامية لجنودها الباكستانيين الذين قتلوا فيها، بينما لم تتخذ الأمم المتحدة نفس الموقف مع الصرب رغم قتلهم خمسين جندياً من جنودها، هذا وإن الموقف الدامي والحزين والذي يدفع ثمنه شعب الصومال يدعو للأسى والحيرة.

عموماً أعتقد بأن الأمر يعود إلى وعي الحاكم والمحكومين للتعرف على حقوق كل منها دون أن يبخس أحد حق الآخر، ودون أن يقصر كل منهما في واجبات الآخر، وفي النهاية فإن الإسلام يقدم نموذجاً فريداً في حسن المعاملة يمكن أن يحتذى به.. فالإسلام عندما دخل الأندلس وحتى دول البلقان أو مصر أو أي مكان في العالم أمن الناس على معتقداتهم وأرواحهم وأموالهم وأعراضهم فلقد أوصى الرسول - ﷺ - أصحابه ألا يقتلوا شيخاً ولا طفلاً ولا امرأة ولا يقطعوا شجرة ولا يهدموا بيتاً.. فهل لنا أن نعود إلى خصوصيتنا الإسلامية فلا ينتهك الحاكم حقوق الرعية ولا تقصر الرعية في واجباتها الوطنية؟! ندعو الله أن يحقق ذلك.



هل نتغير مع الزمن؟*

بالأمس كان اليوم الأول لعام ميلادي جديد.. وبالطبع كثير من أصحاب الاحتفالات لم يفيقوا من سهراتهم حتى يستطيعوا أن يستوعبوا ما أكتب بعد يوم واحد من أيام هذا العام.. ومن يفوق فسيعتبره عوائق نضعها أمام طريق الملدات والانغماس الحيواني الذي يحكم إنسان هذا العصر.. لأن إنسان عصرنا قد طغى لأنه يرى نفسه وقد استغنى عن كل شيء.. وتحرر من القيود.. وأصبح كل فرد لنفسه.. وأصبحت الملدات تخص الأفراد بغض النظر عما يصيب المجتمعات.. ويصبح الفرد هو سلطان نفسه ولا سلطان لأحد عليه وخاصة بعد أن تخلص.. مخدوعاً.. من سلطان خالق هذه النفس البشرية العجيبة الذي قال بكل وضوح في كتابه الكريم.. «ونفس وما سواها، فآلهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» سورة الشمس.. مؤكداً سبحانه وتعالى مدى الحرية التي يتركها للإنسان حيث إنه قد مكّنه من هذه الأرض بعد أن خلقه في أحسن تقويم.. ولا يعلم بأنه أيضاً يستطيع أن يرده أسفل سافلين.. لكن ما دام الفرد يعتقد بأنه قد تحرر من النواهي التي رسمها الله له فإنه بطبيعة الحال سيدخل في ضلال وأي ضلال..

آسف إذا كنت قد أفسدت على من أمضى الـ ٢٤ ساعة الماضية في

نشرت هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ١٩٩٤/١/٢ .

اتباع ملذاته.. «وأكد زعلانين» لأنني سأقدر عليهم ستتهم الجديدة التي سيحاولون المضي فيها في غيهم وطغيانهم على أنفسهم وعلى مجتمعاتهم.. ولكن ما جعلني أكتب هذه المقالة بهذه الصورة.. «المنغصة» على البعض هو ما تجمع بالصدفة أيضاً في عدد الأحد الماضي لجريدة الوطن وقد لا تكون صدفة ولكن تجمعت بصورة لافتة للنظر.. أوردتها للذكرى قبل التعليق عليها.. إذ جاء في الجريدة:

١ - خبر عن شاب بريطاني لم يتجاوز التاسعة عشرة من العمر ارتكب ٩٥٠ جريمة خلال سنتين.. وقد وصفته الصحف البريطانية بأنه أسوأ أفاق في بريطانيا.. وقد شملت جرائمه جميع المجالات وفوق كل هذا يتزعم عصابة من ٢٨ ضالعا في الإجرام مثله.

٢ - خبر آخر عن الحكم بالسجن ٢٠٠ سنة لقاتل جدته وجده وعمته وابن عمه وزوجة ابن عمه بالرصاص، بالإضافة إلى ثلاث جرائم قتل أخرى بعد هذا الحادث.

٣ - البغاء والمخدرات تضاعف الإيدز في فيتنام وبلغ عدد الفيتناميين المصابين بالإيدز ١٠٠٠ شخص، وسببه هو بداية الانفتاح وانتشار البغاء وتعاطي المخدرات لأن أول حالة اكتشفت كانت في ديسمبر عام ١٩٩٠.

٤ - انعدام الأمن في نيويورك يؤدي إلى تقديم (قداس منتصف الليل التقليدي) لمناسبة عيد الميلاد إلى ساعة مبكرة مساء الجمعة حتى لا يصبح المحتفلون ضحية اللصوص بعد منتصف الليل..

٥ - أما أخونا م(حمد عبد الحميد الصقر) أحد كتاب الوطن فقد كتب متعجباً مما رآه في واشنطن في زيارته الأخيرة حول التحذيرات ضد (التدخين)

ومحاربة (الحشيش) وكذلك التحذير ضد (الدعارة) المنتشرة في هذه البلاد وكيف أن هناك مقاييس مختلفة بالنسبة للتحذير في بلادهم.. وإغراق بلادنا بجميع العادات السيئة. وكما ذكرت هذه هي الأخبار التي اجتمعت بالصدفة في العدد المذكور وأكد لو جمعنا ما ورد في باقي الجرائد والمجلات من الجرائم بأنواعها وأشكالها لرأينا العجب العجاب..

والسؤال هو كيف التصرف؟؟ وهل ننتقل من حقبة زمنية سمينها سنة.. واعتبرنا أنفسنا قد خططنا لقرن جديد.. وعام ٢٠٠٠ قد أصبح الميعاد الذي نعلق عليه الكثير من الآمال..؟؟ وعلى سبيل المثال الطموح الكبير للإنسان من خلال دعوة منظمة الصحة العالمية بأن تتحقق الصحة للجميع عام ٢٠٠٠.. وقد اتخذ هذا القرار عام ١٩٨٠ وكلما يقترب الوقت إلى الموعد المحدد.. نجد أن وضع الإنسان أخذ يزداد سوءاً وليس تحسناً.. فهو أمام تحدي الصراع بين الفقراء والأغنياء.. وما اتفاقية الجات التي عقدت إلا بداية لتنظيم القوى القادرة المنتجة ضد القوى الخائرة المهترئة الفاقدة لكل عطاء، والعاجزة عن المناقشة حتى إن قيمها ومبادئها وتراثها ستفقدوها.. ويحل محل الفقر والعفة.. الجوع والتشرد والرذيلة.. لأنه حتماً سينقاد مع المجتمع المادي وسيصبح واحداً منهم..

فهو أمام تحدي البيئة وهلاك الحياة على الأرض.. وقد وجد الغرب الكثير من الأعداء وأهمها.. خطر ارتفاع حرارة الكرة الأرضية.. واتهام الكربون.. أي الوقود الأحفوري.. وخاصة النفط بأنه هو السبب.. وبدأ يضع ضرائب على استعمال النفط.. وبالتأكيد إن هدفهم هو القضاء على استفادة الدول النامية التي لديها هذه الثروة.. والعجيب أن أغلب الدول الإسلامية في مناطق نفطية.. وليس هناك رد واضح لما لهذه الصدفة بين الإسلام والمناطق النفطية، وبالتأكيد الدول المتقدمة تعرف سبب ذلك وقد

يكون ذلك منطلقاً لخلق الفتنة بين شعوب هذه الدول الإسلامية، ومن ثم التحكم في هذه الثروة الطبيعية المسيرة لحضارتهم والاطمئنان على استمرارها والتأكد من القضاء علينا..

مع أن مدمر البيئة هو الغرب.. ومستنزف الثروات الطبيعية هو الغرب.. إذ يستنزفون ٨٠٪ من ثروات الأرض الطبيعية مع أنهم لا يتجاوزون ٢٨٪ من سكان العالم.. ولكن بيدهم قوة السلاح والعلم والتكنولوجيا.. وفوق كل ذلك قوة الإعلام وإقناع الناس بقضاياهم.. أما نحن فننتظر دائماً نتائج الحكم وكيف نستطيع أن ننفذ بجلودنا.. لا نعرف ما المصير الذي ينتظرنا.. ومنتظر أجيالنا القادمة.. أقصد جميع الدول النامية.. ونحن إحدى هذه الدول المطلوبة.

فوق كل هذا فإنسان عصرنا هذا أمام صراع مع نفسه.. فالمغويات قد أصبحت لا تقاوم.. وتجارة الملذات أصبحت تجر أقوى النفوس إلى أن تتحطم خاصة عندما تصبح هذه النفوس خاوية ومبتعدة عن منقذها وصانعها.. ومبدعها.. وهذه النفوس تجد أن مقاومتها ضعيفة لأنها تفتقر إلى السلاح الواقعي الذي يمكنها من الصمود.. وأقوى جرعة مناعية يأخذها الإنسان لتقيه من مخاطر هذه الملذات هي جرعة الإيمان بالله والتمسك بتعاليمه.

وتلبية نداء الله سبحانه وتعالى الذي ينادي المؤمنين «بالنداء الواضح».. «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم».. فالدعوة أولاً للمؤمنين.. وبعد ذلك التأكيد على أنه من دون الاستجابة بالحياة وإن كانت شكلياً ممكنة ولكنها بالتوجيه القرآني مفقودة.

وحيث إن هناك فرقاً كبيراً، بين الحياة المادية التي نعيشها وبين الحياة التي أرادها الله لخلقه.. حيث إن هذه الحياة محددة لمفاهيم كتبها الله

علينا.. فالخروج منها سيؤدي بطبيعة الحال إلى حياة شكلية كما يعيش أغلب البشر الملحد المادي زماننا هذا.. فلأننا ابتعدنا عن القواعد التي رسمها الله سبحانه وتعالى لنا حدث ما رأيناه من أنواع الجرائم المختلفة.. فلقد سيطر قانون الغاب.. أي أن القوي يغلب الضعيف.. ويصبح كل إنسان فرداً ضعيفاً تتقاذفه الأهواء والملذات ويتوه في طريق الضلالة.

هذا الانفكاك مما يسمونه قيود الدين التي هي في الحقيقة نواميس الحياة الاجتماعية.. هو الذي أدى إلى ظهور النفس البشرية الأمانة بالسوء.. فيصبح الإنسان أسير هذه النفس تأمره بأن يسير في خرق هذه القوانين.. وينهار الإنسان خارج أسوار الإيمان.. ويبدأ يؤثر على المجتمع ويدخل الشيطان طرفاً في غوايته.. وتقوم الجمهورية الشيطانية التي يكون الحكم فيها للشيطان فقط وما باقي الأشكال من الحكام.. وخاصة أولئك الذين يسمون بالصنميين.. يتخذون الشيطان كزعيم لهم.. ويعبد باقي الرعية هذا الصنم الشيطاني لأن الأصنام تحتاج إلى أمثالها حتى يهيمنوا على الإنسان فبمجرد الاستسلام لعالم الشيطان.. بدلا من عالم الإيمان يصبح الإنسان غير ذلك الذي خلقه ربه في أحسن تقويم.. فيصبح صنماً يهيم في صنم.

هذا هو الإنسان الذي يحتاج إلى أن يرجع لنفسه وخاصة ونحن نمر في مرحلة تاريخية من حياته.. ويحاول أن يحاسبها على ما كسبت قبل أن يأتي يوم الحساب الأكبر.. ذلك اليوم الذي لا تفيد فيه الأعداء.. وكل امرئ سينال جزاءه المكتوب..

فإذا كانت لي أمنية ونحن نعيش اليوم التالي من عام ١٩٩٤ فهي أن يعود الإنسان إلى رشده وصوابه.. ويكفي هذا الدمار ببني جنسه من حروب عرقية واضطهاد ديني.. وتطرف ومغلاة دينية والابتعاد عن حكمة الإسلام

وسماحته . . وأن يتوب إلى ربه . . خاصة وأن ويلات الحروب الإجرامية من قتل وتحطيم الذات بالمخدرات والإباحية الجنسية المبددة لجنس الإنسان . . والتي تهدد بقاءه على هذه الأرض هذه بطبيعة الحال دعوات صعبة وقد يقول الكثيرون بأنها أصبحت أموراً متكررة نسمعها ليل نهار . . ورغم كل ذلك يستمر الإنسان في غيه وظلمه ويطشه . . ويريدون كالعادة الحلول السهلة كالأكلات الخفيفة دون التعب في إعداد وصفة غذائية للجسم وللروح مرة واحدة . . أقول لهم لا يوجد طريق سهل إذا كان الإنسان قد أغواه الشيطان . . فأنت في صراع معه والفكاك منه ليس بالسهولة متى وقع الإنسان في شركه . . فذلك أول ما يمكن أن نعمله بأن نحاول تحصين المؤمنين من الانغماس والانزلاق في طريق الشيطان وذلك بأن نطيع الله عز وجل ونذكره لعل الذكرى تنفع المؤمنين . . أما من خرجوا عن طريق الصواب فإن محاولة إعادتهم إلى أحضان الإيمان وطمأنينة الحياة أمر يمكن تحقيقه بدعاء المؤمنين لهم بالهداية . . لأن الله سبحانه وتعالى قد قال ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ . . ولعلنا نتغير . . رغم صعوبة الأمر .

فدعوانا إلى الله ونحن في بداية حقبة زمنية من عمر هذه البشرية بأن يقبل الله توبتنا جميعاً، وأن يهدينا إلى سواء السبيل، وأن يهدي الضالين إلى طريق الإيمان والإحسان . . وعسى أن يقبل الله دعاءنا وأن يكون عام ١٩٩٤ عام خير ويسر بدلاً من عام شر وعسر . . علينا الدعاء وعلى الله القبول إنه سميع مجيب .